محمد أحمد باشميل

من معارك الإسلام الفاصلة

١

غزوة بدر الكبرى

دار ال...

اهداءات ٢٠٠٢

د/ محمد عبد الفتاح الغمراوى

الاسكندرية

غزوة بدر الكبرى

بسم الله الرحمن الرحيم

محمد أحمد باشميل

الكتاب الأول

من معارك الإسلام الفاصلة

١

غزوة بدر الكبرى

دار الفكر

الطبعة السادسة ١٩٧٤ م ـــ ١٣٩٤ هـ

مقدمة الطبعة الثالثة

انتصار الاسلام في يوم بدر

بقلم

اللواء الركن
محمود شيت خطاب
عضو المجمع العلمي العراقي

- ١ -

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدي ومولاي رسول الله وعلى آله واصحابه أجمعين ، ورضي الله عن قادة الفتح الاسلامي وجنوده الغر الميامين .

قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فترة حياته المباركة في مكة المكرمة من بعثته رحمة للعالمين الى هجرته الى المدينة المنورة في الجهاد الاكبر لوضع الاسس السليمة لدولة الاسلام موحدا من أجل الجهاد .

وفي هذه الفترة لاقى المسلمون اذى كثيرا : طوردوا وعذبوا ، واخرجوا من ديارهم وأموالهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله .

وهاجر المسلمون الى المدينة بانفسهم تاركين ذويهم الاقربين تحت رحمة اعدائهم في خطر داهم مقيم ، فابتدات في المدينة فترة الجهاد الاصفر من حياة سيد القادات وقائد السادات عليه افضل الصلاة والسلام ، فكانت حياته الغالية في المدينة من هجرته اليها حتى التحاقه بالرفيق الاعلى جهادا من أجل التوحيد .

واذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير ، فركبت خيل الله عليها فرسان النهار ورهبان الليل : البلايا تحمل المنايا ، نواضح يثرب تحمل الموت الناقع ، قوم ليس لهم منعة ولا ملجأ الا سيوفهم ، لا مدد لهم ولا كمين ، يهدرون بالقرآن الكريم وبذكر الله ويرددون في دعائهم : « يا نصر الله اقترب » .

وفي بدر ، التقى الظلام بالنور ، والكفر بالايمان ، والباطل بالحق ، والتقت الجاهلية بالاسلام ، فجاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا .

ودارت في بدر رحى معركة طاحنة بين فئتين غير متكافئتين : فئة قليلة مؤمنة ، وفئة كثيرة كافرة ، فانتصرت الفئة القليلة على الفئة الكثيرة باذن الله : « ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة » .

ولست اعرف معركة حاسمة من معارك الحرب الحاسمة ، كيوم بدر ، انتصرت فيه العقيدة السليمة على العقيدة الفاسدة ، فكانت العقيدة وحدها هي السلاح الاول والاخير للمنتصرين .

كان المشركون اكثر عددا من المسلمين ، وكانوا احسن

عددا واغنى في قضاياهم الادارية : كان عدة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثمائة وبضعة عشر ، وكان عدة المشركين الفا ، وكان مع المسلمين فرسان ، وكان مع المشركين مائة فرس ، وكان المسلمون حفاة عراة جياعا ، وكان المشركون ينحرون يوما عشرا ويوما تسعا من الابل ، وكان المسلمون من قبائل شتى ، وكان المشركون من قريش !!

انه انتصار عقيدة لا مراء ، فكيف كان ذلك ؟

لقد بدل الاسلام العقول والنفوس من حال الى حال ! كان الرسول القائد صلى الله عليه وسلم مثالا شخصيا رائما لأصحابه في التضحية والفداء .

كان المسلمون يوم بدر كل ثلاثة على بعير ، فكان اذا كانت عقبة النبي صلى الله عليه وسلم قال له صاحباه : « اركب حتى نمشي عنك » ، فيقول : « ما انتما باقوى على المشي مني ، وما انا باغنى عن الاجر منكما » .

وعند نشوب القتال يوم بدر ، خرج ثلاثة من رجالات المشركين وقادتهم فدعوا الى البراز ، فخرج اليهم ثلاثة من الانصار ، فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون اول قتال لقي فيه المسلمون المشركين في الانصار ، واحب ان تكون الشوكة ببني عمه وقومه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا بني هاشم ! قوموا قاتلوا بحقكم الذي بعث الله به نبيكم اذ جاؤوكم بباطلهم ليطفئوا نور الله » .

وفي المعركة كان النبي صلى الله عليه وسلم يضرب بنفسه لأصحابه في الشجاعة والاقدام اروع الامثال . قال

الامام علي بن ابي طالب رضي الله عنه : « لما كان يوم بدر وحضر الباس ، اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان من اشد الناس باسا ، وما كان احد اقرب الى المشركين منه » .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في أثر المشركين بعد انهيار صفوفهم يتلو الآية الكريمة : « سيهزم الجمع ويولون الدبر » ، فأجاز على جريحهم وطلب مدبرهم .

وبعد المعركة سلّم رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنيمة للمسلمين الذين حضروا بدرا ، وأخذ سهمه مع المسلمين ، لا فرق بينه وبين اي مسلم آخر .

لم يستأثر بالدعة والامن بل قاتل هو قتال الابطال الصناديد امام المقاتلين من اصحابه ، ولم يؤثر ذوي قرباه بالراحة والاطمئنان بل آثرهم بالنزال والطعان ، فلما انتصر المسلمون كان نصيبه من الغنائم نصيب احدهم لا يزيد .

لقد كان الرسول القائد صلوات الله وتسليمه عليه اسوة حسنة لاصحابه باعماله لا باقواله ، وشتان بين الاعمال والاقوال ، فلا موعظة في كلام لم يمتلىء من نفس صاحبه ليكون عملا ، فيتحول في النفوس الاخرى عملا ولا يبقى كلاما .

ذلك هو الرسول القائد صلى الله عليه وسلم ، اما جنوده فكان امرهم كله عجبا .

آخى النبي صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والانصار ، فآخى مثلا بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن

الربيع رضي الله عنهما ، فقال سعد لعبد الرحمن : « اني اكثر الانصار مالا ، فاقسم مالي الى نصفين ، ولي امراتان فانظر اعجبهما اليك فسمها لي اطلقها ، فاذا انقضت عدتها فتزوجها » .

هذا مثال واحد للايثار الذي كان نتيجة من نتائج هذا التآخي .

وفي الطريق الى بدر ، هتف متكلم المهاجرين : « والذي بعثك بالحق ، لو سرت بنا الى برك الغماد لسرنا معك حتى تنتهي اليه » . وهتف متكلم الانصار : « فامض يا نبي الله لما اردت ، فوالذي بعثك بالحق ، لو استعرضت هذا البحر فخضته لخضناه معك ، ما بقي منا رجل واحد » .

ويوم بدر ، قتل ابو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه اباه . وكان ابو بكر رضي الله عنه مع المسلمين ، وكان ابنه عبد الرحمن مع المشركين ، وكان عتبة بن ربيعة مع قريش ، وكان ولده ابو حذيفة مع المسلمين .

في هذه المعركة التقى الاباء بالابناء ، والاخوة بالاخوة !.

خالفت بينهم المبادىء ، ففصلت بينهم السيوف !..

وفي يوم بدر ، تسابق المسلمون الى الشهادة ، وكان كل واحد منهم يتمنى ان يموت قبل صاحبه ، وكان كل واحد من المشركين يتمنى أن يموت صاحبه قبله ، وكان الشهيد يردد وهو يحتضر : « وعجلت اليك رب لترضى »

وبعد معركة بدر ، استشار النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه في مصير الاسرى ، فقال عمر بن الخطاب رضي

الله عنه : « ارى أن تمكني من فلان ـ قريب عمر ـ فاضرب عنقه ، حتى يعلم الله انه ليست في قلوبنا هوادة للمشركين ، وهؤلاء صناديدهم وائمتهم وقادتهم » .

وكان فداء اسرى بدر اربعة آلاف الى ما دون ذلك ، فمن لم يكن عنده شيء كان فداؤه ان يعلم غلمان الانصار الكتابة .

هكذا كان جنود الرسول القائد عليه الصلاة والسلام يؤثرون على انفسهم ولو كانت بهم خصاصة ، ويؤثرون عقيدتهم على آبائهم وابنائهم واخوانهم وعشيرتهم واموالهم ، بل يؤثرون عقيدتهم على انفسهم ، فيتسابقون الى الشهادة ، فيقول أحدهم للآخر : « هنيئا لك الشهادة » ، وتقول الامهات والاخوات والزوجات حين يعلمن باستشهاد ذويهن : « الحمد لله الذي اكرمهم بالشهادة » .

وهؤلاء قادة وجنودا ، يبنون للمستقبل ، فيعتبرون العلم فريضة لا نافلة ، ويعتبرونه عبادة لا تجارة ، ويعتبرونه غاية لا وسيلة ..!

كانوا اخوة في الله يحب احدهم لاخيه ما يحبه لنفسه ، وكانوا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ، وكانوا كالجسد السليم المعافى اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى !..

هؤلاء قادة وجنودا ، كانوا يبنون ولا يهدمون ، ويعمرون ولا يخربون ، ويفعلون ولا يقولون ..

كان انتصار المسلمين في بدر ، ايذانا بمولد دولة الاسلام عمليا ، فقاد المسلمون بعدها العالم الى الخير والصلاح والمدنية والنور قرونا طويلة .

وكان انتصارهم بالاسلام ، ولن ينتصروا بغيره ، وتاريخ المسلمين خير دليل على ذلك .

كان العرب في الجاهلية متفرقين فتوحدوا بالاسلام ، وكانوا اعداء فالف الاسلام بين قلوبهم ، وكانوا على شفا حفرة من النار فانقذهم الاسلام منها ، فاصبح العرب بالاسلام (وحدة) رصينة ، و (دولة) عظيمة و (امة) متماسكة و (قوة) ضاربة وجدت لها متنفسا بالفتح الاسلامي العظيم ، فسارت رايات العرب المسلمين تهدي الدنيا وتحضّر العالم وتمدّن الناس ، فامتدت دولة الاسلام من سيبريا شمالا إلى فرنسا غربا الى الصين شرقا الى المحيط جنوبا .

كانوا ضعفاء فاصبحوا بالاسلام اقوياء ، وكانوا اعداء فاصبحوا اخوة ، وكانوا مستعبدين فاصبحوا فاتحين ..!

ثم خلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات ، فاصبحوا مستعمرين مستعبدين اذلاء غثاء كغثاء السيل ، والله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم .

اصبح هؤلاء الخلف يستوردون المبادىء من الشرق والغرب مبهورين متخاذلين ، واصبحوا يتعشقون تراث

الاجنبي ويحتقرون تراثهم ، ويتغافلون تاريخ أجدادهم ويتركون تاريخهم وراءهم ظهريا ، حتى اصبحنا نسمع بعض العرب والمسلمين يقولون ويكتبون ويذيعون علنا باسم الثقافة وباسم التحرر ما لم يستطع ان يقوله او يكتبه او يذيعه المبشرون وأعداء الاسلام !! . .

واذا كان اكثر المستشرقين قد بذلوا قصارى جهودهم لتعميق آثار الاستعمار الفكري بين العرب والمسلمين ، فما عذر المستغربين من العرب المسلمين ؟!

ان الدعوة التي تبناها المبشرون وعملاء الاستعمار واذنابهم في ابعاد الدين الاسلامي عن الحياة ، دعوة مريبة هدفها ابعاد العرب عن الناحية المعنوية في حياتهم ، فالعرب جسم والاسلام روحه ، ولا بقاء للجسم بدون روح .

والدعوة التي تبناها هؤلاء لاستعمال العامية بدل العربية الفصحى دعوة مريبة ، هدفها ان يجعلوا من الامة العربية امما ، ومن الشعب العربي شعوبا ، لأن اللغة العربية لغة القرآن الكريم ولغة الرسول صلى الله عليه وسلم ولغة قادة الفتح وجنوده ولغة الفكر وجنوده .

والدعوة التي تبناها هؤلاء لاشاعة الفحشاء والتخنث في العرب خلافا لعقيدتهم وتقاليدهم ، دعوة مريبة لا تخدم غير الاستعمار واعداء العرب واسرائيل ، وكيف تنتظر من الديوثين والبغايا ان يبذلوا ارواحهم في ميادين الشرف والفداء ؟؟!!

اني اتحدى كل من يزعم ان هناك عقيدة أفضل من عقيدتنا ، وان هناك رجالا أعظم من رجالنا وان هناك تاريخا

أنصع من تاريخنا ، وأن هناك تراثا اروع من تراثنا . .

والذين يزعمون انهم طردوا الاستعمار العسكري والاستعمار السياسي والاستعمار الاقتصادي من بلادهم ، ثم يعملون ليلا ونهارا على ترسيخ الاستعمار الفكري في بلادهم ، لم يصنعوا شيئا اكثر من اخراج الاستعمار من باب ضيق وادخاله بمحض ارادتهم من باب فسيح .

نطرد الاستعمار ثم نترجم قوانينه ونعمل بها نصا وروحا ، فنشيع في بلادنا فجور القانون . . .!

ونتخلص من الاستعمار ثم نستورد مبادئه ونطبقها حرفيا . فنستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير .

ونحارب الاستعمار ثم نستورد منه التحلل الخلقي ، فنفسد جيلنا الصاعد ونشيع بينهم الفاحشة والمنكر ! عقوبة السارق في الاسلام قطع اليد ، فيقول عن ذلك الجهلاء منا : ان ذلك رجعية ، وهذا همجية وهو لا يتفق مع روح القرن العشرين !!

وعقوبة السارق في اعظم دول الاشتراكية الاعدام ، فيقول عن ذلك الجهلاء منا : هذه تقدمية ، وهذه مثالية ، وهذا يتفق مع روح القرن العشرين !!

فلمصلحة من هذا التهافت الذليل ؟؟!! واي استعمار فكري شنيع نعاني ؟؟!!

ان الذين يدّعون بأن السلوك السياسي لا علاقة له بالسلوك الشخصي التزاما بالمبادىء الخلقية الرفيعة ، واهمون كل الوهم او اغبياء كل الغباوة او عملاء كل العمالة.

والذين يريدون اشاعة الفحشاء والتخنث في ابنائنا لا يخدمون غير الاستعمار واسرائيل .

ان عقيدتنا المستمدة من رسالة السماء ، وتاريخنا الذي هو التطبيق العملي لتعاليم الاسلام ، ورجالنا الذين هم الترجمة العملية لروح الاسلام، وتراثنا الذي هو حصيلة الفكر الاسلامي ، هي اعظم وارفع وانصع واروع وأنقى واطهر واسمى وابهر من كل ما وجد على الارض من عقائد وتواريخ وتراث .

واتحدى كل من يدعي خلاف ذلك ، الا ان يكون جاهلا او غبيا او عميلا ، فلا يجدي شيء مع الجهلاء والاغبياء والعملاء . .

ان الماضي هو اساس الحاضر والمستقبل ، فكيف نتنكر لماضينا المجيد ؟

وهل هناك عاقل يبدأ ببناء البنيان اول ما يبدأ من قمته ؟!!

اننا سدنا بالاسلام عقيدة وعملا وتضحية وفداء ، ولن نسود بغيره ابدا مهما نحاول من محاولات . .

ان الاسلام مفخرة الدنيا ومعجزة العالم ، فيجب ان نهاجم به أعداء الاسلام .

يا أتباع محمد صلى الله عليه وسلم في كل مكان من دار الاسلام :

يجب ان تهاجموا بالاسلام أعداء الاسلام ، فلا يقولن

قائل بعد اليوم ، انني ادافع عن الاسلام ، لأن الاسلام اقوى من أن يدافع عنه انسان : « ان الله يدافع عن الذين آمنوا ان الله لا يحب كل خوان كفور . اذِن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير » .

تمسكوا بالاسلام بما فيه من تكاليف التضحية والفداء ، وبذلك وحده تعودوا الى قيادة العالم كما فعل اجدادكم من قبل ، وصدق الله العظيم : « ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ، ولكن كذّبوا فاخذناهم بما كانوا يكسبون » .

رددوا معي ما كان يردده السلف الصالح من رجالنا الغر الميامين : « يا نصر الله أقترب » .

اننا مع المسلمين في كل مكان على اعدائهم في كل مكان فهم اخوتنا في الدين ، وهم اخوتنا في الله ، والله يقول : « انما المؤمنون اخوة » ، وعلينا واجب نصرهم ، والذي لا ينصر اخاه ظالما او مظلوما عليه الا يدّعي الاسلام .

اننا مع لغة القرآن ، لغة النبي صلى الله عليه وسلم ، ولغة العرب الفاتحين ، على دعاة العامية الذين يتظاهرون بالشعارات الزائفة ويخفون ما لا يظهرون .

وكل من لا يكون مع مبادىء القرآن ولغة القرآن من الحاكمين والمحكومين ، منحرف عن الحق ، يعمل لحساب الاستعمار واسرائيل ولو تظاهر بالعروبة والاسلام .

والى هؤلاء المنحرفين من الحاكمين والمحكومين ، اقول مذكرا منذرا ما قاله الله في القرآن الكريم : « وسكنتم في

مساكن الذين ظلموا انفسهم ، وتبين لكم كيف فعلنا بهم ، وضربنا لكم الامثال » .

وحّد الله العرب من المحيط الى الخليج تحت لواء الاسلام ، وجعل وحدتهم قاعدة رصينة لوحدة المسلمين من المحيط الى المحيط ، فالعرب بالاسلام كل شيء ، والعرب بغير اسلام لا شيء ..

والحمد لله كثيرا ، وصلى الله على سيدي ومولاي رسول الله : سيد القادات وقائد السادات ، رجل الرجال وبطل الابطال ، ورضي الله عن اصحابه وعن كل من يخدم العرب والاسلام بأمانة واخلاص .

مقدمة المؤلف عن الطبعة الثانية

الحمد لله نستعينه ونستهديه ، ونعوذ به من شرور انفسنا وسيئات أعمالنا ، ونصلي ونسلم على نبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين وأصحابه الذين نصروه في كل موطن وحين .

وبعد ، لقد كان صدور كتابنا هذا ـ وهو الكتاب الاول من سلسلة معارك الاسلام الفاصلة ـ تجربة شجعنا نجاحها على المضي فيما اعتزمنا القيام بتنفيذه من اصدار سلسلة كاملة عن معارك الاسلام الفاصلة .

لقد صدرت الطبعة الاولى من هذا الكتاب في شهر محرم ١٣٨٣ ، ولم يات شهر شوال من السنة نفسها الا وقد نفدت نسخ هذه الطبعة، فشجعنا ذلك النجاح على المسارعة الى اصدار الطبعة الثانية هذه ، التي أضفنا اليها زيادات بلغت أكثر من ضعف الطبعة الاولى .

فقد كانت صفحات الكتاب من الطبعة الاولى لا تزيد على ١٦٠ صفحة ، بينما بلغت صفحات الكتاب في هذه الطبعة (كما يرى القارىء) أكثر من ٢٩٦ صفحة ، كما

شجعنا ذلك النجاح على المسارعة الى اصدار كتابنا (غزوة أحد) وهو الكتاب الثاني من سلسلة معارك الاسلام الفاصلة ، وعلى المضي في اخراج كتابنا (غزوة الاحزاب) وهو الكتاب الثالث من هذه السلسلة ، والذي سيأخذ طريقه الى المطابع قريبا ان شاء الله .

فشكرا الله أولا وآخرا ، وله الحمد والمنة ، على ما تفضل به علينا من نعمه الظاهرة والباطنة ، ونسأله تعالى أن يمدنا بعونه ويسندنا بتوفيقه ، وأن يحمينا من مضلات الفتن ومزالق الغرور . وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه تعالى ، وان يكون نصيرنا ما دمنا على الحق ، انه نعم المولى ونعم النصير .

محمد احمد باشميل

مكة المكرمة : ربيع الثاني ١٣٨٤ هـ
آب / اغسطس ١٩٦٤ م

مقدمة الطبعة الاولى

اللهم صل على محمد سيد المكافحين وامام المجاهدين وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه الاوفياء الصامدين .

اللهم نستمد منك العون والتوفيق .

وبعد ، لقد عزمنا (بعون الله تعالى) على وضع سلسلة تاريخية مفصلة عن معارك الاسلام الفاصلة ، التي قلبت موازين القوى وغيرت مجرى التاريخ بالنسبة لقيام الدولة الاسلامية وانتشار العقيدة التي ارتكزت عليها وحملت لواءها في العالمين .

ان هذه السلسلة لن تقتصر على المعارك الكبرى التي تم الفوز فيها للاسلام فقط ، كمعركة بدر الكبرى .

بل ستتناول كبريات المعارك الهائلة الشهيرة الاخرى التي خاضها المسلمون وتمت الغلبة فيها لاعدائهم كمعركة احد في يثرب ، ومعركة بلاط الشهداء في فرنسا .

والهدف الاول من وضع هذه السلسلة هو ازاحة الستار (وخاصة امام الشباب المثقف ثقافة عصرية) عن جزء ثمين من كنوز تاريخنا الاسلامي الزاخر بالبطولات

والتضحيات ، والذي تآمر عليه العدو من الخارج بالاتفاق مع فئات آثمة في الداخل

فئات اصطنعها العدو الخارجي (أيام حكمه) واجلسها امام قيادات التربية والتعليم ، وجعل لها الهيمنة على مركز الصحافة وقيادة الاذاعة والنشر .

فأجرمت في حق تاريخنا الاسلامي اجراما كبيرا ، اذ طمست (في فصل المدرسة ومدرج الكلية) ، عن عمد واصرار ، كل جانب مشرق من جوانب هذا التاريخ العظيم ، وخاصة جانب البطولة والفداء والنجدة الذي يتمثل في المعارك الفاصلة التي خاضها الايمان ضد الكفر ، وقادها العدل ضد الطغيان ، والتي تجلى فيها زخم العقيدة وشرف المبدا .

فقد راينا ولا نزال نرى حتى هذا اليوم ، هذه الفئات التي شاء لها الاجنبي أن تضع (حسب وحيه ورغبته) برامج التعليم ومقررات التدريس للنشء الاسلامي في كثير من اقطارنا الاسلامية .

نعم راينا ولا نزال نرى هذه الفئات الآثمة ، تجعل هذا الجيل الناشىء يتلهى (في مراحل دراسته التاريخية)، بالنظر في وقائع تاريخ مبتوت الصلة كليا بتاريخنا الاسلامي.

واذا ما تعرضت هذه الفئات الخطيرة ، للتاريخ الاسلامي (سواء تدريسا او محاضرة او اذاعة) لا تتعرض (في الغالب) الا لما كان نزاعا واختلافا بين المسلمين .

كالحوادث المؤسفة التي حدثت أيام عثمان وبعد موته ،

بين علي ومعاوية (١) وعائشة (٢) وطلحة والزبير رضي الله عنهم اجمعين .

فتطنب هذه الفئـات في ذكر تلك الحوادث وتتفلسف

---

(١) هو معاوية بن ابي سفيان ، صخر بن حرب الاموي القرشي ، اول من وضع اسس الدولة الاموية العظيمة في الشام ، ولد بمكة واسلم يوم فتحها ، وكان احد كتاب الوحي ، تولى قيادة احدى الكتائب تحت قيادة اخيه يزيد في حرب الروم في الشام ، بأمر من الخليفـة ابي بكر ، كـان على راس الجيوش التي فتحت بيروت وصيداء وعرقة وجبيل ، قاد الجناح الاكبر من المعارضة المسلحة لخلافة علي ، بعد أن اتهمه بدم عثمان ، بايعه المسلمون بالخلافـة العامة سـنـة احـدى واربعـين مـن الهجـرة ، وذلك بعد وفاة امير المؤمنين علي ، فقد تنازل له الحسن بن علي وبايعه بالخلافة اطفـاء للفتنة وحقنا لدماء المسلمين ، كـان معاوية احد عظماء الفاتحين في الاسلام ، فقـد وصلت طلائع جيوشـه الى شواطىء المحيط الاطلسي في الشمال الافريقي ، وفي ايامه تم فتح السودان ، وكان اول من حاصر القسطنطينية (اسطنبول) برا وبحرا ، ومعـاوية هـو الذي قـام بانشاء اول اسطول بحري للاسلام ، وهو اول حاكم مسلم قام باول حملة بحرية ضد الرومان في البحر الابيض المتوسط ، وقـام اسطوله باحتلال جزائر كريت ورودس وقبرص ، وجزر الدردنيل ، ويقدر بعض المؤرخين اسطول الاسلام الذي انشاه معاوية بالف وسبعمـائة سفينة . يعيب عليه الكثير اخذه البيعة لابنه يزيد الذي لم يكن اهلا لها ، ومطاعن الشيعة فيه اكثر من أن تحصى وغلاتهم يعتبرونه كافرا ، مـات معاوية بدمشق سنة ستين من الهجرة .

(٢) هي أم المؤمنين ، عائشة بنت ابي بكر الصديق غنية عن التعريف ، افقه نساء المسلمين واكثرهن علما بالدين والادب ، تزوجها النبي (ص) في السنة الثانية من الهجرة ، كانت اكثر النسـاء حديثا عن رسول الله . روى المحدثون عنها ٢٢١٠ حديثا . كانت احب نسـاء رسول الله (ص) اليه ، شهدت معركة الجمل ، وكانت من الناقمين على قتلة عثمان ، توفيت (رض) سنة ثمان وخمسين من الهجرة .

في اسبابها ومسبباتها ، وتنشرها بين الطلبة تدريسا ومطالعة ومحاضرة ، وكأنها وحدها هي التاريخ الاسلامي .

بينما تهمل اهمالا كاملا ، باقي الجوانب الوضاءة المشرقة التي يمكن ان تكون حافزا للشباب المسلم على السير في طريق الرجولة والتضحية والاستقامة تحت لواء القرآن .

ولا شك ان هذا عمل تخريبي مقصود ، سارت عليه هذه الفئات الآثمة في المدرسة والجامعة ، منذ عشرات السنين ، لتثبيت دعائم الاستعمار الثقافي والفكري – الذي هو الاستعمار الاكبر – والذي قرر الاعداء ان يكون خليفة الاستعمار السياسي – الذي هو الاستعمار الاصغر – ، وهذا ما حدث فعلا ، عندما رحل الاجنبي بجلدته عن اكثر الاوطان الاسلامية .

ان القصد من اهمال التاريخ الاسلامي – الا ما كان نادرا ، او خلافا بين المسلمين او مجونا ولهوا من بعض حكامهم – هو قطع الصلة بين الشباب المسلم وبين الاطلاع على الصفحات الناصعة المشرقة ، من تاريخ اسلافهم المجيد، الذي يخشى الاجنبي الحاقد على الاسلام ، ان يحملهم النظر في هذا التاريخ على التأسي باولئك الابطال الميامين الذين اجتذبهم الاسلام من الكهوف واغوار الوديان ، حفاة اشباه عراة ، ثم أقعدهم (بعد ان صهرهم في بوتقة الايمان) امام دفة قيادة الدنيا ، فصنعوا بالاسلام ، وصنع الاسلام بهم تاريخا ، لم تشهد الدنيا مثله في البناء والعظمة والنزاهة والاشراق ، من لدن آدم حتى يومنا هذا .

تاريخا لو اعتنى به الاستاذ في مدرسته والعميد في

جامعته : لصنعت لنا هذه المدارس والجامعات ، شبابا قويا في عقيدته ، متينـــا في خلقـــه ، عظيمـــا في بطولته ، فذا في استقامته ، مفلح في قيادته .

شبابا بامكـــانه ان يجمع بين صدق ابي بكر ، وعدل عمر ، ونبل عثمان ، وبسالة علي ، وفروسية خالد ، وحنكة عمرو ، وحلم معاوية ، واقدام ابن الزبير .

ولمـــا خلقت لنا هذه المشكلة الخطيرة التي نواجهها في كل قطر اسلامي .. مشكلة هذا القطيع الهائج، ممن يسمون أنفسهم التقدميين ، المتحررين ، الذين اصبحوا ، أشد ضررا على الاسلام ، واعظم تجريحا لتاريخه من اعدائه الاصليين الذين قاموا بتفريخهم في معـــامل استعمارهم الثقافي ، أيام سيطرتهم وحكمهم .

ولكنه الاستعمار الحقود ، وسماسرته من المحسوبين علينا ، دبروا (في غفلة منا طويلة) خطة اغتيال هذا التاريخ، ونجحوا في اهالة التراب عليه ، بأيدي رجال ينتسبون الينا، فلم يبقوا منه في مقررات التدريس، الا مقاطع لا تصلح لشيء، الا للنيل من ماضي الاسلام والطعن على بناة دولته ، والتشهير بمن قادوا معارك الاسلام والحط من مكانتهم (٣) كتطاولهم

---

(٣) قرأت مرة قصة فلم في مجلة المصور ، عن خالد بن الوليد واذا أبرز ما في الفلم قصة قتل مالك بن نويرة وغرام خالد بزوجة القتيل نوار التي يقول بعض المؤرخين ان خالدا تزوجها بعد قتله ابن نويرة (كمرتد) في حروب الردة ، واوجع منظر رأيته ان ممثل البطل في الفلم ، قد ظهر ملتصقا (في حالة مزرية) بممثلة اخرى ، على اعتبار ان هـذا الممثل هو خالد بن الوليد ، والممثلة نوار ، زوجة القتيل مالك بن نويرة ، وهكذا =

على عثمان وابن الزبير (٤) ومعاوية وعمرو بن العاص (٥) . وتوسعهم في نشر ما يظنه خصومهم طعنا في دينهم وأمانتهم،

= يشن فروخ الاستعمار حربا واسعة على قادة الاسلام وابطاله حتى في الافلام السينمائية .

فقد عز على هؤلاء العملاء ان يمر هـذا الفلم في جميع ادواره مرور البطولة الكاملة المنزهة عن نزوات الجنس ، فافسدوه بذلك المنظر الذي كان من اسباب كساده .

(٤) هو عبدالله بن الزبير بن العوام اشهر من نار على علم ، كان فارس قريش في زمنه ، كان احد القادة الذين اشتركوا في فتح تونس ، وهو الذي قتل جرجس ملك الرومان هناك ، نازع بني امية الخلافة، اعلن نفسه خليفة عقيب موت يزيد بن معاوية ، فتمت له السيطرة على الحجاز ومصر والعراق واليمن وخراسان واكثر الشام ، كانت له مع الامويين وقائع رهيبة ، تغلب عليه عبد الملك بن مروان في آخر الامر ، حاصرته جيوش الشام في الحرم بقيادة الحجاج ، فقاتل قتال الابطال حتى قتل وهو في الثمانين وذلك سنة ثلاث وسبعين . كان اول مولود في المدينة بعد الهجرة، استمرت خلافته تسع سنين .

(٥) هو عمرو بن العاص بن وائل السهمي القرشي ، قال صاحب كتاب (الاعلام) كان احد عظماء العرب ودهاتها واولي الرأي والحزم والمكيدة فيهم ، كان عمرو من اشد الناس على رسول الله (ص) في الجاهلية ، سافر الى الحبشة للايقاع بالمسلمين فيها عند النجاشي فلم يفلح ، اسلم في هدنة الحديبية وكان اسلامه وخالد بن الوليد في آن واحد، ولاه الرسول قيادة جيش (ذات السلاسل) وامده بأبي بكر وعمر، ثم جعله عاملا على منطقة عمان ، كان احد القادة الاربعة الكبار الذين تولوا فتح الشام ، اليه يعود الفضل في فتح فلسطين ومصر ، ولاه ابن الخطاب امارة فلسطين ثم مصر ، عزله عثمان عن الامارة ، كان في جانب معاوية ايام الفتنة ، وتولى مصر بعد ان تم الامر لمعاوية ومات وهو امير عليها، كان ابن الخطاب من المعجبين برجاحة عقله ودهائه ، كان يقول اذا رأى رجلا يتلجلج في كلامه .. ان خالق هذا وخالق عمرو بن العاص واحد ، توفي (رض) في مصر سنة ثلاث واربعين من الهجرة .

وكتعمدهم الاسهاب في نظرية ابي ذر الغفاري رضي الله عنه التي خالف بها جميع الصحابة ونفاه الخليفة الثالث من أجل التمسك بها .. الى الربذة .

وكتوسعهم في تدريس القصص والتمثيليات (المفتعل اكثرها) التي تصور بذخ ومجون بعض الخلفاء من بني أمية وقادتهم الذين لم يكره الصليبيون والوثنيون والمجوس ، محاربين اسلاميين اعظم منهم .

لأن زحف الاسلام وقوته العسكرية وهيبته السياسية وصلت (ايام هؤلاء الخلفاء والقادة) الى درجة لم يصل اليها احد قبلهم ولا بعدهم .

فبينما كانت جيوشهم تتوغل في احشاء اوروبا الغربية، ويقف منها (ايام بني امية) خمسمائة الف مقاتل على بعد ثلاثمائة كيلومترا من باريس ، كانت مئات الآلاف من جنود دمشق الاموية . وقادتها تندفع كالطوفان نحو الشرق جارفة امامها معالم الوثنية وآثار المجوسية .

وهذا هو السبب في الحقد المشبوب من هذا الثالوث المعادي على هؤلاء القادة والخلفاء ، هذا الحقد الذي نراه متمثلا فيما يدرسه وينشره ويذيعه فروخ الصليبيين من أدعياء الاسلام ، من طعن في خلفاء الاسلام وكبار قادته ممن خاض الاسلام بقيادتهم أعنف المعارك ضد الصليبيين في الغرب والوثنيين والمجوس في الشرق .

ان اهمال التاريخ الاسلامي في فصل المدرسة ومدرج الكلية او الاقتصار على مقاطع مشوهة مما نسب اليه ـ ،

انما يخدم الاعداء ويزهد الشباب المسلم ، بل ويكرّهه في تاريخ الاسلام .

وهذا اقصى ما يهدف اليه اعداء الاسلام الذين نجحوا (بواسطة المخربين من ابنائه) في أن ينحرفوا بالشباب المسلم (الا من عصم الله ، وقليل مــا هم) عن الاتجاه الاسلامي الصحيح ، واتجهوا به نحو اوروبا وحضارة وعظمة رجالها، حتى أصبحوا لا يرون شيئا جديرا بالدرس وأولى بالاعجاب والتقدير الا ما كان آتيا عن اوروبا ، واوروبا وحدها .

والسبب في ذلك انهم (منذ تفتح أعين عقولهم) ، وطيلة مراحل التدريس لم يسمعوا ولم يقرأوا في معرض تاريــخ البطــولات والمعــارك والحضارات والتضحيــة والعلوم الا عن معــارك الطرف الاغر ، ووقــائع (واترلو) وبطــولات انطونيو ، وغرام كليوبترا، وشجاعة نابليون وثبات ولنجتون، وبسالة نلسون ، ومغامرات كرستوف كولمبس ، وحضارات الفراعنة ، ومدنيات روما ، وفلسفــات اليونان ، وصلاح سانت ماريا ، وعفة جان دارك ، وغير ذلك ممــا لا يجعلون معه أي مكان في ذهن الطالب المسلم لما يجب ان يعرفه عن تاريخ دينه ، وأخبار بطولات رجــالاته ، وشجــاعة قادته ، ونزاهة حكامه ، وعدل خلفــائه ، واشراق حضاراته وعظمة مدنياته ونباهة علمائه ، وذكاء فلاسفته .

والأغرب من هــذا ان هؤلاء الآثمين في حق التاريــخ الاسلامي ، عندما يضطرون الى التحدث عن تاريخ الاسلام ، يتجنبون ذكر الاسلام كليا ، ويتحدثون عنه كتــاريخ قومي مجرد ، وكأنه قد بنته سواعد لا علاقة لها بهذا الدين البتة.

سألت (مرة) احد هؤلاء الحائزين على الشهادات العالية من تلك الجامعات ، سألته عن معركة الصواري ، فاستغرب هذا الاسم ، وقال ضاحكا ، انه لم يسمع بمعركة تحمل هذا الاسم الغريب .

بينما هذه المعركة تعد من اهم المعارك البحرية الفاصلة في تاريخ حروب الاسلام والامبراطورية الرومانية ، فقد هزم الاسطول الاسلامي الاسطول الروماني في هذه المعركة شر هزيمة لم تقم بعدها للرومان قائمة وذلك في عصر الخليفة عثمان بن عفان وبقيادة الامير عبدالله بن سعد بن ابي سرح بالقرب من المياه التونسية .

ولكني عندما سألت هذا الجامعي المثقف (الذي يجهل معركة الصواري) عندما سألته عن معركة الطرف الاغر (٦) اخذ يشرح لي تفاصيل هذه المعركة وكأنه احد الذين شهدوها ، فقد اندفع يتحدث عن بسالة نلسون وثباته وكيف جرح وهو على ظهر سفينة القيادة يدير دفة المعركة ، وكيف انهزم الاسطول الفرنسي بعد أن خسر ثماني عشرة سفينة وكيف اسر الانكليز قائد الاسطول الفرنسي .

وما هذا الجهل بالتاريخ الاسلامي والالمام بالتاريخ الاجنبي الا حصيلة التثقيف الحديث الذي أخذه شبابنا المسلم حسب المخطط التعليمي الذي وضعه اعداء الاسلام منذ عشرات السنين .

---

(٦) معركة بحرية شهيرة دارت بين الاسطول الفرنسي والبريطاني بالقرب من الشواطىء الاسبانية في عهد نابليون بونابرت عام ١٨٠٥ م

نسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته المثلى ان يثبتنا على ديننا ويأخذ بأيدينا للسير على الصراط السوي انه على كل شيء قدير .

محمد احمد باشميل

مكة المكرمة .. رمضان المبارك ١٣٨٢ هـ — ١٩٦٣م

بَدْر

بدر ـ بفتح أوله وسكون ثانيه ـ ماء من مياه العرب الشهيرة واسواقهم المشهورة ، وقد اطلق على هذا المكان اسم أول من حفر بئرا فيه وهو رجل من غفار ، واسمه : بدر بن قريش بن مخلد بن النضر بن كنانة .

وقال الزبير بن بكار ، هو قريش بن الحارث .. سميت به قريش قريشا ، فغلب عليها ، لأنه كان دليلها وصاحب ميرتها، وكانوا يقولون جاءت عير قريش، وخرجت عير قريش، وابنه بدر بن قريش . به سميت بدر التي كانت بها الواقعة المباركة (٧) .

تقع بدر جنوب غرب المدينة ، والمسافة بينها وبين المدينة ـ بطرق القوافل التي سلكها الرسول (ص) ـ حوالي ١٦٠ ميلا .

كما ان بدرا تقع شمالي مكة ، والمسافة بينها وبين مكة ـ بطرق القوافل القديمة التي سلكها المشركون ـ حوالي ٢٥٠ ميلا .

اما المسافة اليوم بين مكة وبدر ـ بطرق السيارات ـ فهي ٣٤٣ كيلومترا ، والمسافة بين المدينة وبدر بهذا الطريق فهي ١٥٣ كيلومترا .

اما المسافة بين بدر وساحل البحر الاحمر الواقع غربيها فهي حوالي ثلاثين كيلومترا .

---

(٧) عمدة الاخبار ص ٢٣٨ .

الفصل الأول

ما قبل المعركة

* بدء الصراع بين الاسلام والوثنية في مكة .
* حرب الدعاية والتشويش والايذاء ضد النبي .
* قريش تنذر ابا طالب بحرب اهلية .
* ابو طالب يرفض الانذار .
* فرض العزل المدني والحصار الاقتصادي على بني هاشم وبني المطلب .
* فشل سياسة العزل والحصار .

قبل الدخول في تفاصيل هذه المعركة ، لا بد من القاء نظرة عابرة على الحوادث والتطورات الهامة التي سبقت هذه المعركة مما له علاقة بها ويعد بعضا من أسبابها .

لقد استمر الرسول (ص) في منطقة مكة ثلاث عشرة سنة ، وهو يدعو الى ربه مناضلا ومجاهدا من اجل نشر العقيدة التي القى الله تعالى على عاتقه مهمة نشرها .

وقد كان جهاده (طيلة تلك السنين) جهادا سلميا بحتا لم يشهر فيه سلاحا . وكان خصوم دعوته من جانبهم

(كذلك) يسلكون كافة السبل ويعملون بكل الوسائل لمقاومة دعوة الاسلام وقطع تيار نورهـا عن اقوامهم ، (بالايذاء ، بالتهديد ، بالمقاطعة) الا الحرب .

فقد اقتصرت قريش (اول الامر) في مقاومتها لدعوة الاسلام ، على استخدام وسائل الاعلام والنشر للتشويش على صوت هذه الدعوة الكريمة لئلا يصل (او لكي يصل على غير حقيقته) الى الاسماع .

ففي داخل مكة جندت قريش السفهاء ، واستخدمت القاصّين والشعراء ليقوموا بحملات السخرية والاستهزاء ضد النبي (ص) ويشنوا عليه حرب أعصاب قاسية بغية اقلاقه ومضايقته والتضييق على الذين اتبعوه رجاء ان ينفضّوا من حوله .

ولقد لاقت هذه الحملات من قريش نجاحـا كبيرا في اول الامر ، حيث تمكنت من عزل النـاس عن النبي (ص) ودعوته عزلا يكاد يكون تاما .. قال ابن هشام :

« ان أشد ما لقي رسول الله (ص) من قريش انه خرج يوما فلم يلقه أحد من الناس الا كذّبه وآذاه ، لا حر ولا عبد فرجع (ص) الى منزله (مغتمّا) فتدثر من شدة ما اصابه ، فانزل الله تعالى عليه (يا ايها المدثّر ، قم فأنذر) ، الآية » .

تنظيم الحملات الدعائية ضد النبي

اما في مجال الدعاية الخارجية (ونعني بها العمل على صد غير القرشيين عن دعوة الاسلام) فقد كـان القرشيون (في هذا المجال) يقومون بأعمـال المقاومة على شكل وفود وبعثات تشويش وتضليل ، وكانت اهم حركات تلك المقاومة ،

هي حركات تلك الجماعات المنظمة التي كانت قريش تشكلها كل عام عند اقتراب موسم الحج لبلبلة افكار الحجاج وتشويش اذهانهم وتشكيكهم فيما يقوله النبي (ص) ويدعو اليه .

لقد فشلت قريش في ايقاف تيار دعوة محمد (ص) ــ بالرغم من النجاح الذي احرزته ضدها اول الامر ــ عن طريق حرب الاستهزاء والسخرية والاستعداء والتنفير التي كانت تقوم بها داخل مكة ــ فقد ظل النبي (ص) ثابتا على دعوته لم يتزحزح .

فبدلا من ان ينكمش نشاط دعوته ويتلاشى داخل مكة (كما كانت تطمع قريش) نقل هذا النشاط الى خارج النطاق القرشي ، حيث اخذ في الاتصال بوفود الحجيج من مختلف قبائل العرب التي كانت كلها يوم ذاك على دين الوثنية ، وصار يشرح لهم دعوته واهدافها ويدعوهم الى اعتناق الاسلام .

برلمان مكة يجتمع

وهنا اتسع نطاق دائرة الخطر بالنسبة لمركز قريش الروحي الممتاز بين العرب ؛ فقد خافت قريش مغبة تزايد هذا النشاط النبوي بين وفود الحجيج ، ولذلك سارع زعماء مكة الى الاجتماع في برلمان قريش (دار الندوة) للتشاور فيما يجب اتخاذه من وسائل فعالة يضمنون بها حدا للنشاط المتزايد الذي يقوم به صاحب الدعوة الجديدة النبي محمد (ص) مما اعتبروه خطرا على دينهم وشتما لآلهتهم .

وقد استعرض المجتمعون الموقف من جميع نواحيه وناقشوه مناقشة طويلة واستمعوا الى مختلف الحلول والاقتراحات التي تقدم بها بعض الرؤساء والقادة .

وكان اول الخطباء في (برلمان مكة) الوليد بن المغيرة المخزومي الذي تحدث الى المجتمعين قائلا :

يا معشر قريش انه قد حضر هذا الموسم (يعني الحج) وان وفود العرب ستقدم عليكم فيه ، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا (يعني النبي ـ ص ـ) ، فأجمعوا فيه رأيا واحدا ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضا ، ويرد قولكم بعضه بعضا ، قالوا : فأنت يا ابا عبد شمس ، فقل واقم لنا رأيا نقول به ، قال .. بل انتم فقولوا اسمع ، وهنا تعاقب الخطباء للادلاء بآرائهم ، فقال احدهم .. نقول كاهن .. فقال الوليد .. لا والله ما هو بكاهن ، لقد رأينا الكهان فما هو بزمزمة الكهان (٨) ولا سجعه ، فقالوا .. نقول مجنون .. قال : ما هو بمجنون ، لقد رأينا المجنون وعرفناه ، فما هو بخنقه ، ولا تخالجه ، ولا وسوسته ، قالوا .. فنقول شاعر ، قال ما هو بشاعر ، لقد عرفنا الشعر كله ، رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه ، فما هو بالشعر ، قالوا .. فنقول ساحر ، قال .. ما هو بساحر ، لقد رأينا السحار وسحرهم ، فما هو بنفثهم ولا عقدهم ، قالوا : فما نقول يا أبا عبد شمس ؟؟ فقال لهم (في صراحة) : والله ان لقوله لحلاوة ، وان أصله لعذق (٩) ، وان فرعه لجناة ، وما

---

(٨) الزمزمة ، الكلام الخفي الذي لا يسمع .

(٩) العذق (بفتح أوله) النخلة .. يشبهه بالنخلة التي ثبت اصلها وقوي وطاب فرعها اذا جنى .

انتم بقائلين من هذا شيئا الا عرف انـــه باطل ، ثم قال لهم الوليد :

وان اقرب القول فيه لأن تقولوا ساحر ، جـاء بقول هو سحر يفرق بين المرء وابيه ، وبين المرء واخيه ، وبين المرء وزوجته ، وبين المرء وعشيرته ، وقد وافق المجتمعون عـلى هذا الاقتراح الذي قدمه الوليد بن المغيرة بالاجماع .

منظمات التشويش

وتنفيـذا لهـذا الاقتـراح نظمت قريش جمـــاعات مخصوصة كلفتها بالمرابطة في كل سبيل يمر به القادمون الى الحج لتذكر لهم امر النبي (ص) وانه ساحر يفرق بين المرء وابيه الخ ، وتحذرهم الاستماع اليه والاصغاء لما يقول .

قال ابن اسحاق .. فجعل اولئك النفر يقولون ذلك في رسول الله (ص) لمن لقوا من الناس .. وصدرت العرب من ذلك الموسم بأمر رسول الله (ص) ، فانتشر ذكـره في بلاد العرب كلها .

غير ان كل هــذه المقاومة الدعـائية او الحرب الباردة (كما يسمونهـا اليوم) لم تستفد قريش منها شيئا ، فلم تفت في عضد النبي (ص) ولم توهن من عزمه كل المشاغبات والعراقيل والاتهامات التي قامت بهـا قريش لصد الناس عن الاسلام ، والتاثير على حامل رسالته رجاء ان يتخـاذل فيتخلى عن دعوته ، بل ظـل النبي الاعظم (ص) صامدا في وجه كل هذه الاحداث المتعبة ، يواصل الدعـوة الى ربـه صابرا محتسبا ، غير آبه بكل ما يعترضه من عراقيل ، فزاد

أمره انتشارا ، وتزايد عدد الذين اتبعوه على دينه ، مما ضاعف قلق قريش وزاد من حيرتها .

التهديد بالحرب الاهلية

ولما رأى قادة مكة انهم قد فشلوا في حربهم الدعائية المنظمة التي شنوها على النبي (ص) ودعوته ، وتأكد لديهم تصميم الرسول على المضي في دعوته مهما كلفه الامر ، سلكوا سبيلا آخر لاجبار النبي محمد (ص) على التخلي عن دعوة الاسلام التي قامت على اساس هدم الوثنية التي هي دين القرشيين يوم ذاك .. سلكوا سبيل التهديد بالحرب ان لم يكف محمد (ص) عن عيب آلهتهم ودعوة الناس الى اعتزالها .

ولما كان ابو طالب (وهو عم النبي وكافله بعد جده عبد المطلب) بمثابة الحامي لرسول الله (ص) والذائد عنه بين هذه القبائل الناقمة عليه ، فقد قررت قريش ارسال وفد الى ابي طالب ليبلغه احتجاجها الشديد على ما يقوم به ابن اخيه النبي محمد (ص) من عيب لآلهتها وتحقير لاوثانها ، وقد فوض برلمان مكة اعضاء هذا الوفد بأن يحذر عميد الاسرة الهاشمية (يوم ذاك ابا طالب) من حرب اهلية قد يندلع لهيبها اذا ما استمر ابن اخيه في دعوته القائمة على هدم الوثنية ونبذ الاصنام ، واستمر هو (اي ابا طالب) في حمايته لابن اخيه وسكوته على ما يقوم به من نشاط معاد لدينهم .

وفد قريش عند ابي طالب

وفعلا اجتمع وفد دار الندوة بعميد الاسرة الهاشمية

بمقره في نادي بني هاشم .

وعلى مسمع من اقطاب اسرة بني عبد مناف تكلم رئيس الوفد وقال :

« يا ابا طالب .. ان لك سنا وشرفا ومنزلة فينا ، وانا قد استنهيناك من ابن اخيك فلم تنهه عنا ، وانا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه أحلامنا ، وعيب آلهتنا ، حتى تكفه عنا ، او ننازله واياك في ذلك حتى يهلك احد الفريقين » ، أو كما قال له .

ولقد اثرّت كلمات هذا الانذار الشديد على ابي طالب تأثيرا كبيرا ، ودب عند سماعها ضعف الشيخوخة في نفسه فكاد يرضخ للانذار .

فقد بعث الى رسول الله (ص) ، ولما حضر ابلغه خبر الوفد الذي جاء اليه بشأنه ، وحدّثه عن الانذار الشديد الذي تبلغه من قبائل قريش على لسان ذلك الوفد ، ثم قال له طالبا منه الكف عن عيب آلهتهم : « فابق علي وعلى نفسك ولا تحمّلني من الامر ما لا أطيق » .

وكان هذا كافيا لأن يفهم النبي (ص) أن عمه قد ضعف عن نصرته وفكّر في التخلي عنه .

الا أن النبي (ص) امام هذا الحدث العظيم اعلن ــ دونما اي تردد او تلجلج ــ بأنه غير مستعد للدخول في اية مساومة على حساب الاخلال بالامانة العظمى التي كلفه الله بأدائها ، حتى وان تخلى عمه أبو طالب عن نصرته .

فقد قال لعمه (وفي عزم يدك الجبال) : « يا عمّ ،

والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن اترك هذا الامر ما تركته » ، ثم غادر المجلس .

ابو طالب يرفض الانذار

غير ان هذه الكلمات النبوية كان وقعها على نفس ابي طالب اشد من وقع كلمات الانذار الذي سمعه من وفد قريش ، فلم يكد يسمع هذه الكلمات العظيمة من ابن اخيه النبي حتى عاد اليه صوابه ، فقد نسي قريشا وتناسى قوتها امام تلك الكلمات النبوية الرائعة ، ونادى ابن اخيه محمدا (ص) ــ وكان قد ولى خارجا ، ــ فقال له .. اقبل يا ابن اخي ، فلما أقبل عليه رسول الله (ص) قال له :

« اذهب يا ابن أخي ، فقل ما احببت ، فوالله لا اسلمك لشيء ابدا » .

وقد كان أبو طالب يعرف ماذا سيكون رد الفعل من جانب قريش ازاء تصريحه بحماية ابن اخيه وعدم التخلي عنه ، ولذلك فقد استدعى زعماء بني هاشم وبني المطلب ، وابلغهم خطورة الموقف (بعد التصريح الذي أدلى به وتحدثت به مكة كلها) وطلب منهم أن يكونوا بجانبه لحماية محمد من قريش ، فاستجاب له جميع بني المطلب وبني هاشم (مسلمهم وكافرهم) الا ابا لهب (عم النبي ــ ص ــ) فانه صارحهم المداوة ورفض الانضمام اليهم وانضم الى خصومهم .

وبهذا التصريح الذي ادلى به أبو طالب وأبلغه زعماء مكة رسميا، دخل النزاع بين الوثنية والاسلام في طور جديد،

وازدادت مخاوف قريش اكثر من ذي قبل ، لا سيما بعد موقف التحدي الذي وقفته من قريش الغاضبة على النبي ، قبيلتا بني هاشم وبني المطلب اللتان كان لهما وزنهما الكبير بين القبائل المكية ، سواء كان ذلك في ميدان الحرب او السياسة .

ولا شك ان قريشا قد فكرت في شن حرب دموية على قبيلتي بني هاشم وبني المطلب، بسبب موقفهما الحازم من صاحب رسالة الاسلام ، ولكن عقلاء قريش خافوا مغبة هذه الحرب الاهلية التي خوفهم منها دائما هو الذي كان يحول بينهم وبين الاقدام على قتل النبي الاعظم (ص) .

ولذلك عدلوا هذه المرة (ايضا) عن اتباع خِطة الحرب الدموية لمقاومة دعوة الاسلام (ولو مؤقتا) ولجأوا (بدلا عنها) إلى حرب المقاطعة ، وهي لا شك حرب قاسية لا تقل ضررا عن الحرب الدامية ، ففرضوا الحصار الاقتصادي على قبيلتي بني هاشم وبني المطلب ، كما اتبعوا خطة عزل هاتين القبيلتين عن المجتمع القرشي عزلا تاما .

قريش تساوم الرسول شخصيا

غير ان قريشا قبل ان تقدم على تنفيذ مخطط الحصار الاقتصادي والعزل الاجتماعي ، لجأت الى مساومة النبي (ص) شخصيا، لعله يقبل المساومة فتنتهي الخصومة.

فقد تحدثت مرة عتبة بن ربيعة في برلمان مكة واستعرض تزايد خطر الدعوة المحمدية بشدة اقبال الناس عليها وخاصة الشباب القرشي ، وكان عتبة هذا من سادات بني عبد

مناف وذوي الحلم والراي فيهم ، وبعد مناقشات ومداولات وافق برلمان مكة (دار النـدوة) علـى انتداب عتبـة هذا شخصيا ، ليتصل بمحمد شخصيا ايضا فيساومه ويعرض عليه كل مـا يمكن ان يرضيه من منصب او جاه او مال لقاء سكوته عن دعوته .

وفعلا تم الاجتمـاع الشخصي بـين الزعيم القرشي (عتبة) والنبي محمد (ص) ، وفي هذا الاجتماع (الذي كاد يكون سريا) قال عتبة لمحمد :

يا ابن اخي انك منـا حيث قـد علمت من المكـان في النسب ، وانـك قـد اتيت قومك بأمـر عظيم فرّقت بـه جماعتهم، وسفهت احلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم وكفّرت به من مضى من آبائهم ، فاسمع مني أعرض عليـك امورا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها .

فقال رسول الله (ص) .. قل يا ابا الوليد اسمع .

قال : يا ابن اخي ان كنت انما تريد بما جئت به من هذا الامر مالا جمعنا لك من اموالنا حتى تكون اكثرنا مالا ، وان كنت تريد به شرفا سودناك علينـا حتى لا نقطع امرا دونك ، وان كنت تريد به ملكا ملّكناك علينا ، وان كان هذا الذي يأتيك رئيا (١٠) تراه لا تستطيع رده عن نفسك، طلبنا لك الطب ، وبذلنـا لك فيه اموالنا حتى نبرئك منـه ، فانه ربما غلب التابع (١١) على الرجل حتى يداوى منه .

---

(١٠) الرئي (بفتح الراء وكسرها) ما يتراءى للانسان من الجن .

(١١) التابع من يتبع الناس من الجن .

فشل خطة المساومة

فلما انتهى عتبة بن ربيعة من حديثه ، قال له رسول الله (ص) .. اقد فرغت يا ابا الوليد ؟؟ قال .. نعم قال (ص) فاسمع مني ، قال .. افعل ، فقال النبي (ص) :

بسم الله الرحمن الرحيم ، حم ، تنزيل من الرحمن الرحيم ، كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون. بشيرا ونذيرا ، فاعرض اكثرهم فهم لا يسمعون (١٢) ، ثم مضى صلى الله عليه وسلم في تلاوة آيات هذه السورة . وعتبة يستمع اليه منصتا وقد القى يديه خلف ظهره معتمدا عليهما ، ولما وصل النبي (ص) الى السجدة منها قطع التلاوة ثم سجد لله تعالى ، وبعدها قال لزعيم قريش ومندوبها (عتبة بن ربيعة) .. قد سمعت يا ابا الوليد ما سمعت فانت وذاك ، وكان النبي (ص) يعني أن جواب قريش على عروضها واقتراحاتها التي حملها عتبة هو ما سمعه عتبة من الآيات القرآنية التي تلاها عليه من سورة السجدة .

ولقد دهش عتبة لبلاغة وروعة ما سمع حتى لقد ارتج عليه فلم يرد على النبي (ص) بكلمة واحدة، بل بمجرد انتهاء الرسول (ص) من تلاوة تلك الآيات البينات على مسامع عتبة، انصرف هذا ماخوذا الى قومه ، وقد تغير رايه في النبي (ص) وتبدل موقفه من دعوته تبدلا جذريا .

وقد عرف زعماء مكة هذا التغير والتبدل في وجه عتبة لما أقبل عليهم، فقال بعضهم (بعد أن راى عتبة قادما) :

---

(١٢) سورة فصلت : آية ١ – ٢ – ٣

نحلف بالله ، لقد جاءكم ابو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به.

وكان عتبة بن ربيعة من خيار القوم ، وذوي العقل الراجح ، وكان مشهورا ببعد النظر واصالة الفكر وحسن السياسة وشدة الصراحة .

ولذلك فانه لما جلس الى زعماء مكة وقالوا (مستفسرين عن نتائج محادثاته مع الرسول ـ ص ـ) : ما وراءك يا ابا الوليد ؟؟ قال :

ورائي اني سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر ، ولا هو بالسحر ، ولا بالكهانة ، ثم قال ناصحا قومه .. يا معشر قريش ، أطيعوني واجعلوها بي ، وخلوا بين هذا الرجل (يعني محمدا ـ ص ـ) وبين ما هو فيه ، فاعتزلوه ، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم ، فان تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وان يظهر على العرب فملكه ملككم ، وعزه عزكم ، وكنتم أسعد الناس به، قالوا.. سحرك والله يا ابا الوليد بلسانه، قال : هذا رايي فاصنعوا ما بدا لكم .

وبدلا من أن تستجيب قريش لنصيحة عتبة بن ربيعة اتهمته بأنه قد وقع تحت تأثير سحر محمد ، فقالوا له .. سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه .. فقال لهم عتبة (بلسان الواثق بما يقول) .. هذا رايي فاصنعوا ما بدا لكم .

سياسة العزل الاجتماعي والمقاطعة الاقتصادية

ولما فشلت قريش في حمل النبي (ص) على التخلي عن دعوته ، عن طريق اغرائه بالجاه والمال والمنصب حيث

لم تنجح وساطة عتبة بن ربيعة في ذلك ، كما فشلت من قبل في اقناع ابي طالب وبني هاشم وبني المطلب بالتخلي عن رسول الله (ص) ، لجأت الى تنفيذ مخطط الحرب الاقتصادية والاجتماعية ضد هاتين القبيلتين (بني هاشم وبني المطلب) ، ففرضت عليهما حصارا اقتصاديا خانقا وعزلا اجتماعيا قاسيا .

فقد اجتمعت في برلمانها للتشاور فيما يجب أن يتخذوه من خطوات حاسمة ازاء الانتصارات المتزايدة التي تسجلها دعوة النبي(ص) يوما بعد يوم، لا داخل مكة فحسب، بل وخارجها بين القبائل المجاورة ، ومما زاد مركز قريش حراجا ان اسلم عمر بن الخطاب وحمزة بن عبد المطلب، وهما رجلان تحسب لهما قريش حسابا كبيرا . وفعلا أحدث اسلامهما ثقلا كبيرا في كفة المسلمين الذين اشتد بهما جانبهم .

موافقة البرلمان على قرار المقاطعة

فازاء هذا كله اتخذ برلمان مكة قرارا يقضي بفرض الحصار الاقتصادي والعزل الاجتماعي على قبيلتي بني هاشم وبني المطلب ، وصمدت هاتان القبيلتان (مسلمهما وكافرهما) في وجه هذا الحصار الشديد، فلم تخذل محمدا بل ظلت بجانبه تحميه بالرغم من الاضرار الجسيمة التي نزلت بها نتيجة لذلك الحصار الشديد .

قال ابن اسحاق ، فلما رأت قريش ان اصحاب رسول الله (ص) قد نزلوا بلدا اصابوا به امنا وقرارا ، وان النجاشي قد منع من لجأ اليه منهم ، وان عمر قد اسلم ، فكان هو وحمزة بن عبد المطلب مع رسول الله (ص) واصحابه، وجعل

الاسلام يفشو في القبائل ، اجتمعوا وائتمروا بينهم ، أن يكتبوا كتابا يتعاقدوا فيه على بني هاشم وبني المطلب ، على ان لا ينكحوا اليهم ولا ينكحوهم ، ولا يبيعوهم شيئا ، ولا يبتاعوا منهم ، فلما اجتمعوا لذلك كتبوه في صحيفة ثم تعاهدوا وتواثقوا على ذلك ، ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيدا على انفسهم .

فلما فعلت ذلك قريش انحاز بنو هاشم وبنو المطلب الى أبي طالب ، فدخلوا معه في شعبه واجتمعوا اليه ، وخرج من بني هاشم ابو لهب (عبد العزى بن عبد المطلب) الى قريش فظاهرهم .

تطور النزاع بعد المقاطعة

وهكذا تطور النزاع بين الفريقين واتسع نطاقه ، حيث لم يعد محمد وحده في الميدان، بل وقفت الى جانبه قبيلتان لا يستهان بهما من قبائل قريش .

ولقد اشتد الحصار على المسلمين ومن معهم من قبيلتي بني هاشم والمطلب ، وتعنتت قريش في مقاطعتها الآثمة ، حتى اقامت مخافر على الطرق المؤدية الى الشعب الذي حوصر فيه المسلمون ، لمراقبة ما قد يتسرب على ايدي بعض ذوي المروءات من طعام الى المحصورين في الشعب ، والدليل على ذلك ان ابا جهل بن هشام كان بنفسه يقوم (احيانا) بأعمال الدورية لهذا الفرض ، فقد التقى أبو جهل مرة بحكيم بن حزام بن خويلد بن أسد ، ولدى تفتيشه وجد غلاما له يحمل شيئا من القمح يريد ايصاله الى عمته خديجة

بنت خويلد (١٣) (زوجة رسول الله ـ ص ـ والموجودة عنده في الشعب) فمنعه من ذلك وحاول مصادرة القمح .

دوام الحصار ثلاث سنوات

وقد دامت المقاطعة التي فرضتها قريش على بني هاشم وبني المطلب ثلاث سنوات كاملة ، عانى المحصورون

---

(١٣) هي أم المؤمنين خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى القرشية ، اول زوجة تزوجها الرسول (ص) وكانت (عند زواجها) تكبره بخمس عشرة سنة ، قتل ابوها في حرب الفجار ، وكانت قبل زواجها من النبي (ص) قد تزوجت من أبي هالة بن زرارة التميمي فمات عنها ، كانت (رضي الله عنها) من أصحاب الاموال الكثيرة ، وكانت ذات نشاط تجاري واسع ، وكانت تستأجر ذوي النشاط للتجارة ، وتدفع لهم رؤوس الاموال (مضاربة) وخاصة في رحلات مكة التجارية المشهورة الى الشام، اتفقت مع النبي (ص) ـ قبل البعثه ـ ليذهب في تجارة لها الى الشام، فتوجه مع القافلة وتاجر باسمها في سوق بصرى في الشام ، وعاد من رحلته تلك رابحا ، وكان (يوم ذاك) قد بلغ الخامسة والعشرين ، وبعد عودته من الشام ارسلت اليه من يعرض عليه الزواج بها فقبل ، وعند ذاك ، ابلغت عمها (عمرو بن أسد بن عبد العزى) رغبتها فوافق مسرورا ، ثم تم عقد زواجها على رسول الله (ص) ـ قبل النبوة ـ فولدت له (صلى الله عليه وسلم) ذكرين هما القاسم (وكان يكنى به) وعبدالله (وهو الطاهر والطيب) ، كما ولدت له اربع اناث وهن : زينب ، ورقية ، وام كلثوم ، وفاطمة (رض) ، ولما بعث رسول الله (ص) كانت اول انسان آمنت به ، كانت (رضي الله عنها) أعلى مثل للزوجة الصالحة الطيبة الحنون ، فقد كانت (رض) بمعاملتها الحسنة وقلبها الطيب المشرق الكبير من اكبر مصادر تخفيف الالام عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أيام اشتداد المحنة عليه في مكة قبل الهجرة ، توفيت بمكة سنة ٣ قبل الهجرة عن عمر دام ٦٤ سنة .

فيها الحرمان الوانا ، وبلغ بهم الضيق غايته ، فلم يكن يتاح لهم الاتصال بالناس او الاختلاط بهم ، فتضرروا لذلك كثيرا .

وقد كانت قريش تهدف من وراء سياسة التجويع والمقاطعة هذه اجبار قوم محمد (من بني هاشم وبني المطلب) على اعتزاله ليعود وحيدا فلا يبقى له ولا لدعوته من خطر .

ولكن هذه السياسة الفاشمة لم تحقق لقريش شيئا مما كانت تهدف اليه ، فلم يزدد محمد (ص) الا اعتصاما بحبل الله وثباتا على عقيدته ، ولم يزدد الذين آمنوا به الا تكتلا والتفافا حوله ، وظل الذين لم يتابعوه على دينه من اهله بجانبه يحرسونه ويذودون عنه ، ولم تؤثر على موقفهم سياسة التجويع والمقاطعة بأي حال من الاحوال .

اما بالنسبة لانتشار الاسلام ، فان تنفيذ مخطط الحصار الاقتصادي والعزل الاجتماعي ضد النبي ومن ناصره وآمن به لم يكن له اثر فعال في منع هذا الدين من الانتشار ، فقد ظلت الدعوة الى الاسلام تشق طريقها وتسجل كل يوم نصرا جديدا ، لا بين اهل مكة فحسب ، بل بين كثير من قبائل العرب خارج مكة ، فقد فشا ذكر الاسلام في شبه الجزيرة العربية باكملها ، مما حمل الكثير على السفر الى مكة للتعرف على هذا الدين الذي جاء به من عند الله ، ثم الدخول فيه بعد الاقتناع بصدقه .

الغاء الحصار الآثم

ظل النبي (ص) ومن تبعه على دينه أو ناصره ممن ليس

على دينه ، ظلوا صامدين ثابتين امام تعنت قريش وتعسفها، وتحدوا ذلك الحصار الآثم بشجاعة وثبات ، بالرغم من انهم كادوا ان يهلكوا جوعا لشدة ذلك الحصار الاقتصادي الخانق ، لولا أن بعض ذوي المروءة والنجدة من مشركي مكة انفسهم ، كانوا يقومون (في ظلام الليل) بتهريب بعض الاطعمة الضرورية اليهم داخل الشعب .

غير أن العنت والتعسف والقسوة اذا كانت قد بلغت من أكثر زعماء مكة غايتها ، فارتكبوا جريمة المقاطعة الاقتصادية والعزل الاجتماعي في حق اخوانهم وابناء عمومتهم واصهارهم من بني هاشم وبني المطلب ، فان ضمائر بعض هؤلاء الزعماء قد تيقظت فشعروا بفدح ما ارتكبت قريش من ظلم وقسوة وتعسف .

فقد تذاكر هؤلاء الزعماء حول بشاعة الجريمة التي ارتكبتها قريش بحق المحصورين في الشعب ، وتعاهدوا على ازالة معالم هذه الجريمة بالسعي الجدي لالغاء ذلك الحصار الآثم .

بل لقد بلغ بهم النبل الى التعاهد على تحقيق هذا المطلب الشريف ، حتى ولو أدى بهم الامر الى ان يمزقوا بايديهم صحيفة المقاطعة الظالمة المعلقة في جوف الكعبة .

النبلاء الخمسة

وكان الذين فكروا في هذا العمل النبيل ونفذوه في النهاية هم :

١ ـ هشام بن عمرو بن ربيعة العامري (١٤)
٢ ـ زهير بن ابي امية بن المغيرة المخزومي (١٥)
٣ ـ المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف (١٦)
٤ ـ البختري بن هشام (١٧)
٥ ـ زمعة بن الأسود بن المطلب الاسدي (١٨) .

فقد عقد هؤلاء الخمسة النبلاء ، اجتماعا سريا فيما بينهم (ليلا) في منطقة الحجون بأعلى مكة ، وتم الاتفاق فيما بينهم على تمزيق الصحيفة ليكون ذلك نهاية المقاطعة الآثمة .

وقد رسموا لتنفيذ ذلك خطة محكمة حيث اتفقوا على ان يقف زهير بن ابي امية بين اندية قريش في المسجد ويشجب ما تضمنته تلك الصحيفة من مقاطعة بني هاشم وبني المطلب ويدعو الى انهاء هذه المقاطعة ، واذا ما عارضه احد من زعماء مكة سارع الى تأييده بقية الخمسة حسب

---

(١٤) اسلم هذا الرجل النبيل (هشام بن عمرو) وحسن اسلامه ، وقد اعطاه النبي (ص) من غنائم معركة حنين خمسين من الابل .

(١٥) هو زهير بن ابي امية بن المغيرة المخزومي ، أسلم هذا الرجل النبيل بعد الفتح ، وهو اخو ام سلمة (زوج النبي صلى الله عليه وسلم)

(١٦) مات مطعم هذا كافرا على ما ذكر ابن حجر في الاصابة .

(١٧) قتل هذا الرجل الشهم (ابو البختري) يوم بدر مشركا ، وقد كان النبي أمر الجند الاسلامي بعدم قتله اعترافا له بالفضل لما له من موقف مشرف في الغاء هذا الحصار الآثم ، ولكن لأمر يريده الله قتله المجذر بن زياد البلوي بعد ان رفض ابو البختري الا القتال .

(١٨) قتل زمعة بن الاسود مشركا يوم بدر ، وقد كان هذا الشاب من أحب ابناء ابيه اليه .

تكتيك منظم اتفق عليه الخمسة في اجتماعهم السري بالحجون .

هذا امر قضي بليل

ففي صبيحة تلك الليلة غدا كل من النبلاء الخمسة الى نادي قومه بالمسجد ، وغدا زهير بن ابي امية فطاف بالبيت سبعا ، ثم اقبل على اندية قريش ونادى بصوت يسمعه الجميع :

يا أهل مكة ، انأكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم هلكى لا يباع ولا يبتاع منهم ؟ ، والله لا اقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة (١٩) .

وهنا ثار ابو جهل غاضبا وصاح بزهير بن أبي امية .. كذبت والله لا تشق ، فقاطع ابا جهل (حسب الخطة المرسومة) زمعة بن الأسود قائلا .. انت والله أكذب ، ما رضينا كتابتها حيث كتبت ، ثم ساند زمعة في قوله ابو البختري بن هشام قائلا .. صدق زمعة ، لا نرضى ما كتب فيها ولا نقر به ، ثم ساند الثلاثة في رأيهم المطعم بن عدي فقال ـ معقبا بالتأييد على قول زمعة وابي البختري ـ صدقتما وكذب من قال غير ذلك ، نبرأ الى الله منها ، ومما كتب فيها ولا نقر به .

---

(١٩) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٧٦

تمزيق الصحيفة وانتهاء المقاطعة

وهنا ادرك ابو جهل ان الامر قد جاء بتدبير سابق ، فقال كلمته المشهورة .. هذا امر قضي بليل .. كما انه ايقن انه من الصعب الحيلولة بين هؤلاء الزعماء الخمسة وبين ما اعتزموا تحقيقه من انهاء المقاطعة ، وان مقاومتهم قد تثير شرا وتشعل حربا ، فتراجع ولاذ بالصمت ، وهنا تقدم المطعم بن عدي الى صحيفة المقاطعة ليمزقها ، ليكون ذلك ايذانا بانتهاء المقاطعة الآثمة ، فوجد الصحيفة قد اكلتها الارضة الا فاتحتها (باسمك اللهم) . وبتمزيق الصحيفة واخراجها من جوف الكعبة اصبح الحصار الاقتصادي والعزل الاجتماعي (الذي فرضته قريش على بني هاشم وبني المطلب) لاغيا .

وبهذا خرج المسلمون ومَنْ ناصرهم من مشركي بني هاشم وبني المطلب منتصرين من محنتهم ، وعادوا من الشعب الى مكة لم تنحن لهم هامة ، يبيعون ويبتاعون كما يشاؤون ، وتنفست الدعوة الاسلامية الصعداء من جديد وازداد نشاطها ، وفشلت (نهائيا) سياسة التجويع والتضييق والمقاطعة .

الفصل الثاني

* التحول الخطير في الصراع .
* اللقاء الاول بين النبي والانصار .
* بيعة العقبة الاولى .
* سفير النبي في يثرب .
* التحالف العسكري بين النبي والانصار .
* قريش تنزعج وتحتج على هذا التحالف .
* هجرة المسلمين قبل النبي الى المدينة .
* برلمان مكة في جلسته التاريخية .
* اجماع قريش على قتل النبي ومنعه من الهجرة .
* فشل المؤامرة ونجاح الهجرة .

لقد ظلت جل اعمال المقاومة القرشية لدعوة الاسلام وحامل لوائها منذ بدات مقتصرة على حرب الدعاية والتضييق والاعنات والمقاطعة ، وكان كفار مكة يظنون ان سلوك هذا السبيل كفيل وحده بأن يحقق لهم ما يصبون اليه من تفرّق الناس عن النبي (ص) وانفضاض اتباعه من

حوله ، وتركه ودعوتـه وحيدا في الميدان ممـا يحقق لهـا الظفر به والقضاء عليه منفردا .

الا انه في اواخر سنوات الصراع حدث تطور سياسي خطير ، اقضّ مضاجع مشركي مكة ، واثبت لهم خطأ ظنهم ، وجعلهم يغيّرون من نظرتهم الى المشكلة ، وهذا التطور هو نجاح النبي (ص) في الاتصال باهل يثرب واقناع الكثير منهم باعتناق الاسلام ، ثم اقامة حلف عسكري بينهم وبين النبي (ص) يمنعونه بموجبه كما يمنعون انفسهم ونساءهم واولادهم .

فقد كان من عادة النبي (ص) أن يفتنم فرصة كـل موسم من مواسم الحج فيعرض نفسه عـلى قبـائل العرب ويشرح لهم دعوته واهدافها ، ويدعوهم الى الاسلام .

واثناء هذا العرض اتصل ببعض رجالات قبيلتي الأوس والخزرج (٢٠) من سكان يثرب ، وهم من قبائل قحطان ، واقوى القبائل العربية وامنعها في الجزيرة .

اول لقاء بين النبي والأنصار

وكان اول من لقي رسول الله (ص) من أهل المدينـة ستـة نفر من شبـاب الخزرج ، التقى بهم (ص) في موسم الحج عند العقبة من منى ، فقال لهم .. من انتم ؟؟.

قالوا .. نفر من الخزرج ..

قال .. امن موالي يهود ؟؟. اي حلفاءهم .

---

(٢٠) انظر ترجمة هاتين القبيلتين في كتابنا (غزوة أحد) .

قالوا : نعم .

قال .. افلا تجلسون اكلّمكم ؟.

قالوا : بلى.. فجلسوا معه، فشرح لهم حقيقة دعوته، ودعاهم الى الله عز وجل ، وعرض عليهم الاسلام وتلا عليهم القرآن ، فوقع قوله من نفوسهم موضع الرضى والقبول ، واستبشروا به خيرا .

وكان هؤلاء الرهط من عقلاء يثرب التيانهكتها الحرب الاهلية المستمر لهيبها بين الأوس والخزرج ، فأمّلوا ان يضع الله بدعوته حدا للحرب الاهلية المدمّرة الناشبة في يثرب .

فقالوا للنبي (ص) ـ بعد ان قبلوا ما عرض عليهم من الاسلام ـ : انا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من المداوة والشر ما بينهم ، فعسى ان يجمعهم الله بك .

وابدوا استمدادهم للنبي (ص) ان يكونوا رسل دعوته الى اهل يثرب قائلين :

فسنقدم عليهم ، فندعوهم الى امرك ، ونعرض عليهم الذي اجبناك اليه من هذا الدين ، فان يجمعهم الله عليه فلا رجل اعز منك ، فكان هؤلاء النفر اول من اسلم من الأنصار.

وكان هذا اللقاء الاول بين النبي واهل يثرب سنة ٣ قبل الهجرة (على اغلب الظن) .

وبعد ان اسلم هؤلاء ، حملوا الى المدينة (ولأول مرة) رسالة الاسلام ، وصاروا يبثونها (بكل جد واخلاص) بين قبائلهم في يثرب ، فلم يستدر العام الا وقد انتشر ذكر

النبي في كل دار من دور اهل المدينة .

واسماء رجال هذه الطليعة المباركة هم :

١ ـ اسعد بن زرارة (من بني النجار) (٢١)
٢ ـ عوف بن الحارث بن رفاعة (من بني النجار) (٢٢)
٣ ـ رافع مالك بن العجلان (من بني زريق) (٢٣)

---

(٢١) هو اسعد بن زرارة بن عدس بن عبيد ، الانصاري النجاري الخزرجي ، كان طليعة الشباب اليثربي المسلم . شهد بيعة العقبة الاولى والثانية ، وكان نقيبا على قبيلته في بيعة العقبة الثانية (وهي المعاهدة العسكرية الاولى التي عقدت بين النبي ـ ص ـ وبين الانصار) ، ولم يكن في نقباء الانصار الاثنا عشر اصغر سنا من اسعد بن زرارة ، كان أسعد هذا ، اول من بايع الرسول (ص) ليلة العقبة ، وكان (رض) أول من صلى بالمسلمين الجمعة ، وذلك في المدينة عندما جاء اليها داعيا الى الاسلام ، قبل الهجرة ، توفي اسعد (رض) والمسلمون يبنون المسجد النبوي ، كان أسعد وذكوان بن قيس أول من ادخل الاسلام الى المدينة ، وذلك انهما (كما ذكر الواقدي) جاءا الى مكة في حاجة لهما لدى عتبة بن ربيعة ، فسمعا برسول الله (ص) فأتياه ، فلما عرض عليهما الاسلام اسلما ، فعادا الى المدينة ، دون ان يتصلا بعتبة بن ربيعة وذلك (قبل بيعة العقبة الاولى) .

(٢٢) استشهد عوف هذا في معركة بدر مع أخيه معوّذ بعد ان شاركا في قتل الطاغية ابي جهل .

(٢٣) هو رافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق الخزرجي ، وذكر ابن اسحاق انه شهد بدرا ، وحكى ابن اسحاق ان رافع هذا كان أول من قدم المدينة بسورة يوسف ، وروى الزبير بن بكار ان النبي (ص) لما لقي رافع بن مالك بالعقبة أعطاه ما نزل عليه في العشر سنين التي خلت ، فقدم به رافع المدينة ثم جمع قومه ، فقرأ عليهم في موضعه من المسجد ، وان مسجد بني زريق اول مسجد قرىء فيه القرآن .. لم اطلع على تاريخ وفاة رافع رضي الله عنه .

٤ ــ قطبة بن عامر بن حديدة (من بني سلمة) (٢٤)

٥ ــ عقبة بن عامر بن نابي (من بني حرام بن كعب) (٢٥)

٦ ــ جابر بن عبدالله بن رئاب (من بني عبيد بن غنم)(٢٦)

بيعة العقبة الاولى

وفي العام التالي للقاء الاول بين النبي والطليعة المباركة (النفر الستة) التقى النبي (ص) ــ وفي موسم الحج ــ باثني عشر رجلا من الأنصار عند العقبة ، فيهم اربعة من الستة الذين التقوا بالرسول (ص) في العام السابق ، وهناك بايعوا رسول الله (ص) بيعة النساء (كما يقول ابن اسحاق) وهي انهم التزموا بموجب هذه البيعة العمل بأحكام الاسلام من فعل الواجبات وترك المحرّمات ، ولم يأت ذكر في هذه البيعة للناحية العسكرية ، لأن هذه البيعة تمت قبل أن يأذن الله لنبيه بالقتال .

سفير النبي في المدينة

وبينما كانت قريش تشدد من ضغطها على النبي (ص) وتضاعف من ايذائها للضعفاء من اتباعه ، كان (ص) يوثق

---

(٢٤) قطبة هذا كانت معه راية بني سلمة يوم الفتح ، شهد بدرا والمشاهد كلها مع رسول الله (ص) ، توفي في خلافة عمر بن الخطاب، وقال ابن حبان مات في خلافة عثمان .

(٢٥) انظر ترجمة عقبة هذا في كتابنا (غزوة احد) .

(٢٦) انظر ترجمته في كتابنا (غزوة احد) .

من صلاته بأهل يثرب ويوسع من نطاق اتصالاته بهم .

فبعد ان تمت بيعة العقبة الاولى ، وانتهى موسم الحج بعث مع القوم الذين عقدوا معه هذه البيعة اول سفير له في يثرب ، ليعلّم المسلمين فيها شرائع الاسلام ويفقههم في الدين ، ويقوم بنشر الاسلام بين الذين لا زالوا على الشرك ..

وقد اختار النبي (ص) لهذه السفارة الشاب الصالح التقي الشجاع (مصعب بن عمير العبدري) (٢٧) ، الذي كان من السابقين الاولين الى الاسلام من شباب قريش .

ولقد اثبت الشاب مصعب انه خير سفير للاسلام اعتمده النبي (ص) لدى اهل يثرب ، فقد قام بمهمته خير قيام ، اذ استطاع بدماثة خلقه وصفاء نفسه ان يجمع كثيرا من اهل يثرب على الاسلام ، حتى ان قبيلة من اكبر قبائل يثرب (وهي قبيلة بني عبد الأشهل) قد أسلمت جميعها على يده بقيادة رئيسها سعد بن معاذ

عودة السفير الى مكة

وبعد ان اطمأن سفير الاسلام الاول (مصعب) الى نجاح الدعوة وشاهد مغتبطا ، سرعة انتشار دين الله بين تلك القبائل القحطانية العظيمة التي صارت فيما بعد أعظم قوة حربية اعتمد عليها الاسلام في عهده الاول ، وبعد ان قضى هذا السفير النبوي بين أهل يثرب تسعة أشهر ، عاد

---

(٢٧) ستأتي ترجمته فيما يلي من هذا الكتاب .

الى مكة يحمل الى رسول الله (ص) بشائر الفوز ، وقدم له تقريرا ضافيا عن النجاح الباهر المطّرد الذي تلاقيه دعوة الاسلام بين قبائل الأوس والخزرج ، وقص على النبي (ص) خبر هذه القبائل ، وما هي عليه من منعة وقوة .. فسر النبي (ص) لهذا النصر العظيم الذي سجلته دعوة الاسلام في يثرب على يد ذلك السفير الشاب التقي الصالح مصعب ابن عمير .

معاهدة العقبة الثانية

وفي العام التالي للبيعة الاولى (اي سنة ٢ قبل الهجرة النبوية) حضر لأداء مناسك الحج من اهل يثرب ثلاثة وسبعون رجلا وامراتان ممن اسلموا ، وقد جاءوا ضمن حجاج قومهم من أهل الشرك .

وبمجرد وصولهم الى مكة ، جرت الاتصالات (سرا) بينهم وبين النبي (ص) وانتهت هذه الاتصالات بالاتفاق على أن يجتمع الفريقان في اليوم الثاني من أيام التشريق ، على أن يتم هذا الاجتماع في سرية تامة وفي ظلام الليل ، وقد حددوا مكانا لهذا الاجتماع .. الشّعب من منى عند العقبة حيث الجمرة الاولى ، أو الشيطان الكبير (كما يسميه العامة اليوم) .

وفي الميعاد المحدد من تلك الليلة ، حضر النبي (ص) الى الشعب عند العقبة واخذ الانصار يتوافدون على النبي، واحدا بعد واحد (في ظلام الليل) خوفا من أن ينكشف امرهم لكفار مكة والمشركين من قومهم أهل يثرب .

ولنترك أحد قادة الأنصار يصف لنا كيف تم ذلك الاجتماع التاريخي الذي كان بداية التحول الخطير في تاريخ الصراع بين الاسلام والوثنية .. وهو كعب بن مالك (٢٨) رضي الله عنه :

قال كعب .. ثم خرجنا الى الحج وواعدنا رسول الله (ص) بالعقبة من اوسط أيام التشريق ، وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله (ص) لها، ومعنا عبدالله بن عمرو بن حرام (٢٩) ، سيد من ساداتنا ، وشريف من اشرافنا ، أخذناه معنا ، وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين أمرنا ، فكلمناه وقلنا له .. يا أبا جابر ، انك سيد من ساداتنا ، وشريف من أشرافنا ، وانا نرغب بك عما انت فيه أن تكون حطباً للنار غداً ، ثم دعوناه الى الاسلام ، وأخبرناه بميعاد رسول الله (ص) ايانا العقبة ، قال .. فأسلم وشهد معنا العقبة ، وكان نقيبا .

قال كعب ، فنمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا ، حتى اذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لمعاد رسول الله (ص) ، نتسلل تسلل القطا مستخفين حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة ، ونحن ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان من نسائنا .. نسيبة بنت كعب ، أم عمارة ، احدى نساء بني مازن بن النجار ، وأسماء بنت عمرو ، وهي ام منيع .. فاجتمعنا في الشعب ننتظر رسول الله (ص) حتى

---

(٢٨) انظر ترجمته في كتابنا (غزوة احد) .

(٢٩) انظر ترجمته في كتابنا (غزوة احد) .

جاءنا ومعه (عمه) العباس بن عبد المطلب ــ وهو يومئذ على دين قومه ــ الا انه احب ان يحضر امر ابن اخيه ويوثق له ، وكان أول متكلم (٣٠) .

بداية المحادثات واول المتكلمين

وهكذا ، وبعد ان تكامل المجلس شرع المجتمعون في المحادثات التمهيدية لابرام التحالف العسكري بين هذه النخبة الممتازة من صفوة الاوس والخزرج وبين النبي (ص).

وكان اول المتكلمين في هذا الاجتماع التاريخي العظيم العباس بن عبد المطلب (رض) ، فقد وقف خطيبا في القوم ليشرح لهم (بكل صراحة) خطورة ما هم مُقدمون عليه ، ويبين لهم (ليستوثق منهم) عظم المسئولية التي ستلقى على كواهلهم نتيجة هذا التحالف العسكري ، فقد قال لهم (فيما رواه ابن اسحاق) :

« يا معشر الخزرج ــ وكان العرب انما يسمون هذا الحي من الانصار .. الخزرج ــ .. ان محمدا منا حيث قد علمتم ، وقد منعناه من قومنا ، ممن هو على رأينا فيه (أي من ناحية الاختلاف في الدين) فهو في عز من قومه ومنعة في بلده ، وانه قد أبى الا الانحياز اليكم ، واللحوق بكم، فان كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه اليه ، ومانعوه ممن خالفه ، فانتم وما تحملتم من ذلك ، وان كنتم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به اليكم ، فمن الآن فدعوه ، فانه في

---

(٣٠) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٤٤١

عز ومنعة من قومه وبلده » .

وبعد ان فرغ العباس من القاء بيانه قال له اليثربيون (بلهجة تأكد العباس من صدقها) : قد سمعنا ما قلت ، ثم التفتوا الى رسول الله (ص) قائلين (في عزم وتصميم وشجاعة وايمان) :

فتكلم يا رسول الله ، فخذ لنفسك ولربك ما أحببت، وبعد ذلك القى الرسول (ص) بيانه ، ثم تم عقد التحالف بين الفريقين .

معاهدة حماية

وقد كانت اهم بنود هذا التحالف من الناحية العسكرية ، هو ان اليثربيين من الخزرج والأوس ، قد تعهدوا بحماية رسول الله (ص) كما يحمون انفسهم ونساءهم واولادهم .

القرآن ودعا الى الله ورغّب في الاسلام ، شرعَ في وضع

القرآن ودعا الى الله ورغب في الاسلام ، شرع في وضع

بنود المعاهدة التي اراد — من هذه النخبة اليثربية المباركة — المصادقة عليها قائلا موجها خطابه الى الانصار :

« ابايعكم على ان تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم » .

فاخذ البراء بن معرور (٣١) بيد رسول الله (ص) ثم

---

(٣١) انظر ترجمته في كتابنا (غزوة احد)

قال .. نعم ، والذي بعثك بالحق (نبيا) لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا (٣٢) ، فبايعنا يا رسول الله ، فنحن والله أبناء الحروب ، وأهل الحلقة (٣٣) ورثناها كابرا (عن كابر) ، وبينما البراء بن معرور يتكلم مؤكدا القيام بالتزام ما يفرض هذا الحلف من دفاع عن النبي ، اعترض أبو الهيثم بن التيهان (٣٤) قائلا :

يا رسول الله ، ان بيننا وبين الرجال حبالا ، وانا قاطعوها ـ يعني اليهود ـ فهل عسيت ان نحن فعلنا ذلك ثم اظهرك الله أن ترجع الى قومك وتدعنا ؟ فتبسم الرسول (ص) ثم قال :

بل الدم الدم ، والهدم الهدم (٣٥) ، انا منكم وانتم مني ، أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم .

وبعد ان ارتضى الانصار (بالاجماع) شروط البيعة وارادوا الشروع في عقدها بالمصافحة طلب منهم العباس بن عبادة بن نضلة الانصاري (٣٦) قائلا (ليعرف مدى استعداد قومه للتضحية في سبيل تنفيذ ما عقدوا لرسول الله (ص) من حلف ومبايعة) :

---

(٣٢) ازرنا اي نساءنا ، والمراة قد يكنى عنها بالازار .

(٣٣) الحلقة (بفتح الحاء) السلاح .

(٣٤) انظر ترجمته في كتابنا (غزوة أحد) .

(٣٥) كانت العرب تقول عند عقد الحلف والجوار .. دمي دمك ، وهدمي هدمك ، وهي كلمة تعني ان ذمتي ذمتك وحرمتي حرمتك ، قاله ابن قتيبة وابن هشام .

(٣٦) انظر ترجمته في كتابنا (غزوة أحد) .

يا معشر الخزرج .. هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل ؟.

قالوا .. نعم .

« قال .. انكم تبايمونه على حرب الاحمر والاسود من الناس ، فان كنتم ترون أنكم اذا انهكت اموالكم مصيبة ، واشرافكم قتلا أسلمتموه ، فمن الآن ، فهو والله (ان فعلتم) خزي الدنيا والآخرة ، وان كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتموه اليه على نهكة (٣٧) الاموال وقتل الاشراف فخذوه، فهو والله خير الدنيا والآخرة » .

قالوا .. « فانا نأخذه على مصيبة الاموال ، وقتل الاشراف » .. ثم التفتوا الى رسول الله (ص) قائلين :

فمالنا بذلك يا رسول الله ان نحن وفينا بذلك ؟.. قال .. الجنة ، قالوا .. أبسط يدك ، فبسط يده ، فبايموه .

معاهدة غير مكتوبة

ولتبادل الثقة المطلقة بين الفريقين استعاضوا (عن تسجيل هذه المعاهدة والتوقيع عليها كتابيا) بالمبايعة بالايدي .. وكانوا يرون ذلك (لشدة ايمانهم ولسجية الوفاء المتأصلة في نفوسهم الشريفة) أعظم من ابرام المعاهدة كتابيا ، فقد بسط رسول الله (ص) لهم يده الشريفة فبايعهم واحدا

---

(٣٧) نهكة الاموال .. نقصها .

واحدا ، وبهذا اعتبرت المعاهدة نافذة المفعول .. هذا من جانب الرجال .. اما الجناح النسوي في هذه الطليعة المباركة .. والذي تمثله امرأتان .. هما ام عمارة ، نسيبة بنت كعب المازنية ، واسماء بنت عمرو ، فلم يبايعن رسول الله (ص) بالايدي لانه (ص) ما صافح امراة اجنبية حتى توفاه الله (٣٨) ، ولذلك كانت مبايعتهما بالموافقة التامة على بنود المعاهدة .

النقباء الاثنا عشر

وبعد ان تمت المراسيم العامة للبيعة بالمصافحة من الجميع ، طلب رسول الله (ص) من المبايعين انتخاب اثني عشر زعيما من زعمائهم ليكونوا نقباء على قومهم وكفلاء مسئولين عنهم في تنفيذ بنود هذه المعاهدة قائلا : أخرجوا اليّ منكم اثني عشر نقيبا ، ليكونوا على قومهم بما فيهم ، فتم انتخابهم في الحال ، وبعد ان قدّموا لرسول الله (ص) اخذ عليهم النبي (ص) العهد (كرؤساء مسئولين) قائلا :

« انتم على قومكم بما فيهم كفلاء ، ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم ، وانا كفيل على قومي » ـ يعني المسلمين ـ قالوا .، نعم (٣٩) .

---

(٣٨) روى الواقدي ان زوج ام عمارة (عربة بن عمرو) قال ـ ساعة ابرام هذه المعاهدة ـ يا رسول الله هاتان امراتان (ام عمارة وام سبيع) حضرتا يبايعنك ، فقال (ص) : قد بايعتهما على ما بايعتكم عليه ، انـي لا اصافح النساء .

(٣٩) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٤٤٦

الجاسوس الذي اكتشف المعاهدة

وقد تم ابرام هذا الحلف العسكري في هدوء تام وانسجام كامل ، غير ان القوم ما كادوا يفرغون من ابرام هذا التحالف حتى اكتشفه احد الشياطين الذين يعملون في مخابرات مشركي مكة ، فقد كان هؤلاء الجواسيس يراقبون حركات محمد (ص) لتزويد زعماء قريش بالمعلومات عن مدى نشاط دعوته ، وخاصة في موسم الحج الذي يتزايد فيه نشاط النبي (ص) بين قبائل العرب التي كان يتصل بزعمائها ويدعوهم وقومهم الى الاسلام .

ولما كان اكتشاف هذا الجاسوس لاجتماع الانصار بالنبي جاء متأخرا ، بحيث لا يمكن ابلاغ زعماء قريش خبر هذا الاجتماع سرا ليباغتوا المجتمعين وهم في الشِّعب ، حيث جاء هذا الاكتشاف في اللحظة الاخيرة من الاجتماع الذي كان على وشك الارفضاض .. لما كان الامر هكذا وقف هذا الجاسوس على مرتفع يشرف على (منى) حيث يخيم الحجيج وصاح بأعلى صوته يلفت نظر قريش الى الخطر الذي يتهددهم قائلا :

يا اهل الجباجب (اي المنازل) .. هل لكم في مذمم (٤٠) والصباة (٤١) معه قد اجتمعوا على حربكم .

---

(٤٠) كان مجرمو كفار مكة يسمون النبي (ص) مذمما

(٤١) الصباة جمع صابي ، وهو (الصابيء) بالهمزة ، وكان يقال للرجل اذا اسلم (في زمن النبي عليه السلام) صابيء .

استعداد الانصار لضرب قريش في منى

وعند سماع الانصار صوت الجاسوس وهو ينبه قريشا الى ذلك الاجتماع في العقبة ، قال احد زعماء الانصار (وهو العباس بن عبادة بن نضلة) وكان احد النقباء الاثني عشر .. قال يخاطب النبي (ص) ـ والاجتماع على وشك الارفضاض ـ : والذي بعثك بالحق ، ان شئت لنميلن على أهل منى غدا بأسيافنا ؟.

الا ان النبي (ص) لم يوافق على فكرة هذا الهجوم قائلا للزعيم الانصاري البطل :

لم نؤمر بذلك ..

ثم سمح رسول الله (ص) لطليعة يثرب المباركة بالانصراف الى رحالهم .

فانصرف ابطال العقبة الى رحالهم في منى وقد ارسوا قواعد النضال المسلح لحماية دعوة الاسلام والدفاع عن حاملها ، وبهذا كتبوا الفصل الاول في تاريخ تحول مجرى الصراع بين الاسلام والوثنية .

قريش تتقدم باحتجاجها على المبايعة

وفي صبيحة تلك الليلة التي تم فيها ذلك الحدث الخطير (بيعة العقبة) وعلى اثر ما نقله اليها جاسوسها من خبر هذه البيعة ، توجه وفد كبير من زعماء مكة وقادتها الى مضارب أهل يثرب في منى ليقدموا احتجاجهم الشديد

على ما تم من ابرام هذا التحالف العسكري بين النبي (ص) وأهل يثرب .

فقد قالوا (في احتجاجهم هذا) .. يا معشر الخزرج ، انه قد بلغنا انكم قد جئتم الى صاحبنا (يعني النبي ص) تستخرجونه من بين اظهرنا ، وتبايعونه على حربنا ، وانه والله ما من حي من العرب ابغض الينا ، ان تنشب الحرب بيننا وبينهم ، منكم .

ولما كان مشركو الخزرج لا يعلمون شيئا عن التحالف الذي تم بين الفئة المسلمة من قومهم وبين النبي (ص) لانه تم في ظلام الليل وفي سرية تامة ، انبرى هؤلاء المشركون من اليثربيين يحلفون بالله لقريش ان شيئا من هذا لم يتم .

حتى ان عبدالله بن أبي بن سلول (٤٢) (زعيم الخزرج) اكد لقريش عدم حدوث شيء من هذا قائلا :

والله ان هذا الامر جسيم ، ما كان قومي ليتفوتوا علي بمثل هذا ، وما علمته كان (٤٣) .

وقد كان الذين قاموا بابرام معاهدة العقبة حاضرين في نادي قومهم ساعة ان تقدم زعماء مكة باحتجاجهم الى زعماء يثرب ، وكان بعضهم ينظر الى بعض وقد لاذوا بالصمت ، فلم يتحدث احد منهم بنفي او اثبات . لا سيما بعد أن رأوا زعماء قريش قد مالوا الى تصديق شركاءهم في الوثنية من زعماء يثرب .

---

(٤٢) انظر ترجمته في كتابنا (غزوة احد) .

(٤٣) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٤٤٩ .

تأكد خبر البيعة لدى قريش

وبعد ان سمع زعماء مكة جواب قادة الخزرج على الاحتجاج الذي تقدموا به عادوا الى منازلهم وهم على ما يشبه اليقين بأن خبر هذه البيعة انما هو من قبيل المبالغة ، ولكنهم (مع هذا) بقي الشك عالقا بنفوسهم حيال هذا الامر ، فأخذوا في التحري يتنطسون الخبر ، فوجدوا أن البيعة قد تمت فعلا ، فقامت قيامتهم فسارع فرسانهم الى مطاردة اليثربيين علهم يظفرون بالذين ابرموا تلك المعاهدة او بعضهم لينتقموا منهم ، ولكن حركة المطاردة هذه جاءت بعد فوات الاوان ، حيث لم تقم قريش بها الا بعد ان نفر الحجيج كل الى وطنه ، الا ان المطاردين تمكنوا من القاء القبض على احد سادات المسلمين اليثربيين الذين اشتركوا في ابرام هذه المعاهدة وهو (سيد الخزرج سعد بن عبادة) الذي عادوا به الى مكة ، والذي أجاره فيما بعد رجلان هما : جبير بن مطعم (٤٤) والحارث بن أمية ، ثم اطلق سراحه .

اسماء الطليعة المباركة من الأنصار

وهنا يجدر بنا أن نحلي جيد هذا الكتاب بذكر اسماء الطليعة المباركة من الاوس والخزرج الذين وضعوا بتحالفهم العسكري مع النبي أسس النضال المسلح لحماية دعوة الاسلام وحامل لوائها من عبث العابثين وطيش المستهترين ، فصاروا بذلك (رضي الله عنهم وارضاهم) طليعة القوات

---

(٤٤) انظر ترجمتهما في كتابنا (غزوة احد) .

لرادعة التي ادّب بها الاسلام (فيما بعد) الجبابرة ونكّس اعلام الطغيان والجبروت .

عدد ابطال معاهدة العقبة

لقد بلغ عدد ابطال هذه المعاهدة العسكرية المباركة ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان .. منهم أحد عشر رجلا من الاوس ، واثنان وستون رجلا وامرأتان من الخزرج (٤٥) . واسماؤهم كما يلي :

من شهدها من الاوس :

آ ــ من بني عبد الاشهل ثلاثة نفر ، وهم :

١ ــ أسيد بن حضير (٤٦) .

٢ ــ أبو الهيثم بن التيهان (٤٧) (حليف لهم) من بلـي .

٣ ــ سلمة بن سلامة بن وقش بن زغبة (٤٨) .

---

(٤٥) انظر ترجمته في كتابنا (غزوة احد) .

(٤٦) انظر ترجمته في كتابنا (غزوة احد) .

(٤٧) انظر ترجمته في كتابنا (غزوة احد) .

(٤٨) سلمة بن سلامةهذا شهد بدرا والمشاهد كلها مع رسول الله(ص) كما شهد بيعة العقبة الاولى مع اسعد بن زرارة ، كان من فضلاء الصحابة، ولاه عمر بن الخطاب اليمامة ، ولما قال عبد الله بن ابـي المنافق (لئـن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منهـا الاذل) قال ابـن الخطاب لرسول الله (ص) ابعث سلمة بن سلامة بن وقش يأتيك برأسـه ، مات سلمة سنة أربع وسبعين هـ .

ب ـ ومن بني جارثة ثلاثة نفر ، وهم :
١ ـ ظهير بن رافع بن عدي (٤٩) .
٢ ـ ابو بردة بن نيار (٥٠) (حليف لهم) من قضاعة.
٣ ـ نهير بن الهيثم (٥١) .

ج ـ ومن بني عمرو بن عوف بن مالك ، خمسة نفر :
١ ـ سعد بن خيثمة (٥٢) .
٢ ـ رفاعة بن عبد المنذر (٥٣) .
٣ ـ عبدالله بن جبير (٥٤) .
٤ ـ معن بن عدي بن الجد (حليف لهم) من بلي .
٥ ـ عويم بن ساعدة (٥٥) .

عدد الذين شهدوا العقبة من الخزرج

آ ـ من بني النجار احد عشر رجلا ، وهم :
١ ـ أبو أيوب الانصاري . . خالدبن زيد بن كليب(٥٦)

---

(٤٩) شهد ظهير بدرا مع رسول الله (ص) .
(٥٠) شهد ابو بردة بدرا والمشاهد كلها مع رسول الله (ص) مات في خلافة معاوية سنة خمس واربعين هـ بعد ان شهد مع علي بن ابي طالب كل حروبه ضد مناوئيه .
(٥١) لم يشهد هذا الصحابي الجليل بدرا .
(٥٢) تقدمت ترجمته في هذا الكتاب .
(٥٣) شهد رفاعة بدرا وقتل شهيدا في معركة خيبر ، وهو اخو ابي لبابة الصحابي الشهير .
(٥٤) كان قائد الرماة في معركة احد ، وقد قتل فيها شهيدا .
(٥٥) انظر ترجمته كاملة في الاصابة .
(٥٦) هو الصحابي الجليل المشهور (بابي ايوب الانصاري) شهد =

٢ ــ معاذ بن الحارث بن رفاعة وهو ابن عفراء .
٣ ــ اخوه عوف بن الحارث .
٤ ــ واخوه معوذ بن الحارث (٥٧) .
٥ ــ عمارة بن حزم بن زيد .
٦ ــ أسعد بن زرارة .
٧ ــ سهل بن عتيك .
٨ ــ أوس بن ثابت بن المنذر .
٩ ــ أبو طلحة ، زيد بن سهل (٥٨) .

= بدرا معرسول الله (ص) والمشاهد كلها ، وكان بيته مقرا لرسول الله (ص) عند هجرته حيث نزل عليه وكان يسكن معه حتى تم بناء المسجد وبيته ، آخى النبي (ص) بينه وبين مصعب بن عمير العبدري ، شهد الفتوحات الاسلامية في عهد الخلفاء الراشدين ، ولاه أمير المؤمنين (علي) المدينة لما توجه الى العراق ، وشهد مع علي قتال الخوارج ، ظل يواصل الجهاد ، كانت آخر غزوة غزاها هي غزوة القسطنطينية في أيام معاوية ، فقد جهز معاوية جيشا عظيما بقيادة ابنه يزيد،وقد حاصرهذا الجيش القسطنطينية من البر والبحر ، وكان فيه ابو ايوب (رض) ، وقد مرض في هذه الغزوة ، فجاءه قائد الجيش يزيد بن معاوية يعوده ، ثم سأله ما حاجتك (يا أبا أيوب ؟) ، قال .. حاجتي ، اذا انا مت فاركب بي ما وجدت مساغا في ارض العدو ، فاذا لم تجد فادفني ثم أرجع ، ففعل يزيد ذلك فدفن ابو ايوب في أرض الروم بالقرب من القسطنطينية (اسطنبول) وكان ذلك سنة خمس وخمسين هـ .

(٥٧) هؤلاء الثلاثة الابطال معاذ ومعوذ وعوف أبناء الحارث ، هم المشهورون بأبناء عفراء ، تقدمت ترجمة معوذ وعوف ، اما معاذ فقد ذكر البعض انه استشهد يوم بدر ، ولم يذكره ابن اسحاق في القتلى ، أما عوف ومعوذ فقد استشهدا يوم بدر ، بعد ان شاركا في قتل (ابي جهل)

(٥٨) تقدمت ترجمته في كتابنا (غزوة احد) .

١٠ ـ قيس بن ابي صعصعة (٥٩) .
١١ ـ عمرو بن غزية بن عمرو .

ب ـ ومن بني الحارث بن الخزرج سبعة نفر ، وهم :
١ ـ سعد بن الربيع (٦٠) .
٢ ـ خارجة بن زيد بن أبي زهير (٦١) .
٣ ـ عبدالله بن رواحة .
٤ ـ بشير بن سعد بن ثعلبة .
٥ ـ عبدالله بن زيد بن ثعلبة .
٦ ـ خلاد بن سويد بن ثعلبة .
٧ ـ عقبة بن عمرو بن ثعلبة .

ج ـ ومن بني بياضة بن عامر ثلاثة نفر ، وهم :
١ ـ زياد بن لبيد بن ثعلبة .
٢ ـ فروة بن عمرو بن وذفة .
٣ ـ خالد بن قيس بن مالك .

د ـ ومن بني زريق بن عامر ، أربعة نفر ، وهم :
١ ـ رافع بن مالك بن العجلان .
٢ ـ ذكوان بن عبد قيس بن خلدة (٦٢) .
٣ ـ عباد بن قيس بن عامر .
٤ ـ الحارث بن قيس بن خالد .

هـ ـ ومن بني سلمة بن سعد احد عشر رجلا ، وهم :

---

(٥٩) انظر ترجمته في الاصابة لابن حجر .
(٦٠) انظر ترجمته في كتابنا (غزوة احد) .
(٦١) انظر ترجمته في كتابنا (غزوة احد) .
(٦٢) انظر ترجمته في كتابنا (غزوة احد) .

١ ـ البراء بن معرور (٦٣) .
٢ ـ سنان بن صيفي بن صخر .
٣ ـ مسعود بن يزيد بن سبيع .
٤ ـ يزيد بن حرام بن سبيع .
٥ ـ جبار بن صخر بن امية .
٦ ـ الطفيل بن النعمان بن خنساء .
٧ ـ معقل بن المنذر بن سرح .
٨ ـ يزيد بن المنذر بن سرح .
٩ ـ الضحاك بن حارثة بن زيد .
١٠ ـ بشر بن البراء بن معرور .
١١ ـ الطفيل بن مالك بن خنساء .

و ـ ومن بني سواد بن غنم بن كعب رجل واحد ، وهو :
١ ـ كعب بن مالك بن ابي كعب .

ز ـ ومن بني غنم بن سواد خمسة نفر ، وهم :
١ ـ سليم بن عمرو بن حديدة .
٢ ـ قطبة بن عامر بن حديدة .
٣ ـ يزيد بن عامر بن حديدة .
٤ ـ أبو اليسر .. كعب بن عمرو .
٥ ـ صيفي بن سواد بن عباد .

---

(٦٣) هو البر بن معرور بن صخر بن سابق بن سنان الخزرجي صحابي فاضل مشهور ، كان سيدا من سادات الانصار وكان من اعلمهم ، وهو اول مسلم استقبل الكعبة حيا ، توفي البراء بن معرور قبل قدوم النبي (ص) الى المدينة بشهر واحد ، ولما وصل النبي (ص) الى المدينة مهاجرا صلى على قبر البراء (رض) وكبر اربعا .

ح ــ ومن بني نابي بن عمرو بن سواد خمسة نفر ،وهم:

١ ــ ثعلبة بن غنمة بن عدي .

٢ ــ عمرو بن غنمة بن عدي .

٣ ــ عبس بن عامر بن عدي .

٤ ــ عبدالله بن أنيس (حليف لهم من قضاعة) .

٥ ــ خالد بن عمرو بن عدي .

ط ــ ومن بني حرام بن كعب بن غنم سبعة نفر ، وهم

١ ــ عبدالله بن عمرو بن حرام (٦٤) .

٢ ــ جابر بن عبدالله (٦٥) .

٣ ــ معاذ بن عمرو بن الجموح .

٤ ــ ثابت بن الجذع .

٥ ــ عمير بن الحارث بن ثعلبة .

٦ ــ خديج بن سلامة بن أوس بن عمرو (حليف لهم من بلي) .

٧ ــ معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس (٦٦) .

---

(٦٤) انظر ترجمته في كتابنا (غزوة احد) .

(٦٥) انظر ترجمته في كتابنا (غزوة احد) .

(٦٦) هو معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عابد بن عدي بن كعب الانصاري الخزرجي ، الصحابي الجليل المشهور ، كان الامام المقدم في علم الحلال والحرام ، قال أبو ادريس الخولاني .. كان ابيضا وضيء الوجه ، وكان شابا سمحا من خيرة شباب قومه ، شهد المشاهد كلها معالرسول(ص) شهد بدرا وهو ابن احدى وعشرين سنة ، وقد امره النبي (ص) على اليمن ، وعندما ولاه النبي (ص) على اليمن كتب اليهم ، اني بعثت اليكم خير أهلي ، توفي رسول الله (ص) ومعاذ باليمن وقدم المدينة في خلافة ابي بكر ، مات بالطاعون في الشام سنة ١٤ هـ روى معاذ عن رسول الله (ص) مائة حديث وسبعة وخمسون حديثا .

ي ــ ومن بني عوف بن الخزرج اربعة نفر ، وهم :
١ ــ عبادة بن الصامت (٦٧) .
٢ ــ العباس بن عبادة بن نضلة .
٣ ــ يزيد بن ثعلبة بن خزمة (ابو عبد الرحمن)
٤ ــ عمرو بن الحارث بن لبدة بن عمرو .

ك ــ ومن بني سالم بن غنم بن عوف رجلان ، وهما :
١ ــ رفاعة بن عمرو بن زيد .
٢ ــ عقبة بن وهب بن كلدة (حليف لهم من غطفان).

ل ــ ومن بني ساعدة بن كعب بن الخزرج رجلان، وهما :
١ ــ سعد بن عبادة (٦٨) .
٢ ــ المنذر بن عمرو بن خنيس .

فهؤلاء هم ثلاثة وسبعون رجلا (من الاوس والخزرج) قاموا بابرام معاهدة العقبة مع النبي (ص) .

المراتان اللتان اشتركتا في المعاهدة

اما المراتان اللتـــان اشتركتا في ابرام معاهدة العقبـــة

---

(٦٧) هو عبادة بن الصامت بن قيس بن آصرم بن فهـر بـن قيس الانصاري الخزرجي الصحابي المشهور ، كان من القواد العسكريين في فتح مصر تحت امرة القائد عمرو بن العاص ، وقد كان رئيس الوفد الذي أرسله ابن العاص للتفاوض مع المقوقس حاكم مصر (ايام الرومان) ، وقد ولاه ابو عبيدة بن الجراح امارة حمص بالشام ، كان عبادة طويلا جسيمـا جميلا ، ولهذا طلب المقوقس عدم التحدث اليه لان نفسه قد امتلات خوفا منه . مات عبادة بالرملة من فلسطين سنة ٣٤ وقيل سنة ٤٥ هـ .

(٦٨) انظر ترجمته في كتابنا (غزوة احد) .

فهما من الخزرج ، وهما :

١ ـ نسيبة بنت كعب بن عمرو (وهي ام عمارة) .
٢ ـ ام منيع ، واسمها (اسماء بنت عمرو بن عدي)

اسماء النقباء الاثني عشر

اما النقباء الذين انتخبهم قومهم (من الاوس والخزرج) ليكونوا كفلاء عليهم في تنفيذ هذه المعاهدة العسكرية (كما طلب الرسول ذلك) فهم اثنا عشر .. تسعة من الخزرج ، وثلاثة من الاوس ، وهم :

نقباء الخزرج

١ ـ اسعد بن زرارة .
٢ ـ سعد بن الربيع .
٣ ـ عبدالله بن رواحة .
٤ ـ رافع بن مالك العجلان .
٥ ـ البراء بن معرور .
٦ ـ عبدالله بن عمرو بن حرام .
٧ ـ عبادة بن الصامت .
٨ ـ سعد بن عبادة .
٩ ـ المنذر بن عمرو (٦٩) .

---

(٦٩) هو المنذر بن عمرو بن خنيس بن حارثة بن لوذان الخزرجي الانصاري ، صحابي جليل مشهور ، شهد بدرا ، وكان احد الشهداء الذين غدرت بهم قبائل عامر في نجد في بئر معونة ، له حديث واحد رواه عن رسول الله (ص) .

نقبــاء الاوس

١ ـ أسيد بن حضير .
٢ ـ سعد بن خيثمة .
٣ ـ رفاعة بن عبد المنذر بن زبير (٧٠) .

الحدث العظيم

وبعد هذا الحدث العظيم (قيــام التحالف العسكري بين النبي وأهل يثرب) أخذ القلق يساور كفار مكة بشكل لم يسبق له مثيل ، فقد تجسد أمامهم الخطر الحقيقي العظيم الذي يتهدد كيانهم الوثني ، نتيجة هذا التحالف العسكري .

فأهل مكة يعلمون ما عليه قبائل الاوس والخزرج مــن قوة ومنعة ، وما بين هاتين القبيلتين مــن حــروب أهليــة متواصلة ضاق عقلاؤهما بها ذرعا ، وأن ذلك ممــا قد ييسر لدعوة محمد الانتشار بينهم ، لما في أصولها مــن حث علــى حقن الدماء والدعوة الى التآخي ونبذ الاحقاد ، الامر الذي لو نجحت فيه دعوة الاسلام لكانت القاضية على سلطان مكة السياسي والدبني والعسكري .

لذلك أخذت قريش تفكر في الامر اكثر من أي وقت مضى لاتخاذ الخطوات العملية السريعة الحاسمة لقطع تيار نور دعوة الاسلام نهائيا .

---

(٧٠) هو رفاعة بن المنذر بن رفاعة بن زنبر ، اخو ابي لبابة الصحابي الشهير ، شهد رفاعة بدرا واستشهد في معركة خيبر .

ولذلك تعددت الاجتماعات في برلمان مكـة للتباحث في هذا التطور الخطير الذي طرأ على الدعوة الاسلامية بسبب ذلك الدعم العسكري المخيف الذي حصل عليه حامـل لواء هذه الدعوة من قبل قبائل الاوس والخزرج في المدينة .

هجرة المسلمين قبل النبي

وبينما كان المشركون المكيـون مـن جانبهم يوالون الاجتماعات في برلمانهم لبحث الموقف الطارىء،كان النبي (ص) من جانبه غير غافل عما تفكر فيـه قريش وترسمـه من مخططات آثمة للقضاء عليه وعلى دعوته .

فبعد أن تمركزت دعوة الاسلام في يثرب ووجدت لها حماة أقوياء عاهدوا الله على بذل الدم في سبيل الذود عنها والدفاع عن حاملها ، سارع واصدر أوامره الـى أصحابـه المكيين بأن يلتحقوا بيثرب ليدعموا الجبهة الجديـدة التـي اراد الله ان تكون (فيما بعد) القاعـدة العسكرية الكبـرى التي استند عليها النبي (ص) في كل حربه التي خاضها مـع اعداء الاسلام .

فشرع اصحاب النبي (من أهل مكة) في مغادرة هذه المدينة المكرمة في اتجاه يثرب ، وكانت هجرتهم ، متفرقين فرادى ، او في جماعات قليلة ، وقد فعلوا ذلك (بموجب خطة سياسية حكيمة) القصد من اتباعها التعمية على قريش لئلا تكتشف الهدف الذي يكمن وراء هذه الهجرة .

غير ان قريشا التي لم تنم عين استخباراتها عن مراقبة المسلمين اكتشفت الامر ، واتضح لها أن هجرة المسلمين الى

يثرب تتم باستمرار وبانتظام وحسب خطة مرسومة ومن أجل تحقيق غاية عسكرية تستهدف القضاء على الكيان الوثني في الدرجة الاولى .

فقامت بعدة محاولات لمنع المسلمين من الهجرة الى المدينة ، ولكن هذه المحاولات باءت بالفشل اذ لم تستطع ان تمنع من الهجرة الا المستضعفين (وهم قلة) حبست البعض منهم وعذبت البعض الآخر ، أما بقية المسلمين فقد هاجر اكثرهم دون ان يقدر أحد على منعه ، ومن هؤلاء : عمر بن الخطاب ، والزبير بن العوام ، ومصعب بن عمير العبدري ، وعثمان بن عفان ، وغيرهم .

التطورات الخطيرة

لقد ظلت قريش تقاوم دعوة محمد (ص) بمختلف الوسائل ثلاث عشرة سنة ، فجربت كل اساليب الارهاب والتهديد والمضايقة ، وشنت على النبي وعلى دعوته حربا دعائية واسعة منظمة ، واتبعت ضده ومن ناصره سياسة التجويع والمقاطعة ، وعذبت وحبست المستضعفين من اتباعه وشنت عليهم حربا نفسية مضنية ، فقد كانت (بحق) مقاومة عنيفة مرهقة .

غير ان هذه المقاومة بالرغم من عنفها وضراوتها لم تصل الى اعلان الحرب واشهار السلاح .

ولقد كان النبي (ص) يتحمل واتباعه كل ما يلاقونه من قريش من عنت ومتاعب وويلات ، فيمشي (ص) قدما في نشر دعوته وابلاغ رسالته في كل وسط يتسنى له الاتصال به .

الا انه في السنة الاخيرة من هذا الكفاح السلمي حدثت من جانب مشركي مكة تطورات هامة غيرت مجرى النضال تغييرا كليا .

القرار الظالم

فقد ضاق المشركون ذرعا بمحمد ودعوته ، بعد ان اثبتت لهم الايام فشل خططهم غير الحربية التي ساروا عليها لمقاومة دعوة الاسلام والقضاء عليها في المهد، وشعروا بتفاقم الخطر الذي يهدد كيانهم الوثني ، لاسيما بعد أن قامت تلك الجبهة القوية المعادية لهم على أثر التحالف العسكري الذي تم بين النبي (ص) واهل يثرب ، فصاروا يبحثون عن انجع الوسائل لدفع هذا الخطر الذي مبعثه الوحيد حامل لواء دعوة الاسلام محمد (ص) .

ففي اوائل شهر ربيع الاول (وعلى راس السنة الثالثة عشرة) من بعثة الرسول الاعظم (ص) عقد برلمان مكة (دار الندوة) أخطر اجتماع له في تاريخه .

جلسة تاريخية يعقدها برلمان مكة

فقد توافد الى برلمان مكة (في ذلك اليوم التاريخي) جميع نواب القبائل القرشية ، وتدارسوا في هذا الاجتماع الخطير ما يجب اتخاذه من خطوات سريعة حاسمة ، تكفل القضاء على حامل دعوة الاسلام وتقطع تيار نور هذه الدعوة عن الوجود نهائيا ، ليكتب البقاء لوثنيتهم التي تأكد لديهم أن ايام بقائها ستكون قليلة جدا ، اذا لم يتم القضاء (سريعا)

على خصمها القوي (الاسلام) الذي شرع حامل لواءه في اعداد العدة لسحقها وتطهير الارض من رجسها .

وقد كانت الوجوه البارزة (في هذا الاجتماع الخطير) من نواب قبائل قريش :

١ ـ ابو جهل بن هشام .. عن قبيله بني مخزوم .

٢ ـ جبير بن مطعم ، والحارث بن عامر بن نوفل ، وطعيمة بن عدي .. عن قبيلة بني نوفل بن عبد مناف .

٣ ـ عتبة بن ربيعة ، وشيبة اخوه ، وابو سفيان بن حرب .. عن قبيلة بني عبد شمس بن عبد مناف .

٤ ـ النضر بن الحارث بن كلدة (وهو الذي قتله النبي صبرا في وادي الصفراء بعد معركة بدر) نائبا عن بني عبد الدار .

٥ ـ ابو البختري بن هشام وزمعة بن الاسود بن المطلب ، وحكيم بن حزام، عن قبيلة بني اسد بن عبدالعزى.

٦ ـ نبيه ومنبه ابناء الحجاج .. عن قبيلة بني سهم .

٧ ـ امية بن خلف .. (٧١) عن قبيلة بني جمح .

كما حضر نواب غيرهم عن جميع القبائل القرشية .

منع اهل تهامة من حضور الجلسة

وقد امر رئيس البرلمان الحرس أن يمنعوا أهل تهامة (التي منها يثرب) من حضور هذه الجلسة ، لأن هواهم

---

(٧١) أمية بن خلف هذا هو احد زعماء مكة الذين قتلهم المسلمون في معركة بدر .

(كما تقول قريش) مع النبي (ص) ، وامرهم بأن يسمحوا بالدخول لغيرهم ، وخاصة أهل نجد ، ويظهر انه كان من عادة القرشيين ان يسمحوا لغير النواب بشهود جلسات المناقشة في برلمان مكة .

وبعد ان تكامل نواب القبائل، دار النقاش بينهم طويلا، وتقدم النواب بمختلف الاقتراحات والحلول ، الا ان أكثر هذه الاقتراحات، رفضت من قبل النواب بأكثرية ساحقة .

فقد تقدم ابو الاسود ربيعة بن عمرو (احد نواب قبيلة بني عامر بن لؤي) باقتراح يقضي بنفي النبي (ص) واخراجه من مكة، غير ان هذا الاقتراح رفض في الحال، بعد ان انتقده احد النواب وشرح ما في تنفيذه من خطر على مستقبل قريش قائلا :

ما هذا لكم براي . ألم تروا حسن حديثه (يعني النبي ص) وحلاوة منطقه ، وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به . والله لو فعلتم ذلك ما امنتم أن يحل على حي من العرب فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه ، ثم يسير بهم اليكم حتى يطأكم بهم في بلادكم ، فيأخذ امركم من ايديكم ، ثم يفعل بكم ما اراد ، ثم اختتم ذلك النائب انتقاده لذلك الاقتراح قائلا . . اديروا فيه رايا غير هذا .

وهنا تقدم نائب آخر وهو ابو البختري بن هشام (احد نواب قبيلة بني أسد بن عبد العزى) باقتراح يقضي باعتقال النبي (ص) وايداعه الحبس قائلا :

احبسوه في الحديد ، واغلقوا عليه بابا ، ثم تربصوا به

مما اصاب أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله ، ــ زهيرا والنابغة ــ ومن مضى منهم ، من هذا الموت ، حتى يصيبه ما أصابهم .

ولكن هذا الاقتراح (ايضا) رفضه برلمان مكة بعد أن شجبه احد النواب قائلا :

لا والله ما هذا لكم برأي . والله لئن حبستموه ــ كما تقولون ــ ليخرجن أمره من وراء الباب الذي أغلقتم دونه الى أصحابه ، فلأوشكوا أن يثبوا عليكم ، فينزعوه من أيديكم ، ثم يكاثروكم به ، حتى يغلبوكم على أمركم ، ما هذا لكم برأي ، فانظروا في غيره .

الاجماع على قتل النبي

غير ان برلمان مكة وافق في النهاية على اقتراح آثم تقدم به كبير مجرمي مكة ابو جهل بن هشام (أحد نواب قبيلة بني مخزوم) يقضي هذا الاقتراح بقتل النبي (ص) ، على ان تشترك في قتله جميع قبائل قريش لتكون كلها خصما لمن أراد المطالبة بدمه فلا يجرؤ على ذلك .

فقد قال هذا الشيطان الطاغية (ابو جهل) في اقتراحه :

والله ان لي فيه لرأيا ما أراكم وقعتم عليه بعد ، قالوا ... وما هو يا أبا الحكم ؟؟

قال .. أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى شابا جلدا نسيبا وسيطا فينا ، ثم نعطي كل فتى منهم سيفا صارما

ثم يعمدوا اليه ، فيضربوه ضربة رجل واحد فيقتلوه ، فنستريح منه ، فانهم اذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعا ، فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا ، فرضوا منا بالعقل (اي الدية) فعقلناه لهم .

فوافق برلمان مكة على هذا الاقتراح الآثم بالاجماع ، واعتمدت قريش هذا القرار الغاشم ، وانصرف النواب من البرلمان وقد عقدوا العزم على تنفيذه فورا .

تطويق منزل الرسول

وبعد ان اتخذ برلمان مكة هذا القرار الظالم الغاشم ، ابلغ الله سبحانه وتعالى نبيه ذلك ، وامره بالهجرة الى المدينة ، قال ابن اسحاق :

فأتى جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال .. لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه .

وفي تلك الليلة التي اتخذ في يومها برلمان مكة قراره ذاك قامت فصيلة تمثل جميع قبائل قريش بتطويق بيت النبي (ص) بغية تنفيذ المؤامرة الفظيعة التي تستهدف حياة الرسول الاعظم (ص) ، الذي كان (فعلا) موجودا في منزله ساعة تطويقه بالفتيان المسلحين الذين أوكل اليهم القيام بقتله .

فشل المؤامرة ونجاح الهجرة

وهكذا وقف الكفر على باب الايمان ليطفىء شعلته الى

الأبد وليحرم العالم من موجات نوره الساطعة التي اخذت تتدفق لتضيء جنبات العالم المتوحلة في ظلمات الجهل والكفر والظلم والانحراف .

ووقف قادة الشرك مع جندهم الذين احاطوا بمنزل الرسول (ص) ليشهدوا تنفيذ ابشع مؤامرة دنيئة عرفها التاريخ من لدن آدم .

ووقف ابو جهل بالذات وقفة الزهو والخيلاء ، وكأنه قد ضمن نجاح المؤامرة .. وقف مخاطبا عصابته المحاصرة للمنزل النبوي قائلا (في سخرية واستهزاء) :

« ان محمدا يزعم انكم ان تابعتموه على امره ، كنتم ملوك العرب والعجم ، ثم بعثتم من بعد موتكم ، فجعلت لكم جنان كجنان (الاردن) ، وان لم تفعلوا كان له فيكم ذبح، ثم بعثتم من بعد موتكم ، ثم جعلت لكم نار تحرقون فيها » .

وقد كان ميعاد تنفيذ تلك المؤامرة بعد منتصف الليل ، وظل قادة مكة وجنودهم متيقظين في انتظار ساعة الصفر ، ليفتكوا بالرسول الاعظم (ص) ، ولكن الله غالب على أمره .

« واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ، ويمكرون ، ويمكر الله ، والله خير الماكرين» (٧٢)

فقد فشلت تلك المؤامرة الرهيبة ، حيث نجّى الله من شرها رسوله (ص) الذي خرج على المتآمرين وهم ينظرون اليه ولا يبصرون .

---

(٧٢) الانفال : ٣٠

خرج عليهم واخترق صفوفهم وفي يده حفنة من التراب ذرها على رؤوسهم المشحونة بالكفر والطغيان، ذرها وهو يتلو قوله تعالى: « وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون » (٧٣) .

وقبل حلول ساعة الصفر بقليل: تجلت للكفر خيبة امله ، وظهرت للطغيان انهيار خططه ، وعصفت رياح الحسرة بنفوس المتآمرين حينما أتاهم رجل ممن لم يكن معهم ، وهم واقفون بباب منزل الرسول (ص) ينتظرون دنو ساعة الصفر، فقال لهم:

ما تنتظرون ؟؟.

قالوا .. محمدا .. قال .. خيبكم الله .. قد والله خرج عليكم محمد ، ثم ما ترك منكم رجلا الا وقد وضع على راسه ترابا وانطلق لحاجته ، أفما ترون ما بكم ؟.. فوضع كل رجل منهم يده على رأسه فاذا عليه تراب .

ولكنهم كانوا على يقين بأن النبي (ص) داخل المنزل ، ولهذا فقد تزاحموا على باب منزل الرسول يتطلعون من شقوقه ، فيرون عليا (رض) (٧٤) على الفراش متسجيا ببرد رسول الله (ص) ، فيظنونه رسول الله ، فيقولون والله

---

(٧٣) يس : ٩ .

(٧٤) روى ابن اسحاق ان النبي (ص) لما علم بعزم قريش على الفتك به قال لعلي بن ابي طالب .. نم على فراشي وتسج ببردي هذا الحضرمي الاخضر ، فنم فيه ، فانه لن يخلص اليك شيء تكرهه منهم ، وكان رسول الله (ص) ينام في برده ذلك اذا نام .

ان هذا لمحمد نائما عليه برده ، فيظلون نهبا للشك والتردد لا يقدمون على عمل حاسم (٧٥) ، حتى طلع عليهم الصباح، واذا بعلي بن ابي طالب (رض) ينهض من فراش الرسول (ص)، وبهذا تبين لهم صدق ما قاله لهم ذلك الرجل الذي اخبرهم بخروج النبي عليهم من منزله .

وهنا تأكد لكفار مكة ان النبي (ص) قد افلت (فعلا) من قبضتهم فجن جنون الشرك لهذا الفشل الذريع الذي انتهت اليه مؤامرتهم الخبيثة .

كيف نجحت الهجرة

كان النبي (ص) قد اتصل بصاحبه الاكبر (ابي بكر الصديق) ليتفقا على خطة يغادران بموجبها مكة الى المدينة، وذلك بعد ان تبلغ النبي (ص) ذلك القرار الفاشم الذي اتخذه برلمان مكة ضده .

فقد ذهب (ص) الى بيت الصديق لهذا الغرض ، ولما كانت عملية الهجرة (بالنسبة للنبي ص) تعد مغامرة خطيرة فقد احيطت بالكتمان الشديد ، حتى ان النبي (ص) لما وصل الى منزل صاحبه الصديق للتشاور معه في وضع الخطة ،

---

(٧٥) لقد حاول المحاصرون لمنزل الرسول التسور لقتله داخل المنزل فصاحت امراة من الدار ، فقال بعضهم لبعض ، والله انها لسبة في العرب ان يتحدث عنا انا تسورنا الحيطان على بنات العم ، وهتكنا ستر حرمتنا ، فذلك الذي جعلهم يؤجلون تنفيذ قتل الرسول حتى اصبحوا ينتظرون خروجه ، ثم طمست ابصارهم ، فلم يروه حين خرج . هكذا جاء في الروض الانف للسهيلي .

طلب منه ان يأمر كل من عنده بالخروج لئلا يتسرب شيء مما يدور بينهما حول هذا الموضوع الخطير .

قال ابن اسحاق فيما رواه عن عائشة (رض) انها قالت .. كان لا يخطيء رسول الله (ص) أن يأتي بيت أبي بكر احد طرفي النهار ، اما بكرة واما عشية ، حتى اذا كان اليوم الذي أذن فيه لرسول الله (ص) في الهجرة والخروج من مكة من بين ظهري قومه، اتانا رسول الله (ص) بالهاجرة، في ساعة كان لا يأتي فيها ، قالت .. فلما رآه ابو بكر قال.. ما جاء رسول الله (ص) هذه الساعة الا لامر حدث ، قالت .. فلما دخل ، تاخر له ابو بكر عن سريره ، فجلس رسول الله (ص) ، وليس عند ابي بكر الا انا واختي اسماء بنت أبي بكر ، فقال رسول الله (ص) :

اخرج عني من عندك ، فقال .. يا رسول الله ، انما هما ابنتاي ، وما ذاك ؟ فداك ابي وامي .

فقال (ص) .. ان الله قد اذن لي في الخروج والهجرة، قالت .. فقال أبو بكر :

الصحبة يا رسول الله ، قال (ص) .. الصحبة .

قالت عائشة .. فوالله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم ان احدا يبكي من الفرح ، حتى رأيت أبا بكر يبكي يومئذ ثم قال .. يا نبي الله ، ان هاتين راحلتان قد كنت أعددتهما لهذا ، فاستأجرا عبدالله بن ارقط ــ رجلا من بني الدئل بن بكر وكان مشركا ــ يدلهما على الطريق فدفعا اليه راحلتيهما فكانتا عنده يرعاهما لميعادهما (٧٦) .

---

(٧٦) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٤٨٤ .

كيف خرج النبي من مكة

وفي تلك الليلة التاريخية التي كانت بداية التحول الخطير في تاريخ الاسلام ، بل الانسانية كلها ، وبينما كانت قريش (بزعمائها وقادتها) تحيط بمنزل الرسول الاعظم (ص) في انتظار الصباح للفتك به (٧٧) ــ تنفيذا للقرار الذي اتخذه برلمان قريش ــ كان محمد (ص) وصاحبه الصدّيق يغادران منزل الاخير من باب خلفي ليخرجا من مكة على عجل ، وقبل ان يطلع الفجر .

الاختفاء في الغار

ولما كان النبي (ص) يعلم أن قريشا ستجدّ في طلبه بمجرد علمها باختفائه من مكة ، ولما كان يعلم (كذلك) ان الطريق الذي ستتجه اليه الانظار (لاول وهلة) ليكون تحت مراقبة المطاردين ، هو طريق المدينة الرئيسي والمتجه شمالا ، فقد سلك طريقا ، من المستبعد أن تفكر قريش في مراقبته (وخاصة في المرحلة الاولى من البحث) وهو الطريق الواقع جنوب مكة والمتجه نحو اليمن .

وقد نجح النبي (ص) في التعمية على كفار مكة ، حيث تمكن من قطع مسافة كبيرة خارج مكة دون أن يعرف احد من أعدائه الى اين اتجه .

---

(٧٧) ذكرنا فيما مضى ان قريشا اخرت ميعاد الفتك بالنبي حتى الصباح على اثر صياح المرأة من داخل المنزل عندما رات كفار مكة يهمون بتسور المنزل .

ومع نجاح هذه الخطة في مرحلتها الاولى فان النبي (ص) قد ادخل في حسابه امكان تطور عملية البحث والمطاردة واتساع نطاقها بحيث تشمل المنطقة التي سلكها في هجرته فتصبح تحت المراقبة .

ولهذا قرر النبي (ص) صبيحة تلك الليلة التاريخية التوقف (مؤقتا) عن مواصلة السير حتى يسكن الناس وتهدأ ثائرة زعماء مكة ، واتفق مع صاحبه الصدّيق على أن يختفيا في غار يقع في جبل جنوب مكة واسمه (ثور) .

المطاردة

أما قريش فقد طار صوابها واسقط في ايديها حينما تأكد لديها افلات الرسول (ص) من قبضتها ونجاته من شر مؤامرتها .

فقد تجسد أمام زعمائها الخطر الجسيم الذي يتهدد كيانها الوثني نتيجة افلات النبي محمد من قبضتها ، فقد كان اصرارها على الفتك بالنبي لا يستهدف قتل شخصه بقدر ما يستهدف قتل دعوته ، ولهذا فهي تعلم ان وصوله الى يثرب سالما يعني أن جبهة مسلحة قوية منظمة ستقف ضدها في جانب الاسلام بقيادة النبي في المدينة ، الامر الذي يعرض تجارتها بين مكة والشام للخطر الشديد ، ويجعل مكة نفسها معرضة لغزو مسلح قد تقوم به المدينة فيمصف بكيان قريش الوثني .

لذلك سارع زعماء مكة الى عقد جلسة طارئة مستعجلة لاتخاذ الخطوات الفعالة الحاسمة لمنع الرسول من الوصول الى يثرب بأية وسيلة ممكنة .

وبسرعة قرر برلمان مكة بالاجماع وضع جميع الطرق النافذة من مكة (من جميع الجهات) تحت المراقبة المسلحة الشديدة (وخاصة الطرق المؤدية الى المدينة واسا) لمنع الرسول وصاحبه من الهجرة واعتقالهما .

مائة ناقة مكافأة

كما وافق برلمان مكة على اعطاء مكافأة ضخمة قدرها مائة ناقة لمن يلقي القبض على النبي (ص) ويعيده الى قريش حيا او ميتا .

وقد اعلنت مكة ذلك على الجمهور ، وهنا تجندت مكة بأكملها للبحث عن النبي (ص) وصاحبه ، فانتشر فرسانها ومشاتها وقصاصوا الاثر في الشعاب والوهاد والجبال والوديان يفتشون عن النبي (ص) وصاحبه (رض) ، وكان التفتيش دقيقا للغاية .

يفتشون بيت الصديق

وكان ابو جهل اشد زعماء مكة هياجا واكثرهم امتلاء بالغيظ لنجاة الرسول (ص) من شر مؤامرتهم الخبيثة ، فقد ذهب هذا الحاقد (في نفر من زعماء مكة) الى بيت ابي بكر الصديق لتفتيشه بحثا عن الرسول (ص) ، ولما وقفوا على الباب خرجت اليهم اسماء بنت ابي بكر الصديق ، فقالوا لها : ـ

اين ابوك يا ابنة ابي بكر ؟ فقالت لهم .. لا ادري .

وهنا رفع أبو جهل المجرم يده و . . (كما قال ابن اسحاق) فاحشا خبيثا ، فلطم خدّها حتى سقط منه قرطها من شدة اللطمة .

المطاردون على باب الغار

واستمر التفتيش عن النبي (ص) وصاحبه الصديق ثلاثة ايام متوالية ، ولكن دونما جدوى ، اذ لم يعثروا له على اي اثر ، فقد ظل (ص) طيلة هذه الايام الثلاث مختفيا مع صاحبه في الغار الذي لم تسلم منطقته من تفتيش قريش الدقيق ، فقد وصل المطاردون في بحثهم الى باب الغار الذي يكمن فيه محمد (ص) وصاحبه وكادوا يكتشفونهما لولا عناية الله سبحانه وتعالى .

اللحظة الحرجة في تاريخ الانسانية

هناك (وعلى مقربة من الغار) سأل كفار مكة أحد الرعاة فيما اذا كان رأى محمدا (ص) وصاحبه ، فكان جوابه انه لم ير احدا ، ولكنه من المحتمل ان يكونا في هذا الغار ، وأشار الى غار ثور .

وهنا توقفت نبضات التاريخ ، ووقفت الانسانية المعذبة على مفترق الطرق ، فاما الى الارتكاس في حمأة البغي والظلم والفساد من جديد ، واما الى التخلص من ذلك وفتح صفحة جديدة مشرقة على يد الرجل الذي يكمن في الغار وجاءت قريش تطلب رأسه .

ان اللــه معنــا

ففي تلك اللحظات الثي تقرر فيها مصير العالم باجمعه، تسلق بعض المطاردين القرشيين الصخور ناحية الغــار على اثر سماع ما قاله الراعي ، ليقوموا بتفتيش هذا الغار بحثا عن النبي وصاحبه ، وكان ابو بكر الصديق (الذي قد سمع حديث الراعي وشعر باقتراب فتيان قريش مــن الغــار) يتصبب عرقا من الخوف ، واقترب من الرسول الاعظم (ص) ليقول له هامسا (في خوف وفزع) : « لو نظر احدهم الى تحت قدميه لأبصرنا » ، ولكن الرسول الاعظم أجاب الصديق في طمأنينة النبي الواثق من صدق وعد ربه قائلا .. يا أبــا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما ؟؟

وقد كانت معجزة أكرم الله بها نبيه .. فقــد رجــع القرشيون الذين تسلقوا الصخور دون أن يدخلوا الغــار ، بعد أن وقفوا على بابه ، ولم يبق بينهم وبين الوصول الــى النبي الا عدة خطوات قليلة .

ولما رجعوا هكذا سألهم أصحابهم لماذا لم ينظروا في الغار وقد وصلوا الى مدخله ؟؟ فكان جوابهم :

ان على بابه العنكبوت قبل أن يولد محمد ، وقد رأينا حمامتين وحشيتين بفم الغار ، فعرفنا ان ليس به أحد .

فاقتنع قادة المطاردين بخلو الغار من النبي وصاحبه ، فعادوا أدراجهم الى مكة وقد ملئوا من البحث ويئسوا مــن العثور على النبي (ص) وصاحبه .

وهنا تنفست الانسانية المبهورة الصعداء من جديد ،

وكتب الله لها أن تسعد فترة من الزمن على يد الذي كان مختفيا في الغار مع صاحبه والذي نجّاه الله من شر اعدائه .

ايام الغار الثلاث

وكان النبي (ص) طيلة اختفائه وصاحبه في الغار لا يعلم بهما أحد سوى عبدالله بن ابي بكر (٧٨) وعامر بن فهيرة مولى (٧٩) أبي بكر (رض) .

وكان النبي (ضمن الخطة المرسومة للهجرة) قد كلّف عبدالله بن ابي بكر أن يقوم بأعمال الاستخبارات ، فيكون عينا على قريش ، فيسمع ما يقولون ، ويراقب ما يفعلون طيلة الايام الثلاث ، ثم ينقل كل ذلك الى النبي وصاحبه في الغار .

فكان يقضي سحابة نهاره مع المشركين في مكة يراقب ما يقولون ويفعلون ، فاذا حلّ المساء ذهب الى الغار ليبلغ

---

(٧٨) هاجر عبد الله هذا بعد أبيه بعيال أبي بكر جميعا ، في صحبة طلحة بن عبيد الله ، وكان عند الهجرة شابا صغيرا ، ولم يذكر المؤرخون انه شهد شيئا من المعارك مع رسول الله (ص) سوى فتح مكة وحنين وحصار الطائف ، وقد اصيب بسهم فمات منه بعد مدة طويلة في خلافة ابيه ، وبعد موت رسول الله (ص) بأربعين يوما .

(٧٩) كان عامر بن فهيرة من السابقين الاولين في الاسلام ، وكان ممن نالهم التعذيب الشديد على ايدي زبانية قريش ، وكان عامر مولى للازد فاشتراه ابو بكر من الطفيل بن عبدالله بن سخبرة ثم اعتقه ، لم اطلع على تاريخ وفاته .

الرسول وصاحبه كل ما سمع ورأى بشأنهما .

اما عامر بن فهيرة (مولى الصدّيق) فقد أوكلت اليه مهمة تموين النبي وصاحبه (طيلة اختفائهما في الغار) بالاضافة الى القيام بأعمال تضييع معالم آثار اقدام عبدالله ابن أبي بكر الذي يذهب الى الغار ويعود منه يوميا .

فقد كان عامر بن فهيرة (حسب الخطة المرسومة) يقضي سحابة نهاره يرعى الغنم مع رعيان مكة ، فاذا أمسى راح على رسول الله (ص) وصاحبه في الغار ، فيحلبان ويذبحان ، وفي الوقت نفسه يتبع اثر عبدالله بن ابي بكر عند ذهابه الى الغار فيُعفّي عليه بآثار الغنم ، وكذلك يفعل عندما يعود عبدالله من الغار الى مكة ، وذلك لئلا تكتشف قريش اثر عبدالله فتستدل به على وجود النبي وصاحبه في الغار ، اما آثار الغنم وراعيها فلا يلفت النظر في تلك المنطقة ، لأنه امر عادي .

النبي يستانف سيره الى يثرب

وهكذا ، وبعد ان استمرت المطاردة الحثيثة ثلاثة أيام دونما جدوى ، يئست قريش من العثور على الرسول (ص) وصاحبه ، فهدأت ثائرتها ، وتوقفت أعمال دوريات التفتيش نهائيا .

واذ ذاك غادر الرسول (ص) وصاحبه الغار ، واستانفا سيرهما الى المدينة ، فقد قدّمت لهما راحلتاهما ، فامتطى كل منهما بعيره ثم ارتحلا يقدُمهما دليلهما المشرك عبدالله

ابن اريقط (٨٠) ، ومعهما مولى ابي بكر الصديق عامر بن فهيرة . وقبل الرحيل حضرت اليهما أسماء بنت ابي بكر الصديق (٨١) بزاد أعدته لهذه الرحلة الطويلة الخطيرة .

ذات النطاقين

وعندما ارادت اسماء أن تعلق الزاد بشداد الجمل لم تجد حبلا تعلقه به ، فشقت نطاقها (وهو ما تشد به المرأة وسطها) اثنين فانتطقت بأحد الشقين وعلقت الزاد

---

(٨٠) عبدالله بن اريقط ، ويقال (بن الارقط) قال ابن حجر في الاصابة ولم أر من ذكره في الصحابة الا الذهبي في التجريد ، وقد جزم عبد الغني المقدسي في السيرة بانه لم يعرف له اسلاما وتبعه النووي في التهذيب .

(٨١) أسماء بنت أبي بكر من أجل نساء المسلمين وأرفعهن شأنا وأرجحهن عقلا . كانت من السابقين الاولين في الاسلام ، أسلمت بعد سبعة عشر نفرا ، تزوجها الزبير بن العوام قبل الهجرة بمكة ، فهاجرت وهي حامل منه بولده عبدالله الفارس المشهور الذي ولدته في المدينة عقيب وصولها المدينة ، وقد عاشت الى أيام تولي ابنها الخلافة ، ثم توفاها الله بعد استشهاد ابنها عبدالله بقليل ، كانت (رض) قوية القلب ثابتة الجنان تتمتع بأنفة اسلامية رائعة ، دخلت مرة على الحجاج بن يوسف وكان هو الذي صلب ابنها عبدالله بالحجون من مكة ، فسمعها تقول عندما وقفت عند الخشبة التي صلب عليها ابنها (اما آن لهذا الفارس ان يترجل ؟!) تعني ابنها عبدالله المصلوب ، فقال لها الحجاج : المنافق (يعني ابنها عبدالله) فقالت . . لا والله ما كان منافقا وقد كان صواما قواما ، قال اذهبي فانك عجوز قد خرفت . . قالت . . لا والله ما خرفت ، ثم قالت له أسمعت رسول الله (ص) يقول يخرج في ثقيف كذاب ومبير . . اما الكذاب فقد رأيناه (تعني المختار بن أبي عبيد) واما المبير فانت هو . بلغت أسماء مائة سنة ، لم يسقط لها سن ولم ينكر لها عقل .

بالشق الآخر ، ولذلك سمّيت اسماء (رضي الله عنها) فيما بعد بذات النطاقين .

قال ابن اسحاق : فكان يقال لأسماء بنت ابي بكر ، ذات النطاقين لذلك .. وقال ابن هشام : وسمعت غير واحد من أهل العلم يقول (اي لأسماء) ذات النطاقين ، وتفسيره .. انها لما ارادت ان تعلق السفرة شقت نطاقها باثنين ، فعلقت السفرة بواحد ، وانتطقت بالآخر ..

الطريق الى المدينة

وزيادة في الحذر وامعانا في التعمية على قريش سلك الدليل بالرسول (ص) طريقا مهجورا لم يألفه الناس ، كما امعن في اتجاه الجنوب نحو اليمن ، زيادة في التعمية على العدو ، وحتى اذا ما ابتعد عن منطقة مكة اتجه غربا نحو الساحل ، ولما وصل الرسول وصاحبه الى مكان في غير الطريق الذي ألف الناس ، اتجه بهما دليلهما شمالا على مقربة من شاطىء البحر ، متخذا من السبل ما لم يطرقه احد الا نادرا ، وكان هذا دأبه حتى وصل النبي (ص) قرية قبا من ضواحي المدينة .

الفارس المطارد سراقة بن مالك

وبالرغم من اجتياز النبي (ص) وصاحبه منطقة الخطر الكبير ، الا انهما ظلا متيقظين للطوارىء طيلة سيرهما ، لا سيما وان مكة قد جعلت مكافأة ضخمة (مائة ناقة) لمن يأتي اليها بالنبي حيا أو ميتا ، الامر الذي قد يحمل بعض

الفتيان من فرسان مكة على تعقبهما بغية الظفر بهمـا لينال هذه المكافأة الكبيرة .

وفعلا كان الامر كذلك ، ذلك انه بينمـا كان سراقة ابن مالك بن جعشم (٨٢) جالسا في نادي قومه بمكة ـ وقد سكن الناس وتوقف البحث عن النبي (ص) ـ اذ وقف رجل على القوم في ناديهم وقال :

والله لقد رايت ركبة ثلاثة مروا عليّ آنفا ، اني لأراهم محمدا وأصحابه .

وهنـا اشار سراقة بعينيه الى الرجل ان اسكت ، ثم قال سراقـة ـ ليضلل الحـاضرين ويفوز هـو بالمكـافأة الضخمة ـ انمـا هم بنو فلان يبتغون ضالة لهم ، وبعد أن تغيّر الحديث في النـادي انسحب سراقة بن مالك ، وذهب الى بيته في الحـال فامر بفرسه فأسرج له ، ثم امر احـد مواليه بان يربطه له في الوادي في مكان عيّنه له ، ثم اخذ سلاحه وخرج من باب خلفي في بيتـه لئـلا يراه احد ، ثم امتطى صهوة جواده واركضه في اتجـاه المكـان الذي ذكر الرجل انه راى فيـه النبي ليمتقل النبي او يقتله ليفـوز بالجائزة من قريش وحده .

اراد قتله فاخذ منه الامان

ولم يخب ظن سراقة ، فقد أدرك النبي (ص) وصاحبه

---

(٨٢) هو سراقة بن مالك بن جعشم الكناني ، اسلم عام الفتح ، وهو من سادات كنانة ، مات (رض) في خلافة عثمان سنة أربع وعشرين هـ .

حوالي المنطقة التي اشار اليها الرجل الذي اخبر خبرهما ، وعندما ابصر سراقة النبي (ص) وصاحبه ، سال لعابه للمكافأة الضخمة التي تعهّدت قريش باعطائها لمن اعاد اليها محمدا (ص) حيا او ميتا ، وهنا استعد سراقة للحظة الحاسمة ، فاذ وجد النبي (ص) منه قيد البصر دفع جواده نحوه ليعتقله او يقتله ، ولكن الجواد (وعلى مقربة من الرسول وصاحبه) كبا براكبه كبوة عنيفة تدحرج لها الفارس من على ظهره ، وهنا أدخل في روع سراقة انه لن يقدر على النبي (ص) بأي حال من الاحوال ، فعدل عن خطته .

ولنترك هذا الفارس القرشي المطارد يحكي لنا قصته العجيبة ، فقد روى عنه ابن اسحاق ان فرسه قد كبا به (قبل الكبوة العنيفة الاخيرة) مرتين ولكنه واصل المطاردة ولم يتوقف عنها الا بعد الكبوة الثالثة العنيفة التى تدحرج لها من على ظهر فرسه .

قال سراقة (يصف تلك اللحظة الحاسمة) : فركبت في اثره (اي النبي – ص –) فلما بدا لي القوم ورايتهم عثر بي فرسي ، وسقطت عنه ، ثم انتزع يديه من الارض ، وتبعها دخان كالاعصار ، قال فعرفت حيث رايت ذلك انه قد منع مني ، وانه ظاهر (اي منتصر) ، قال : فناديت القوم ، فقلت .. انا سراقة بن جعشم ، انظروني اكلمكم ، فوالله لا اريبكم ، ولا يأتيكم مني شيء تكرهونه ، قال .. فقال .. رسول الله (ص) لأبي بكر .. قل له .. وما يبتغي منا ؟ قال .. فقال ذلك أبو بكر ، قال سراقة .. قلت .. تكتب لي كتابا يكون آية بيني وبينك ، قال .. اكتب له يا ابا بكر .

قال سراقة : فكتب لي كتابا في عظم ، او في رقعـــة ، او في خزفة ، ثم القاه اليّ ، فجعلته في كنانتي ، ثم رجعت، فسكت فلم اذكر شيئا مما كان » .

كيف دخل الرسول المدينة

وهكذا اجتاز الرسول (ص) وصاحبه منطقة الخطر نهائيـــا ، اذ لم يتعرضا (بعد حادثة سراقة) لأية مراقبة او مطاردة .

فبعد رحلة مضنية محاطة بالاخطـــار استغرقت اكثر من احد عشر يومـــا ، تشرّفت يثرب بطلعته الشريفة وعم المسلمين في المدينة الفرح والسرور بقدوم الرسول (ص) .

وكان اهل المدينة قد ترامى اليهم خبر هجرته مع صاحبه الصديق الى يثرب ، قبل ان يصلا اليهـــا ، ولذلك كـــان المسلمون فيهـــا و (خاصة الذين لم يسبق لهم رؤية طلعته الكريمة) يتلهفون شوقا لرؤيته (ص) ، ولهذا فقد كـــانوا (منذ ترامى اليهم نبأ هجرته) يخرجون كل يوم بعد صلاة الصبح الى ظاهر المدينة يتلمسون النبي (ص) حتى تغلبهم الشمس فيعودوا الى بيوتهم .

وبينما هم على هـــذه الحال من التلهف والشوق ، اذ صاح يهودي (وكان اول من رأى النبي وصاحبه قادمين) صائحا منبها الانصار الى قدوم الرسول (ص) — : يا بني قيلة (يعني الانصار) هذا صاحبكم قد جاء (٨٣) .

---

(٨٣) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٤٩٢ ، وفيها جدكم بدل صاحبكم .

اليوم التاريخي في المدينة

وهنا زحفت المدينة كلها لاستقبال رسول الانسانية ومنقذ البشرية محمد بن عبدالله (ص) ، فكان يوما تاريخيا اغر"ا لم تشهد المدينة مثله في تاريخها .

وكانت قباء (وهي من ضواحي المدينة) اول منزل نزله رسول الله (ص) وهي منازل بني عمرو بن عوف من الانصار ، وقد مكث النبي (ص) بينهم اربعة ايام ، دخل بعدها الى قلب المدينة المنورة .

اول مسجد في المدينة

وفي تلك الايام القلائل التي اقامها النبي في قبا ، اسس (ص) مسجد قباء المشهور ، وهو المسجد الذي اشار القرآن الكريم بأنه اسس على التقوى .

النبي في المدينة

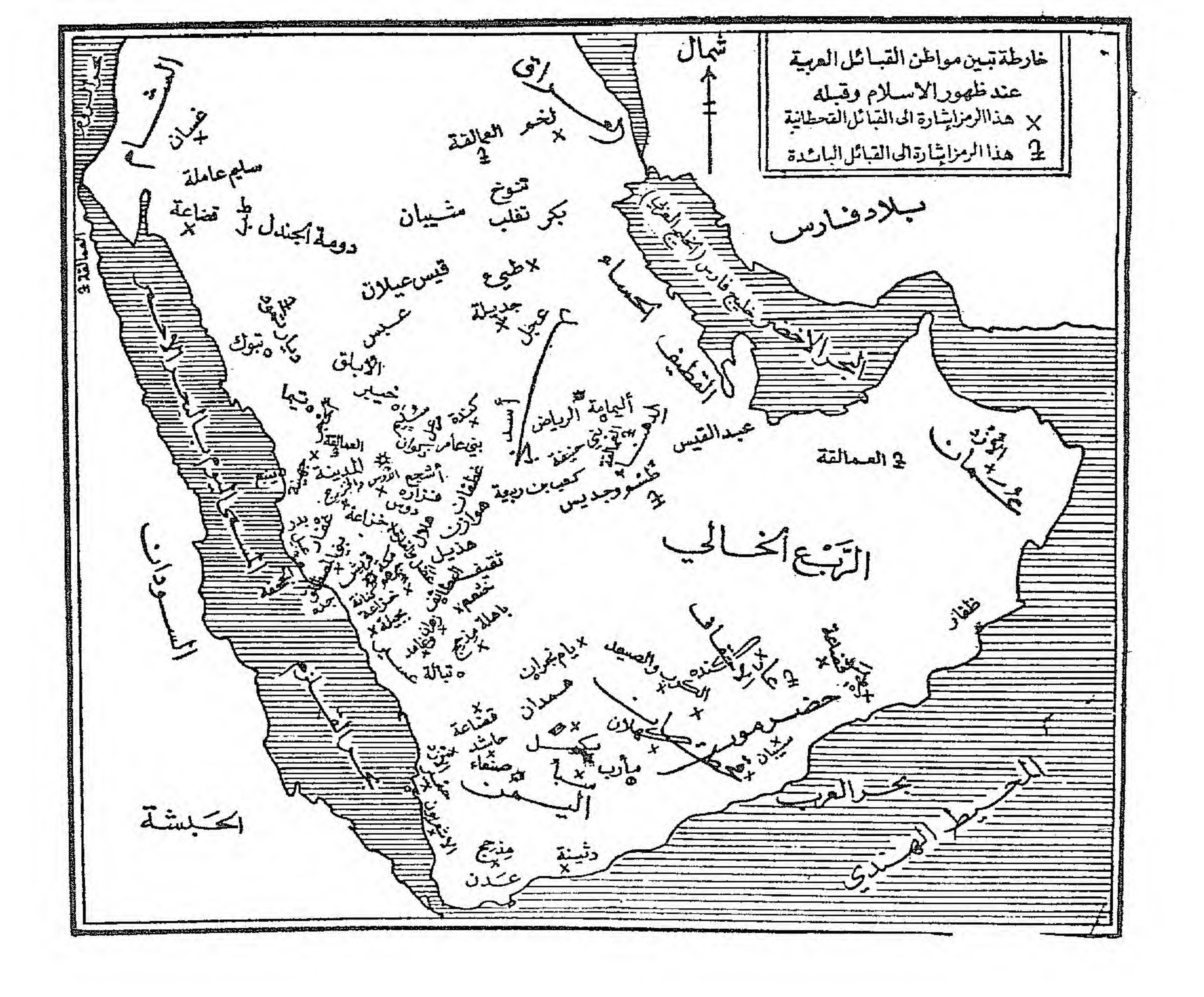
وبعد تلك الايام الاربع التي قضاها الرسول في قبا ؛ توجه (ص) الى قلب مدينة يثرب ، التي اصبحت (بمجرد وصول الرسول اليها) عاصمة الاسلام .

وأثناء سير النبي (ص) نحو قلب العاصمة وقف زعماء القبائل اليثربية وعرض كل واحد منهم على النبي (ص) ان يقيم عنده في العدد والمدة والمنعة ، فاعتذر للجميع وامتطى ناقته والقى لها خطامها ، فانطلقت في طرق يثرب والمسلمون

من حولها في حفل حافل يخلون لهـا طريقها ، وسائر اهل يثرب من اليهود والمشركين ينظرون الى هذه الحياة الجديدة التي دبت الى مدينتهم ، والى هـذا القـادم المظيم الذي اجتمع عليه من الاوس والخزرج من كانوا من قبل اعـداء متقاتلين ، ولا يجول بخـاطر أحدهم ، في هـذه البرهة التي اعتدل فيها ميزان التاريخ الى وجهته الجديدة ، مـا أعدّ القدر لمدينتهم من جلال وعظمة ، يبقيان على الزمن مـا بقي الزمن .

وجعلت الناقة تسير حتى كـانت عند مربد لغلامين يتيمين من بني النجار ، هنالك بركت ، ونزل الرسول (ص) عنها ، وسأل : لمن المربد ؟ فأجابه معاذ بن عفراء .. انـه لسهل وسهيل ابني عمرو ، وهما يتيمان له ، وسيرضيهما ، ورجا محمدا (ص) أن يتخذه مسجدا ، وقبـل النبي (ص) وأمر ان يبنى في هذا المكان مسجده وأن تبنى داره (٨٤) .

(٨٤) حياة محمد ص ٢١٨



خارطة تبين مواطن القبائل العربية
عند ظهور الاسلام وقبله
X هذا الرمز إشارة الى القبائل القحطانية
هذا الرمز إشارة الى القبائل البائدة
شمال
العراق
لخم
العمالقة
تنوخ
بكر تغلب
شيبان
بلاد فارس
خليج فارس (الخليج العربي)
الاحساء
القطيف
البحر الاخضر
عمان
الأزد
العمالقة
عبد القيس
الربع الخالي
ظفار
الشام
غسان
سليم عاملة
قضاعة
دومة الجندل
قيس عيلان
طيء
جديلة
عجل
عبس
الأبلق
خيبر
تيما
تبوك
اليمامة
الرياض
كندة
بني عامر
المدينة
أشجع
فزارة
هوازن
كعب بن ربيعة
طسم وجديس
هذيل
ثقيف
خثعم
بجيلة
خزاعة
كنانة
جدة
باهلة
مذحج
يام
نجران
الصيعل
عاد
حضرموت
همدان
قضاعة
حاشد
بكيل
مأرب
صنعاء
سبأ
اليمن
دثينة
مذحج
عدن
بحر العرب
المحيط الهندي
السودان
الحبشة

الفصل الثالث

* اليوم التاريخي في حياة المدينة .
* النبي في المدينة .
* البدء في بناء المجتمع الجديد .
* الانصار في الميزان العسكري .
* غير المسلمين في يثرب بعد الهجرة .
* متاعب العهد الجديد .

وهكذا نجحت الهجرة ، ووصل النبي (ص) الى معقل انصاره (المدينة) التي سبقه اليها (بأمر منه) اكثر المهاجرين فصارت دارا آمنة للاسلام ، ومعسكرا قويا للتوحيد تحسب له قريش (الخصم الألد للاسلام) الف حساب ، وصارت (منه) تنام على خوف وتصبح على فزع .

المجتمع الجديد

وكانت اول مسالة اهتم لها النبي (ص) بمجرد وصوله الى يثرب ، هي التفكير في بنـاء المجتمع الجديد ليقوم كما اراد الله له ان يقوم .

وكانت هناك مشاكل لا بد للنبي من التغلب عليها ليسهل عليه وضع الاسس القوية للمجتمع الجديد ، وأهم هذه المشكلات :

١ ـ التنافر المستحكم والعداء المزمن بين عشائر يثرب من الاوس والخزرج والذي كانت تصاحبه (دائما) تلك الحروب الاهلية الشهيرة المدمرة بين القبيلتين .

٢ ـ مشكلة اللاجئين من المهاجرين المكيين الذين تركوا كل ما يملكون من مال وعقار في مكة وجاءوا الى المدينة فرارا بدينهم ، وهم فقراء لا يملكون من المال شيئا ، وعددهم غير قليل .

٣ ـ العناصر اليهودية الموجودة في المنطقة ، والتي كان لها وزنها السياسي والعسكري والاقتصادي في المجتمع اليثربي ، والتي لا بد من تجنب شرها وكسب صداقتها لمواجهة ما يتوقعه المسلمون من عدوان عليهم يقوم به القرشيون .

بناء المسجد النبوي

وكان اول خطوات البناء للمجتمع الاسلامي الجديد هو اقامة المسجد النبوي ليظهر فيه شعائر الدين الجديد ، وليكون جامعة يتلقى فيها المسلمون تعاليم الاسلام وتوجيهاته ، ومنتدى تلتقي وتتآلف فيه العناصر القبلية المختلفة التي نافرت وباعدت بينها النزعات الجاهلية التي كانت النظام الموجه لهذه القبائل .

ففي المكان الذي بركت فيه ناقة الرسول (ص) فور

قدومه من مكة امر باقامة هذا المسجد ، فسارع المسلمون الى جمع المواد التي يتطلبها بناؤه ، فاخذوا في قطع جذوع النخل ، وشرعوا في صنع اللبن ، ثم شرعوا في بناء المسجد الذي كانت مساحته مائة ذراع في مثلما تقريبا .

وقد ساهم النبي (ص) في بناء المسجد بنفسه مع اصحابه ، فحمل التراب واللبن على كاهله الشريف مثلما حملوا .

وقد ضاعف من نشاط الصحابة في البناء ان رأوا محمدا النبي ، يرفض الامتياز عليهم ، فيحمل التراب والمواد الاخرى على ظهره مثلهم ، حتى ان احدهم قال ينشّط اخوانه :

لئن قعدنا والرسول يعمل   لذاك منا العمل المضلّل

وقد تم بناء المسجد النبوي على غاية من البساطة ، اذ اقيمت حيطانه من اللبن والطين ، اما سقفه فقد جعل من سعف النخل الذي طالما تخللته مياه الامطار الى الداخل ، اما ارض المسجد فقد فرشت من الرمال والحصباء ، وكانت الاعمدة التي يقوم عليها السقف من جذوع النخيل .

اول خطبة للرسول بالمدينة

وبعد ان تم بناء هذا المسجد ذي البناء المتواضع والذي كان اول معهد مثالي في الدنيا تربى فيه (كما قال الاستاذ الغزالي) ملائكة البشر ومؤدّبوا الجبابرة وملوك الدار الآخرة ، القى فيه النبي (ص) أول خطبة على المسلمين قال

فيها (كما رواه البيهقي عن عبد الرحمن بن عوف) :

« اما بعد ايها الناس فقدّموا لأنفسكم ، تعلمن والله ليصعقن احدكم ، ثم ليدعن غنمه ليس لها راع ، ثم ليقولن له ربه ـ ليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه ـ : ألم يأتك رسولي فبلّغك ؟ وآتيتك مالا وافضلت عليك ؟ فما قدّمت لنفسك ؟ فينظر يمينا وشمالا فلا يرى شيئا ، ثم ينظر قدّامه فلا يرى غير جهنم، فمن استطاع أن يقي نفسه من النار ولو بشق تمرة فليفعل ، ومن لم يجد فبكلمة طيبة، فان بها تجزى الحسنة عشر أمثالها الى سبعمائة والسلام عليكم ، وعلى رسول الله » .

مؤتمر المؤاخاة بين المسلمين

وبعد أن اقام النبي (ص) للمسلمين (ببناء المس... مركز التجمع والتهذيب والتعارف والتآلف ، والارتباط (عن طريق الصلوات) برب العالمين دونما وسيط او شفيع، شرع (ص) بحكمته الفذة وسياسته الصائبة الحكيمة في محو مخلفات الجاهلية ومترسبات العصبية .

فقد كانت يثرب (كما قلنا) نهبا (طيلة مئات السنين) لحروب اهلية قبلية طاحنة افنت زهرة شبابها ومزقت وحدتها شر ممزق ، مما اعطى اليهود الدخلاء الفرصة للتمركز في تلك البقعة الطيبة من الجزيرة العربية .

فكان العمل الحاسم الحكيم الذي اجتث به النبي (ص) جذور البغضاء الجاهلية القديمة والحزازات العنصرية المزمنة المستحكمة بين قبيلتي الاوس والخزرج، هو ان آخى

بين المسلمين جميعا (المهاجرين والانصار) في مؤتمر اقامه لهم في المدينة ، آخى فيه بينهم ، اثنين اثنين .

قال ابن اسحاق : وآخى رسول الله (ص) بين اصحابه من المهاجرين والانصار ، فقال — فيما بلغنا ونعوذ بالله ان نقول عليه ما لم يقل — تآخوا في الله اخوين اخوين (٨٥) . فتآخوا جميعا .

وقد كانت رابطة هذا التآخي اقوى واكثر فعالية ، في اقامة الوحدة السياسية والنظامية والمصيرية بين عناصر المجتمع الجديد من رابطة التحالف التي عهدها العرب .

ولقد اغتبط الانصار — وخاصة زعماءهم — بهذا التآخي الذي راوا فيه املهم المنشود يتحقق ، وهو السلام والامن والاستقرار الذي حرمت منه يثرب مئات السنين ، نتيجة الحروب الاهلية المدمرة التي كانت تصطلي بنارها عشيرتا الاوس والخزرج اللتين هما قبيلة واحدة (٨٦) .

كما ان المهاجرين قد وجدوا (نتيجة هذا التآخي) في كنف اخوانهم الانصار ، من العون والمساعدة ما خفف عليهم من وطأة الفقر الشديد الذي مُنوا به نتيجة هجرتهم من وطنهم الاصلي مكة ، وتركهم فيها كل اموالهم التي صادرها مشركو قريش .

يعرض عليه نصف ماله

فقد قابل الانصار اخوانهم من المهاجرين بكل حفاوة

---

(٨٥) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٥٠٥ .
(٨٦) انظر ترجمة قبيلتي الاوس والخزرج في كتابنا (غزوة أحد) .

وتكريم ، وبذلوا لهم (وخاصة بعد المؤاخاة) من العون والمساعدة ما بلغ بها البعض من الانصار الى ان عرضوا على اخوانهم من المهاجرين ان يقتسموا واياهم كل ما يملكون مناصفة .

ولكن المهاجرين ـ امام هذا الكرم العظيم الذي فاضت به تلك الانفس الزكية الطيبة ـ لم يسعهم الا أن يقدّروا هذا البذل والكرم حق قدره ، فيقابلونه بكرم مثله ، حيث لم يستغلوا كرم اخوانهم الانصار الفيّاض ولم ينالوا منه الا بقدر ما يقيم أودهم ، ويعينهم على الوصول الى العمل الشريف من تجارة او زراعة او ما شابه هذا من الاعمال الحرة التي يجني منها النشط الصبور ، الكسب الحلال .

روى البخاري ان سعد بن الربيع (٨٧) عرض على عبد الرحمن بن عوف (٨٨) ان يأخذ نصف ماله (وكانا قد آخى بينهما الرسول ـ ص ـ) فقد قال سعد لعبد الرحمن .. اني أكثر الانصار مالا ، فاقسم مالي نصفين ، ولي امرأتان فانظر اعجبهما اليك ، فسمها لي أطلقها ، فاذا انقضت عدتها فتزوجها ، قال عبد الرحمن .. بارك الله لك في أهلك ومالك ، اين سوقكم ؟؟ فدلوه على سوق بني قينقاع ، فما انقلب الا ومعه فضل من اقط وسمن .. ثم تابع الغدو .. ثم جاء يوما ، وبه اثر صفرة ، فقال النبي مهيم (سؤال عن حاله) قال : تزوجت ، قال كم سقت اليها ؟ قال نواة من ذهب .

---

(٨٧) انظر ترجمته في كتابنا (غزوة أحد) .

(٨٨) ستأتي ترجمته في هذا الكتاب .

اهم دعائم المجتمع الجديد

وهكذا نجح الرسول (ص) في اقامة المجتمع الاسلامي الجديد على دعائم قوية راسخة ، اهمها الوحدة الصحيحة التي اقامها بين قبيلتي الاوس والخزرج ، والتي لم تشهد يثرب مثلها في تاريخها .. وحدة استل بها النبي (ص) من النفوس جميع ما خلّفه ماضي الجاهلية من حزازات النعرة وسخائم العصبية .

وقد استفادت الدعوة الاسلامية من هذه الوحدة التي اقامها الرسول بين قبائل الاوس والخزرج استفادة كبرى ، وخاصة في المجال العسكري .

الانصار في الميزان الحربي

فقد كانت القبائل القحطانية من الاوس والخزرج تتمتع بطاقات حربية كبيرة ، لها وزنها في الجزيرة العربية ، ولكن هذه الطاقات كانت تستنفد (قبل شروق انوار الطلعة المحمدية على يثرب) في الحروب الاهلية الجاهلية التي كان اليهود في المدينة يستغلونها لتدعيم سيطرتهم (وخاصة الاقتصادية) في المنطقة فيذكون لهيبها بأساليبهم الخاصة المعروفة عنهم .

ولكن الاسلام لما جاء ووحّد هذه القبائل في ظل عقيدة واحدة ، استفاد من طاقات هذه القبائل الحربية ووجّهها وجهة صالحة بناءة ، حيث كانت هذه القبائل (ايام الرسول) هي القوة الحربية الرئيسية الاولى التي اعتمد عليها الاسلام

في نشر التوحيد واحلال السلام والعدل والاستقرار في ارجاء الجزيرة العربية ، وخاصة في معاركه الحاسمة مع اعدائه الرئيسيين كفار قريش ·

غير المسلمين في يثرب

وبعد ان وثق النبي (ص) من رسوخ قواعد المجتمع الاسلامي الجديد باقامة الوحدة العقائدية والسياسية والنظامية في المدينة بين المسلمين ، شرع في تنظيم علاقاته بغير المسلمين من اليهود المقيمين في المدينة ·

لم يكن النبي (ص) طالب ملك او باحث عن جاه او ساع وراء مال (وهي الامور التي تدفع بطالبها في طريق التسلط والتعسف والعدوان) وانما كان « صلى الله عليه وسلم » نبيا مرسلا همه توفير السعادة والخير للبشرية جمعاء ·

ولذلك اتجه في محادثاته مع اليهود اتجاها كله سماحة وتسامحا ، فلم يشأ (وقد أصبح زعيم أقوى قوة حربية في يثرب) ان يصادر حريتهم في دينهم او مالهم ، بل ترك لهم مطلق الحرية في كل ذلك ، ولم يلجأ الى ابعادهم عن المدينة لاختلافهم معه في الدين ، بل قبل وجودهم كأمة من أهل الكتاب ، لهم دينهم وللمسلمين دينهم ·

بل لقد ذهب الى أبعد من ذلك حيث عقد مع هؤلاء اليهود معاهدة تضمنت التعايش السلمي وحسن الجوار بين المسلمين واليهود ، بالاضافة الى تضمنها الدفاع المشترك عن يثرب ، وقد ضمن النبي (ص) في هذه المعاهدة لليهود

حرية الراي وحرية العقيدة ، والتصرف المطلق فيما يملكون من اموال (٨٩) .

تكامل المجتمع الاسلامي

واثناء قيام النبي (ص) بهذه الانجازات السياسية والاجتماعية ، كانت يثرب كلها تتفاعل بالاسلام فيدخل اهلها في دين الله افواجا طوعا واختيارا .

فقد كانت تعاليم الرسول وتصرفاته الحكيمة ومعاملاته الشريفة لكل الناس تترك في النفوس اعمق الاثر ، مما جعل سكان يثرب كلها (وفي ظرف اشهر قليلة) يعتنقون الاسلام ويدينون بالتوحيد . (عدا اليهود) .

وحتى الكارهين للنبي ودعوته (من غير اليهود) اضطروا الى اعلان اسلامهم ، مع انطوائهم على البغض والعداء لهذا الدين وحامل رسالته .

وهؤلاء هم المنافقون من أهل المدينة الذين شرقوا بالاسلام ، ولكنهم (لقلتهم) لم يقدروا على الوقوف أمام تياره القوي الدفاق ، فاضطروا الى الاندماج في السواد الاعظم من المسلمين .

وهكذا ، وبعد مضي ما يقرب من ستة اشهر على الهجرة النبوية اصبحت المدينة عاصمة حقيقية للاسلام ، فصارت الكلمة النافذة والسلطان الغالب فيها للمسلمين ،

---

(٨٩) انظر اهم بنود هذه المعاهدة في كتابنا (غزوة احد) الفصل الاول.

وهذا الذي كانت تخشى قريش ان يحدث فحاولت بكل قواها ـ منع الرسول من الهجرة الى المدينة .

التشريعات للمجتمع

وبدات تشريعات النظام الجديد تنزل من السماء ، فقد فرضت الزكاة (وهي اهم النظم الاجتماعية في الاسلام) كما شرع (قبلها) الاذن بحمل السلاح ضد اعداء الاسلام ، وكان القتال قبل الهجرة غير ماذون به للمسلمين .

وكذلك شرع النداء للاجتماع للصلاة ، وهو الاذان ، كما نزل القرآن بتشريعات اخرى نظّم وهذّب بها المجتمع الجديد ، ليس هذا محل شرحها .

متاعب العهد الجديد

لم يظهر اليهود للنبي (ص) عند قدومه يثرب ، اية مقاومة أو خصومة ، بالرغم من تخوفهم من وصوله ، على نفوذهم الاقتصادي وسيطرتهم السياسية ونفوذهم الروحي.

كما انه صلى الله عليه وسلم سارع الى تطمينهم على عقائدهم وارواحهم واموالهم ، فعقد معهم تلك المعاهدة التي كان القصد منها احلال السلام ، وتوفير الامن والطمانينة لجميع سكان المنطقة على اختلاف عناصرهم ومعتقداتهم . وقد وقع اليهود هذه المعاهدة والتزموا تنفيذ نصوصها كما التزم المسلمون .

وقد كان بوسع اليهود ان يعيشوا سعداء في ظل العهد

الاسلامي الجديد ، آمنين على عقائدهم وارواحهم واموالهم ، وكان هذا خيرا لهم لو فعلوه .

ولكن طبيعة الدس والتآمر المتأصلة في نفوسهم ، والتي صارت جزءا من كيانهم (طيلة عهودهم) ، لم تتركهم يفعلون ذلك ، بل دفعت بهم الى ما الفوه من اثارة القلاقل وخلق المشاكل وبعث الفتن .

لقد تمسك المسلمون بنصوص المعاهدة المعقودة بينهم وبين اليهود ، وكان حسن النية والرغبة الاكيدة في التعايش معهم بسلام ظاهرة بجلاء في تصرفات المسلمين .

ولكن التحرش والشغب والاعنات جاء من جانب اليهود انفسهم .. فقد هالهم واقض مضاجعهم ان رأوا سلطان الاسلام ينتشر ظله على يثرب في سرعة مذهلة لم يكونوا يتوقعونها .

وزادهم غما وشحن نفوسهم بالحسد للرسول (ص) أن تأكد لديهم أن محمد بن عبدالله القرشي الوافد الى يثرب هو النبي الموعود ذاته كما يجدون ذلك مكتوبا عندهم في كتبهم .. وبدلا من ان يسارعوا الى الايمان به ويغتبطوا بظهور رسالته ، فاضت نفوسهم بالحسد واترعت قلوبهم بالبغض له .

فهذان حبران من احبارهم قد اثقل قلوبهما الهم وامرض نفوسهما الغم نتيجة تأكدهما ، من نبوة محمد (ص) وهما حيي بن اخطب والد ام المؤمنين صفية رضي الله

عنها (٩٠) وأخوه ياسر .

قال ابن اسحاق : وحدثني عبدالله بن ابي بكر بن محمد

---

(٩٠) هي أم المؤمنين صفية بنت حيي بن أخطب بن سعنة بن ثعلبة ابن عبيد بن كعب ، من بني النضير ، وهم من سبط لاوى بن يعقوب ثم من ذرية هارون بن عمران أخي موسى عليه السلام ، كانت تحت سلام بن مشكم ، (أحد زعماء اليهود) ثم تزوجها كنانة بن أبي الحقيق ، أحد قادة اليهود في خيبر ، وقد قتل هذا في معركة خيبر ، فوقعت زوجته صفية هذه سبية في يد أحد جنود الاسلام ، فاستعادها النبي (ص) ثم اعتقها فتزوجها كما في صحيح البخاري ومسلم .. وكان أحد جنود الاسلام قد سبى صفية مع ابنة عم لها ، فمر بهما على قتلى اليهود ، فلما رأتهم ابنة عم صفية صكت وجهها وصاحت وحثت التراب على وجهها ، فقال النبي (ص) للرجل الذي مر بهما على القتلى (أنزعت الرحمة من قلبك حين تمر بالمرأتين على تتلاهما ؟) وذكر ابن حجر في الاصابة أن صفية (رض) رات في المنام (قبل معركة خيبر) ان القمر وقع في حجرها فذكرت ذلك لأمها فلطمت وجههـا وقالت لتمدين عنقك الى أن تكوني عند ملك العرب (تعني النبي ص) ، كانت أم المؤمنين صفية امراة عاقلة ، حليمة ، فاضلة ، فقد ذكر ابن عبد البر أن جارية لها أتت أمير المؤمنين عمر فقالت له .. ان صفيـة تحب السبت وتصل اليهود ، فبعث اليها عمر ، فسألها عن ذلك ، فقالت .. اما السبت فاني لم أحبه منذ أن أبدلني الله به الجمعة ، اما اليهـود فان لي فيهم رحما فانا أصلها ، فلم ينكر عليها عمر صلتها للرحم في اليهود، ثم قالت لجاريتها ما الذي حملك على هذا ؟؟ فقالت .. الشيطان ، قالت .. اذهبي فانت حرة .. أخرج أصحاب الحديث لام المؤمنين صفية عشرة احاديث عن رسول الله (ص) .. كانت صفية أيام فتنة الدار التي حاصر فيها المشاغبون الخليفة عثمان في داره ، تنقل اليه الطعام والماء سرا ... ومرة ذهبت لترد عن عثمان (بصفتها ام المؤمنين) وكانت راكبة على بغلتها، فلقيها الاشتر النخعي وهو من كبار قادة المشاغبين على عثمان فاعترض أم المؤمنين صفية وضرب وجه البغلة بعنف ، ولم يسمح لها ، فقالت .. ردني لا تفضحني . توفيت صفية سنة خمسين هـ .

بن عمرو بن حزم قال .. حدثت عن صفية بنت حيي بن اخطب انها قالت .. كنت احب ولد ابي اليه ، والى عمي ياسر ، لم القهما قط مع ولد لهما الا اخذاني دونه ، قالت .. فلما قدم رسول الله (ص) المدينة ، ونزل قباء ، في بني عمرو بن عوف ، غدا عليه ابي ، حُيَيّ بن اخطب وعمي ياسر بن اخطب مغلسين ، قالت .. فلم يرجعا حتى كانا مع غروب الشمس ، قالت .. فأتيا كالئين كسلانين ساقطين يمشيان الهوينا ، قالت فهششت اليهما كما كنت اصنع ، فوالله ما التفت الي واحد منهما ، مع ما بهما من الغم ، قالت .. وسمعت عمي ياسر يقول لأبي حيي بن اخطب :

اهو هو ؟؟ (يعني النبي — ص —) .

قال .. نعم والله .

قال .. اتعرفه وتثبته ؟؟.

قال .. نعم .

قال .. فما في نفسك منه ؟؟.

قال .. عداوته والله ما بقيت .

وروى ابن اسحاق كذلك عن عبدالله بن سلام (٩١)

---

(٩١) هو عبدالله بن سلام بن الحارث ، ابو يوسف ، من ذرية يوسف النبي (ع) ، حليف النوافل من الخزرج .. الاسرائيلي ، ثم الانصاري ، كان يهوديا من بني قينقاع ، كان عبدالله بن سلام من احبار اليهود ، وذكر اصحاب السنن ان عبدالله بن سلام قال .. لما قدم النبي (ص) المدينة كنت ممن انجفل (أي انزعج) فلما تبينت وجهه عرفت ان وجهه (ص) ليس بوجه كذاب ، شهد له النبي (ص) بأنه عاشر عشرة في الجنة . فقد روى البخاري عن زيد بن عمير قال : حضرت الوفاة معاذ بن جبل ، فقيل له .. أوصنا ، فقال .. التمسوا العلم عند أبي الدرداء وسلمان وابن مسعود

(وكان يهوديا ثم اسلم) قال : جئت رسول الله (ص) فقلت لـــــه :

يا رسول الله ان يهود قوم بهت ، وانــي احب ان تدخلني في بعض بيوتك ، وتغيبني عنهم ، ثم تسألهم عني ، حتى يخبروك ، كيف انا فيهم ، قبل أن يعلمــوا اسلامي ، فانهم أن علموا به بهتوني وعابوني ، قال .. فأدخلني رسول الله (ص) في بعض بيوتــه ، ودخلوا عليــه ، فكلموه وسألوه ، ثم قال له .. اي رجل الحصين بن سلام فيكم ؟؟ قالوا .. سيدنا وابن سيدنا ، وحبرنا وعالمنا ، قال .. فلمـــا فرغــوا من قولهم خرجت عليهم فقلت لهم :

يا معشر يهود ، اتقوا الله واقبلوا ما جاءكم به ، فوالله انكم لتعلمون انه لرســـول ، تجدونــه مكتوبـــا عندكم فـــي التوراة باسمه وصفته ، فاني أشهد انه رسول الله وأؤمن به واصدقه واعرفه ، فقالوا :

كذبت ثم وقعوا بي ، قال .. فقلت لرسول الله (ص) الم اخبرك يا رسول الله انهم قوم بهت ، اهل غدر وكذب وفجــور ؟؟

= وعبدالله بن سلام الذي كان يهوديا فاسلم ، سمعت رسول الله (ص) يقول انه عاشر عشرة في الجنة .. اعتزل عبدالله بن سلام الفتنة فلم يكن مع احد الفريقين (لا في الجمل ولا في صفين) ، وقد نقل البغوي في المعجم بسند جيد أن عبدالله بن سلام نهى أمير المؤمنين عليا (رض) عن خروجه الى العراق ، وقال له الزم منبر رسول الله (ص) فان تركته لا تراه ابدا ، فقال علي بن ابي طالب (في عبدالله بن سلام) انه رجل صالح منا ، توفي عبدالله بن سلام بالمدينة سنة ثلاث واربعين هـ .

محاولة الدس والفرقة

ونتيجة لهذا العداء المستحكم والحسد القاتل المتغلغل في نفوس هؤلاء اليهود ، شرعوا في محاربة النبي (ص) ودعوته بمختلف الوسائل .

الا ان محاربتهم (في بادىء الامر) كانت مقتصرة على اقامة العراقيل في سبيل الدعوة الاسلامية بالاعنات ومحاولة بث الفرقة بين المسلمين لتصديع وحدتهم ، باثارة النعرات الجاهلية التي قضى الاسلام عليها وأراح يثرب من شرها ، وقد شكل اليهود (في حربهم هذه) مع المنافقين جبهة واحدة للتشويش على المسلمين ومحاولة تشكيك البعض منهم بغية اعادتهم الى الكفر .

مثال من دسائس اليهود والمنافقين

فمن ذلك ان شاس بن قيس وهو يهودي عظيم الكفر، شديد الضغن على المسلمين مر يوما بنفر من أصحاب رسول الله من الاوس والخزرج في مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه اخوانا متحابين فغاظه ما رأى من ألفتهم وصلاح ذات بينهم على الاسلام ، بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية ، فقال :

قد اجتمع ملأ بني قيلة بهذه البلاد ، لا والله ما لنا معهم (اذا اجتمع ملؤهم بها) من قرار ، وهنا (وعلى طريقة اليهود في الدس والكيد) طلب من احد الشباب اليهود، وكان جالسا مع اولئك النفر من المسلمين ، وقال له .. اعمد الى

هؤلاء فاجلس معهم ، ثم اذكر لهم يوم (بعاث) (٩٢) وما كان قبله وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الاشعار .

وكان يوم بعاث يوما تاريخيا في الحروب الاهلية الطاحنة التي كانت تدور (في الجاهلية) بين الاوس والخزرج ، وكان الظفر فيه للاوس على الخزرج .

ففعل الشاب اليهودي ما امره به زعيمه ، وقد كاد هؤلاء اليهود ينجحون في مهمتهم الخبيثة ، اذ ما كاد هذا الشاب يذكر يوم بعاث ، حتى اخذ راس الفتنة يظهر بين الفريقين ، فقد تفاخر القوم وتنازعوا حتى توترت الحالة بينهم الى درجة ان احد زعماء الخروج قال لأحد زعماء الاوس متحديا .. ان شئتم رددناها جذعة (يعني الاستعداد لاحياء الحرب الاهلية التي كانت بينهم) ، فغضب الفريقان ، وقالوا : قد فعلنا ، موعدكم الظاهرة (والظاهرة الحرة) ثم تنادوا ، السلاح السلاح ، واخذوا في التسابق للحرب الى المكان المحدد ، وكادت تنشب الحرب الاهلية بينهم ، وهذا اعز امنيات اليهود والمنافقين .

الا أن الامر بلغ النبي (ص) قبل أن تنشب الحرب بينهم ، فسارع بالخروج اليهم فيمن معه من المهاجرين ، وعمل بسرعة على اخماد نيران هذه الفتنة التي هي من صنع دسائس اليهود .

فبمجرد وصول النبي (ص) الى مكان تجمعهم للحرب ،

---

(٩٢) يوم بعاث يوم معركة طاحنة شهيرة دارت بين الاوس والخزرج في الجاهلية .

وقف فيهم خطيبا قائلا :

« يا معشر المسلمين ، الله الله ، أبدعوى الجاهلية وانا بين اظهركم بعد ان هداكم الله للاسلام ، واكرمكم به وقطع به عنكم امر الجاهلية ، واستنقذكم به من الكفر ، والّف به بين قلوبكم » ؟؟

وهنا عاد الى الفريقين (الاوس والخزرج) رشدهم وادركو انها نزعة من الشيطان ودس وكيد من اليهود ، فاسترجعوا وبكوا ، ثم عانق الرجال من الاوس والخزرج بعضهم بعضا ، وعادوا راجعين الى المدينة مع رسولهم الحبيب صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم اخوانا متحابين ، وبهذا احبطت مساعي اليهود الخبيثة ورد الله كيدهم في نحورهم ، بعد ان كادوا ينجحون في تفتيت وحدة المسلمين الوليدة .

ولم ينقطع اليهود (يساندهم المنافقون) عن التشويش على الدعوة الاسلامية وخلق المتاعب لصاحبها ، فقد ظل كل فريق ، بل كل فرد منهم يعمل في هذا السبيل التخريبي .

فبينما ظل اليهود في التشويش على النبي ودعوته ينشرون ظلالا من الشكوك حولها وحول حاملها بما يثيرونه من جدل عقيم ، واسئلة متعنتة لا تمت الى البحث العلمي بشيء ، كان المنافقون الذين يخالطون المسلمين (بحكم تظاهرهم بالاسلام) يثيرون المتاعب للعهد الجديد باقامة العراقيل ، ونشر الارجاف ، وتدبير المؤامرات ، للتفريق بين المسلمين .

وكر الدس والتآمر

حتى ان هؤلاء المنافقين بلغ بهم الحرص على الاطاحة بوحدة المسلمين الى أن اتخذوا لهم وكرا يجتمعون فيه لتدبير المؤامرات وتنسيق الدسائس للتفريق بين المسلمين .

ولكي يتمكنوا من فعل ذلك بحرية تامة بنوا لهم مسجدا يتظاهرون فيه بأداء الصلوات ، ولما كان لهم حكم المسلمين لاعتناقهم الاسلام ظاهرا ، لم يمنعهم احد من اقامة هذا المسجد .

الا انه لم يمض وقت طويل على بناء هذا المسجد ، حتى تبلغ الرسول (ص) ان هذا المسجد انما بناه المنافقون ليتخذوا منه ستارا لحبك الدسائس ورسم الخطط للاضرار بوحدة الامة وسلامتها ، وبعد ان تأكد الرسول (ص) من هذه الحقيقة أمر بهدم هذا المسجد ، الذي لم يكن في حقيقته الا وكرا للتآمر ضد الاسلام والمسلمين . وفي المنافقين الذين بنوا هذا المسجد ، انزل الله تعالى قوله :

« والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وارضاء لمن حارب الله ورسوله من قبل ، وليحلفن ان اردنا الا الحسنى ، والله يشهد انهم لكاذبون » (٩٣)

« لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم والله عليم حكيم » .

طرد المنافقين من المسجد النبوي

غير أن هدم النبي صلى الله عليه وسلم لوكر تآمر

(٩٣) التوبة ١٠٧ .
(٩٤) التوبة ١١٠ .

المنافقين (مسجد الضرار) لم يحل بين هؤلاء المنافقين وبين مواصلة نشاطهم للتشويش على المسلمين والسخرية منهم وايصال الضرر الى دعوة الاسلام .

فقد ظلوا على تكتلهم وتحزبهم للعمل ضد العهد الجديد ، وحتى في المسجد النبوي وقت اجتماعهم للصلاة مع المسلمين كانوا يتكتلون ويجلس بعضهم الى بعض ، ويباشرون نشاطهم التخريبي ضد عقيدة الاسلام ، محاولين التفريق بين المسلمين . ولما تزايد شرهم ووصل نشاطهم المعادي للنبي ودعوته الى المسجد النبوي في أوقات العبادة ، امر النبي (ص) بطردهم من المسجد علنا تأديبا لهم وتجنبا لشر دسائسهم ، لأن المسجد كان مجمع الامة كلها في اوقات الصلاة ، وهذا مما ييسر لهؤلاء المنافقين بث سمومهم بين البسطاء .

قال ابن اسحاق : وكان هؤلاء المنافقون يحضرون المسجد فيستمعون احاديث المسلمين ويسخرون ويستهزئون بدينهم ، فاجتمع يوما في المسجد منهم ناس ، فرآهم رسول الله (ص) يتحدثون بينهم ، خافضي أصواتهم قد لصق بعضهم ببعض ، فأمر بهم فأخرجوا من المسجد اخراجا عنيفا .

وهكذا صار اليهود والمنافقون يسببون المتاعب ويخلقون المشاكل للنبي (ص) ويحاولون تهديم المجتمع الاسلامي الجديد وهو لما يزل وليدا .

ولكن الله (دائما) يكبتهم ويجعل محاولاتهم كلها تنتهي بالفشل ، وبالرغم من ان مشاغبات اليهود والمنافقين قد جلبت متاعب كثيرة للنبي (ص) الا ان أعمالهم الخبيثة قد كشفتهم للمسلمين وجعلتهم (منذ بداية عهدهم الجديد)

يراقبونهم ولا يركنون اليهم في أي شأن من شؤونهم ، وخاصة الحربية والسياسية باعتبارهم طابورا خامسا يعمل بين المسلمين ضدهم .

ولما كانت الظروف بالنسبة للعهد الاسلامي الجديد ، ظروفا خطيرة ، احاطت فيها الاخطار بالمسلمين من كل جانب ، اذ هم في بداية عهد جديد ، لا يزال أكثر سكان الجزيرة العربية يقفون منه موقف العداء والخصومة ، لا سيما قريش ، التي تشعر عن تجربة (أكثر من غيرها) بخطورة الدين الجديد الذي لا يعني انتصاره شيئا أكثر مما يعني نسف كيانها الوثني .

لما كانت الظروف هكذا وعلى ذلك الجانب من الخطورة ، فان النبي (ص) لم يتخذ أي اجراء تأديبي ضد اليهود والمنافقين بالرغم من تأكده انهم يمثلون داخل جسم المجتمع الجديد غدة مرض ستظل تسبب الآلام لهذا الجسم اذا لم تستأصل منه ، فتركهم وشأنهم حتى جاء دور التصفية النهائية ، وخاصة بالنسبة لليهود الذين بلغ بهم الغدر الى درجة اشهار السلاح في وجه المسلمين ، ونقض المعاهدات والانضمام الى أعداء المسلمين المحاربين في أحلك الظروف وادق ساعات الحرج ، كما فعل بنو قريظة في غزوة الاحزاب ، حينما نقضوا العهد الذي بينهم وبين المسلمين المحاصرين في المدينة ، فكان جزاء غدرهم في تلك الظروف الحرجة أن نفذ النبي (ص) حكم الاعدام في جميع رجالهم وصادر اموالهم وسبى نساءهم وذراريهم ـ كما سنفصل ذلك في غزوة الاحزاب ان شاء الله ـ .

الفصل الرابع

* نشاط المسلمين العسكري قبل معركة بدر .
* نجاح النبي في اتصالاته السياسية بقبائل المنطقة .
* المعركة الفاصلة .
* سبب المعركة .
* خروج المسلمين لمصادرة عير قريش .
* نجاة العير ، وتحركات الجيش المكي نحو بدر .
* النبي يستشير اصحابه في ملاقاة جيش مكة .
* موافقة الصحابة على خوض المعركة .
* التحام الفريقين في بدر .
* هزيمة المشركين الساحقة .

لقد كانت الظروف التي هاجر فيها الرسول هي ظروفا حربية أوجدها زعماء مكة أنفسهم ، عندما أهدروا دمه وخفروا ذمته .. انها الحرب (اذن) ولا شيء سواها .

فطبيعي (اذن) ان يعمل كل من الفريقين (مكة

والمدينة) عسكريا وسياسيا واقتصاديا ضد الاخر ، فاستعمال السلاح واضعاف شوكة العدو بأية وسيلة من الوسائل ، هو من الامور البديهية التي لا تقبل النقاش او الجدل .

فلا يلام فريق أعلنت عليه الحرب وصمم اعداؤه على الفتك به أينما وجدوه ، لا يلام اذا ما تربص بهم الدوائر ورسم الخطط لخضد شوكتهم ومنع اذاهم .

فمعركة بدر هذه التي خاضها المسلمون ضد المشركين انما هي معركة عادلة ، املتها على المسلمين طبيعة الظروف العسكرية القائمة بينهم وبين أعدائهم .

النشاط العسكري قبل معركة بدر

كانت الفترة التي تلت هجرة الرسول حتى معركة بدر ، حوالي تسعة عشر شهرا ، وفي أثناء هذه الفترة لم يحدث اي عراك دامي بين مكة والمدينة ، اللهم الا ما حدث في السرية التي قادها عبدالله بن جحش (٩٥) ، والتي تلتها معركة بدر مباشرة .

دوريات المسلمين قبل معركة بدر

اما بقية الحركات العسكرية فهي أشبه بدوريات

(٩٥) هو عبدالله بن جحش بن رباب الاسدي حليف بني عبد شمس، هاجر الهجرتين ، وكان اول أمير عقدت له راية الاسلام ، قتل شهيدا يوم احد .

استطلاعية قام بها المسلمون للاستكشاف والتعرف على الطرق المحيطة بالمدينة والمسالك المؤدية الى مكة ، واختبار مدى قوة القبائل المحيطة بالمنطقة ، ومحاولة كسب بعضها بالمحالفة او الموادعة ، (على الاقل) كما كان الهدف منها ايضا اشعار المشركين واليهود بقوة المسلمين على صد اي اعتداء يتعرضون له . ويمكن تلخيص هذه الدوريات ، أو السرايا التي قام بها المسلمون قبل معركة بدر كما يلي :

١ ـ دورية قتال بقيادة حمزة بن عبد المطلب ، قوامها ثلاثون راكبا من المهاجرين. التقت هذه الدورية بقافلة تجارية لقريش يحميها ثلاثمائة مقاتل من قريش بقيادة أبي جهل بن هشام ، وذلك في ساحل البحر ناحية العيص (٩٦) في شهر رمضان من السنة الاولى للهجرة ، ولم يحدث قتال بين الفريقين لتدخل مجدي بن عمرو الجهني الذي قام بدور حمامة السلام فحجز بينهما .

٢ ـ دورية قتال بقوة ستين راكبا قادها عبيد بن الحارث الى وادي رابغ ، وذلك في شهر شوال من السنة الاولى للهجرة ، وكان هدف الدورية تهديد تجارة قريش ، وقد التقت هذه الدورية بأكثر من مئتي مقاتل من قريش بقيادة أبي سفيان ، الا انه لم يحدث اي قتال بين الفريقين .

وفي هذه الغزوة انضم رجلان من جيش مكة الى دورية عبيد بن الحارث ، والرجلان هما المقداد بن عمرو البهراني وعتبة بن غزوان وقد كانا مسلمين خرجا في جيش مكة .

---

(٩٦) العيص ـ بالكسر ـ مكان بين ينبع والمروة ناحية البحر .

٣ ـ دورية استطلاعية قوامها ثمانية من المهاجرين بقيادة سعد بن ابي وقاص ، وصلت الى الخرار (٩٨) لتهديد طريق قريش التجارية بين مكة والشام ، ولكن هذه الدورية لم تشتبك في اي قتال مع العدو ، وكان ذلك في ذي القعدة من السنة الاولى للهجرة .

٤ ـ غزوة ودان (٩٩) ، وهي دورية قتال قوامها مئتا مقاتل ، قادها الرسول (ص) بنفسه الى منطقة ودان وذلك في صفر من السنة الثانية للهجرة ، وعاد دون ان يلقى حربا الا انه عقد معاهدة عدم اعتداء مع قبائل بني ضمرة بن بكر ابن كنانة .

٥ ـ غزوة بواط (١٠٠) وهي دورية قتال قادها الرسول (ص) بنفسه الى منطقة بواط على الطريق المؤدي من الشام الى مكة ، وذلك في ربيع الاول من السنة الثانية للهجرة ، وكان هدف هذه الدورية الايقاع بقافلة لقريش ولكن القافلة نجت وعاد النبي دون ان يلقى حربا ، وكان قوام هذه الدورية مئتا راكب .

٦ ـ غزوة العشيرة (١٠١) ، دورية قتال قوامها مئتا

---

(٩٨) الخرار ـ بفتح اوله وتشديد ثانيه ـ مكان في الحجاز بالقرب من الجحفة .

(٩٩) ودان ، موضع بين مكة والمدينة ، بينه وبين رابغ مما يلي المدينة تسعة وعشرون ميلا .

(١٠٠) بواط ـ بالضم وآخره طاء مهملة ـ واد بأرض الحجاز ناحية رضوى .

(١٠١) العشيرة ـ بضم اوله وفتح ثانيه ـ موضع بين مكة والمدينة من ناحية ينبع .

مقاتل ، قادها الرسول (ص) بنفسه الى موضع (العشيرة) بمنطقة ينبع (١٠٢) لتهديد تجارة قريش ، وعاد الرسول دون ان يلقى حربا ، لتملص قافلة قريش من المرور في تلك المنطقة ، الا ان النبي عقد (اثناء هذه الغزوة) معاهدة عدم اعتداء مع بني مدلج (١٠٣) وحلفائهم من بني ضمرة وذلك في جمادى الاولى من السنة الثانية للهجرة .

٧ ـ غزوة بدر الاولى : دورية قتال قوتها مئتا مقاتل ، قادها الرسول بنفسه وذلك في جمادى الاخرة من السنة الثانية للهجرة ، طارد بها قوات خفيفة للمشركين اغارت على مراعي المدينة ونهبت بعض المواشي ، وصل النبي في المطاردة الى وادي (سفوان) قريبا من بدر ، ولكنه لم يدرك القوات المغيرة فعاد دون أن يلقى حربا .

القتال في الشهر الحرام

وآخر عملية عسكرية قام بها المسلمون (قبل معركة بدر) هي الدورية الاستطلاعية التي قام بها ثمانية من المهاجرين بقيادة عبد الله بن جحش ، وذلك في شهر رجب من السنة الثانية للهجرة .

فقد ارسل الرسول هذه الدورية لاستطلاع اخبار

---

(١٠٢) ينبع ـ بالفتح ثم السكون ـ قرية على يمين رضوي بينها وبين رضوي ليلة للقافلة .

(١٠٣) مدلج ـ بضم أوله وسكون ثانيه وكسر ثالثه ـ بطن من كنانة من العدنانية ..

قريش وامرها ان تترصد لذلك بين مكة والطائف ، ولم يامر هذه الدورية بالقتال .

وفي مكان يقال له (نخلة) (١٠٤) التقت هذه الدورية بقافلة لقريش تحمل بضائع الى مكة ، فأوقعت هذه الدورية بها بعد ان قتلت أحد رجالها ، وهو عمرو بن الحضرمي ، واسرت اثنين منهم ؛ وبعد الاستيلاء على هذه القافلة عادت الدورية بها الى المدينة ، وكان ابن الحضرمي اول مشرك يقتله المسلمون ، كما ان القافلة التي استولى عليها عبدالله بن جحش هي اول مال لقريش يستولي عليه المسلمون .

موقف حرج

وعندما بلغ الرسول (ص) خبر هذا الحادث غضب لحادث القتل والمصادرة الذي قامت به دورية ابن جحش وابى ان يأخذ شيئا من المال المصادر ، لأن القتل والمصادرة حدثا في شهر رجب وهو من الاشهر الحرم التي يحرم القتال فيها . وقد استغلت قريش هذا الحادث فقامت بحملة تشنيع على المسلمين باعتبارهم منتهكين لحرمة الاشهر الحرم التي كان القتال فيها محرما باجماع قبائل العرب ، وقالوا لقد استحل محمد واصحابه الشهر الحرام وسفكوا فيه الدم واخذوا فيه الاموال واسروا فيه الرجال .

ولم ينج رجال هذه الدورية من ورطتهم الا نزول الوحي من السماء باباحة قتال المشركين في اي وقت كان ، فقد اقر القرآن القائد ابن جحش وافراد دوريته على عملهم

(١٠٤) هي نخلة اليمانية ، وهو الوادي المسمى باسم اليمانية المعروف بين مكة والطائف .

الحربي اياه ، حيث انزل الله بهذه المناسبة :

« يسألونك عن الشهر الحرام ، قتال فيه ، قل قتال فيه كبير . وصد عن سبيل الله وكفر بـه والمسجد الحرام واخراج اهله منه أكبر عنـد اللـه ، والفتنـة أكبر مـن القتل » (١٠٥) .

بعد التطور التشريعي في القتال

وبعد هذا التطور التشريعي الذي احل قتال العدو في اي زمان ، دخل الصراع المسلح بين الفريقين في مراحل أشد حسما ، واتسعت الهوة بين المعسكرين ، وصمم المسلمون على ان لا يتركوا أية فرصة تسنح لهـم للايقاع بعدوهم الا اغتنموها .

كمـا ادرك قادة مكـة ان المسلمين مصممون علـى محاسبتهم عسكريا على كل ما ارتكبوه في حقهم من سيئات .

تجارة مكة في خطر

ولقد كان اول خطر شعر به مشركو مكـة هـو ان تجارتهم الرئيسية مع الشام ـ والتـي هي العمود الفقري لحياتهم ـ اصبحت مهددة تهديدا خطيرا ، بعـد ان تمركز النبي في مقاطعة يثرب (١٠٦) التي تتحكم في طريق القوافل الرئيسي ، بين مكة والشام ، وهذه هي احدى النتائج التي كانت تخشاها مكة من افلات محمد من قبضتها .

---

(١٠٥) البقرة ٢١٦ .

(١٠٦) يثرب اسم للمنطقة التي فيها المدينة ، وقد سميت باسم اول من سكنها ، وهو يثرب بن قانية من ولد سام بن نوح .

معركة بدر

لقد كانت معركة بدر ـ بالاضافة الى كونها المعركة الفاصلة الاولى في تاريخ الاسلام ـ اول مراحل الكفاح الجدي الدامي الذي خاضه الاسلام ضد الشرك .

فهي أول معركة (على الاطلاق) يتقابل فيها الفريقان ويقذفون في اتونها بكتائب لم يسبق لهم ان قذفوا بمثلها منذ ظهرت دعوة الاسلام ، ونشبت الخصومة بينه وبين الكفر .

أسباب المعركة

لقد تحقق خوف المشركين ووقعت مكة فيما كانت تخشى الوقوع فيه ، فقد ظلت المدينة على غاية من التيقظ والتربص تترقب كل حركة من حركات قريش التجارية بين مكة والشام للايقاع بها .

وفي أوائل الخريف من السنة الثانية للهجرة تلقت المدينة من مخابراتها اشارة بأن أبا سفيان بن حرب قد خرج من مكة الى الشام في تجارة كبيرة .

فخف الرسول وخرج من المدينة في مائتي مقاتل لاعتراضها وذلك في غزوة العشيرة ، ولكن هذه القافلة تمكنت

من الافلات الى الشام ، فظل المسلمون يترقبون عودتها .

وقد بعث النبي (ص) دورية مكونة من طلحة بن عبيد الله (١٠٧) وسعيد بن زيد (١٠٨) وامرها بالاتجاه نحو الشمال لانتظار القافلة ، فوصلت هذه الدورية الى الحوراء (١٠٩) وهناك مكثت هذه الدورية حتى مر بها أبو سفيان عائدا من الشام بالقافلة البالغ عددها الف بعير ، وعند ذلك اسرع طلحة وسعيد واخبرا رسول الله بذلك .

خروج النبي للاستيلاء على القافلة

انها (اذن) فرصة ذهبية لمعسكر المدينة ، وخاصة من فيه من المهاجرين الذين صادر اهل مكة ثرواتهم عند هجرتهم واستولوا على ممتلكاتهم .

وانها لضربة عسكرية وسياسية واقتصادية قاصمة ،

---

(١٠٧) هو طلحة بن عبيد الله بن عثمان التيمي القرشي ، غني عن التعريف ، احد العشرة المبشرين بالجنة ، شهد جميع المشاهد مع رسول الله وأصيب بأربعة وعشرين جرحا في معركة احد ، كان من أغنياء الصحابة الاجواد ، قتل في الفتنة يوم الجمل في جانب عائشة ودفن بالبصرة .

(١٠٨) هو سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي القرشي احد العشرة المبشرين بالجنة ، كان من ذوي الراي والبسالة ، شهد اليرموك وحصار دمشق ، وولاه أبو عبيدة امارة هذه المدينة ، مات (رض) بالمدينة المنورة سنة احدى وخمسين من الهجرة .

(١٠٩) الحوراء ـ بفتح اوله وسكون ثانيه ـ ماء لبني طي شمال غرب المدينة .

تنزل بمعسكر الشرك في مكة ، لو انها فقدت هـذه الثروة الهائلة على أيدي المسلمين .

فلتتحرك المدينة (اذن) للاستيلاء على هـذه الثروة الضخمة التي تحملها عير المشركين ، وهل في ذلك من حرج ؟

اليست المدينة في حالة حرب مع مكة ؟ ، اليس الذين اعلنوا هذه الحرب ـ بغيا وعدوانا ـ هم أهل مكة واصحاب هذه القافلة ؟ واليس أصحاب هذه القافلة هم الذين صادروا أموال المهاجرين واستولوا على ممتلكاتهم في مكة بغيا وعدوانا لا لشيء الا لانهم آمنوا بالدين الجديد . واليس من حق من اعلنت عليه الحرب وصودرت امواله ان يقاتل من اعلنها ويستولي على كل ما تصل اليه يده من ممتلكاته ؟؟

بلى .. ان هذه هى قاعدة الحرب وقانونها في عرف جميع البشر !! (١١٠)

فلا غرابة (اذن) في أن يعقد الرسول العزم على التصدي لقافلة قريش ويصمم على الاستيلاء عليها كجزء من مال العدو المحارب .

ان كثيرا من المستشرقين وبعض فروخهم في الشرق الاسلامي ينظرون الى معركة بدر ، وكأنها ضرب من قطع الطريق وأعمال السلب والنهب المجردة .

وهذه النظرة بالتأكيد ، ليس لها مصدر الا الحقد الاسود الذي يعمي عن الحقائق ويتيح للهوى ان يتكلم

---

(١١٠) انظر القانون الدولي العام

ويصدر حكمه كما يشاء .

والا فكيف يوصف باللصوصية وقطع الطريق من حمل السلاح في وجه من اعلن عليه الحرب وقرر الفتك به ، وصمم على القضاء عليه ومحوه من الوجود وصادر كل ما وصلت اليه يده من امواله وممتلكاته .

منطق غريب ...

انه منطق غريب معكوس ، لا يشبهه الا منطق اسياد هؤلاء الفروخ من المستعمرين الذين يصادرون حريات الشعوب ، ويهدرون كراماتهم ويستبيحون دماءهم ، ثم يسمونهم باللصوص المتوحشين .

قال جندي انكليزي مرة لزميل له ـ يصف الافريقيين المعتدى عليهم ـ ان هؤلاء الافريقيين وحوش والله ، وحوش ، فقال له : وكيف ؟؟

قال : تصور ان احدهم عضني وانا أقتله .. !

الحملة تتحرك

بعد ان سمع النبي بدخول قافلة العدو الى التراب الحجازي تحرك من المدينة بجيشه للاستيلاء عليها ..

ومن الواضح جدا .. ان استنفار عساكر الاسلام بالمدينة من اجل الاستيلاء على هذه القافلة ، لم يكن تجنيدا اجباريا (كما هي العادة في المعارك الكبرى التي يستعد

الرسول لخوضها كمعركة احد، بل كان نداء الرسول للجيش هنا بمثابة ترغيب فقط .

فقد جاء في ندائه قوله .. هذه عير قريش فيها اموالهم فاخرجوا اليها لعل الله ينفلكموها .

ولذلك تخلف كثير من الصحابة في المدينة عن الاشتراك في معركة بدر التي لم يكن احد من المسلمين يتوقع حدوثها عند خروجه من المدينة .

ولم ينكر الرسول على أحد من المتخلفين ، بل ولم يستحثه على الخروج مع الحملة ، بل ترك الامر للرغبة الخاصة ، والاختيار المحض .

ومن المؤكد ان الذين لم ينخرطوا في سلك الجيش الذي خرج لملاقاة العير ، لو كانوا يعلمون ان الرسول سيصطدم بجيش مكة ذلك الاصطدام العنيف في بدر ، لما تخلف منهم قادر على حمل السلاح . ولكنهم اعتقدوا (جازمين) ان الصدام لن يكون عنيفا عند التصدي للقافلة ، بل قد لا يكون هناك صدام اذ من المتوقع ان يفر حرس العير — وهم لا يزيدون عن أربعين راكبا — بمجرد رؤية محمد وجنوده الذين لا يقلون عن ثلاثمائة مقاتل .

لذلك تخلف من تخلف عن الحملة في المدينة ، وقد افصح عن هذه الحقيقة اسيد بن الحضير (١١١) — وهو سيد

---

(١١١) هو أسيد (بالضم) بن الحضير بن سماك بن عتيك الانصاري الاشهلي ، كان من السابقين الاولين في الاسلام ، شهد بيعة العقبة ، وكان احد النقباء فيها ، وكان سيدا شريفا مطاعا بين الانصار ، وقالت عائشة =

من سادات الانصار — فقد قال للرسول معتذرا — عندما لقيه مهنئا بالنصر في الروحاء — والله يا رسول الله ما كان تخلفي عن بدر وأنا اظن انك تلقى عدوا ، ولكن ظننت انها عير ، ولو ظننت انه عدو ما تخلفت ، فقال له الرسول صدقت .

وكان خروج النبي بجيشه من المدينة يوم الاربعاء لثمان خلون من شهر رمضان سنة اثنتين من الهجرة .

امير على المدينة

وقد استعمل على المدينة للصلاة بالناس ابن ام مكتوم (١١٢) .

اما الامارة على المدينة فقد اسندها لأبي لبابة (١١٣) الذي اعاده من الروحاء ، بعد أن اعفاه من الاشتراك في حملة بدر .

= رضي الله عنها ثلاثة من الانصار لم يكن احد منهم يلحق في الفضل كلهم من بني عبد الاشهل، سعد بن معاذ وأسيد بن حضير، وعباد بن بشر، شهد اسيد احدا، وكان من الثابتين بعد الهزيمة وجرح في تلك المعركة سبع جراحات مات (رض) سنة احدى وعشرين من الهجرة .

(١١٢) انظر ترجمته في كتابنا (غزوة احد) .

(١١٣) ابو لبابة ، اسمه رفاعة بن عبد المنذر الاوسي الانصاري ، شهد بيعة العقبة وكان احد نقبائها الاثني عشر ، كان احد الذين تخلوا عن رسول الله (ص) في غزوة تبوك ، ثم تاب الله عليه مع من تاب ، شهد فتح مكة ، وكان معه لواء قومه بني عوف ، مات في خلافة علي ، وقيل عاش الى ما بعد الخمسين من الهجرة .

توزيع القيادات

وعند خروج الجيش من المدينة دفع لواء القيادة العامة (التي يتولاها (ص) بنفسه) الى مصعب بن عمير القرشي ، وكان هذا اللواء أبيضا .

كما قسم (ص) جيشه الى كتيبتين ، وكان هذا التقسيم على أساس قبلي .

فقد كانت كتيبة المهاجرين ـ التي اعطي علمها لعلي بن ابي طالب (١١٤) ـ منفصلة عن كتيبة الانصار التي أعطي علمها لسعد بن معاذ (١١٥) ، بينما ظلت قيادة هاتين الكتيبتين العليا في يد الرسول (ص) كقائد أعلى للجيش .

كما أعطى قيادة ميمنة الجيش للزبير بن العوام ، والميسرة للمقداد بن عمرو الكندي وهما الفارسان الوحيدان في جيش المدينة ، كما أعطى قيادة الساقة (المؤخرة) لقيس ابن أبي صعصعة .

---

(١١٤) هو علي بن أبي طالب ابن عم رسول الله ، غني عن التعريف ، رابع الخلفاء الراشدين وزوج فاطمة البتول واول الناس اسلاما ، احد العشرة المبشرين بالجنة ، فارس بني عبد مناف وبطلها المغوار ، شهد المعارك كلها مع رسول الله (ص) تولى الخلافة بعد ان ضربت الفتنة اطنابها على الامة الاسلامية ، فكان (رض) مثال العدل والعفة والنزاهة ، قتله اللعين ، عبد الرحمن بن الملجم غدرا ، ليلة السابع عشر من رمضان سنة اربعين من الهجرة .

(١١٥) هو سعد بن معاذ بن النعمان الانصاري الاوسي ، كان سيد الاوس في الجاهلية والاسلام ،وهو الذي قال فيه النبي لما مات (اهتز العرش لموت سعد بن معاذ) جرح يوم الخندق ومات من جرحه ذلك بعد شهر وذلك سنة خمس من الهجرة .

مبلغ قوة جيش المدينة

وكان جيش المدينة يتألف من ثلاثمائة وسبعة عشر رجلا .

منهم ، مئتان وواحد وثلاثون من الانصار .. مائة وسبعون من الخزرج ، وواحد وستون من الاوس .

اما المهاجرون فقد كانوا ستة وثمانون رجلا (١١٦) .

ومن الجدير بالذكر انه لم يكن بين هؤلاء المهاجرين من القرشيين سوى واحد واربعين رجلا .

من بني هاشم ثلاثة ، ومن بني المطلب اربعة ، ومن بني عبد شمس واحد ، ومن بني عبد العزى واحد ، ومن بني عبد الدار اثنان ، ومن بني زهرة ثلاثة ، ومن بني تيم واحد ، ومن بني مخزوم ثلاثة ، ومن بني عدي اربعة ، ومن بني جمح خمسة ، ومن بني سهم واحد ، ومن بني عامر خمسة ومن بني الحارث ستة .

اما الباقون ، وهم خمسة واربعون فقد كانوا من الموالي والحلفاء .

فالموالي كانوا اثنا عشر ، منهم اربعة من العرب، وثمانية

---

(١٦) وقد ذكر المؤرخون ان ثمانية من هؤلاء .. ثلاثة من المهاجرين وهم : عثمان بن عفان ، وطلحة بن عبيد الله ، وسعد بن زيد ، وخمسة من الانصار ، قد غابوا عن المركة في مهام تتعلق بالاسلام فأعلن الرسول ان لهم اجر من شهدها وضرب لهم بسهم كمن شهدها ، ولهذا اعتبروا في عداد البدريين وان لم يشهدوا بدرا .

مــن العجــم .

اما الحلفاء من العرب (غير القرشيين) فقد كانوا ثلاثة وثلاثون .

اما سلاح النقليات في هذه الحملة فقد كــان سبعــين بعيرا وفرسين فقط ، احدهما مع المقداد بن الاسود والثاني مع الزبير بن العوام .

لا فرق بين قائد وجندي

وكان افراد الجيش مع قوادهم يعتقبون السبعين بعيرا في حملتهم هذه ، فقد خصص جمــل لكل جماعــة يركبونه بالتناوب حتى بدر .

وكان الرسول (ص) ومرثد بن ابي مرثد (١١٧) وعلي ابن ابي طالب يعتقبون بعيرا ، فطلب ابن ابي طالب وابن أبي مرثد من زميلهما النبي (ص) ان يتنازلا عن حصتهما في ركوب البعير له ، وقالا له ، نحن نمشي عنــك ، فقال (ص) « مــا انتما بأقوى مني ولا أنا بأغنى الاجر عنكما» وابى الا ان تكون حصته في ركوب البعير كواحد منهما .

الاستخبارات النبوية

امر الرسول (ص) بقطع الاجراس من أعناق الابل (١١٨)

---

(١١٧) هو مرثد بن ابي مرثد الغنوي ، من قبيلــة قيس بن غيلان المضرية ، قتل شهيدا في غزوة ذات الرجيع سنة ثلاث من الهجرة .

(١١٨) البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٦١ .

ويظهر ان ذلك من اجل اخفاء حركات الجيش، لأن الاجراس تحدث أصواتا عالية عند سير الجمال ، وهذا مما قد يسهل على العدو معرفة مكان الجيش ، ولهذا (والله اعلم) امر الرسول بقطعها من اعناق الابل .

وكما هي السادة في الظروف الحربية التي تتطلب الحيطة والحذر ، بث الرسول عيونه – وهم المعبر عنهم في العصر الحديث بالاستخبارات او سلاح الاستكشاف – ، انتشر رجال سلاح الاستكشاف امام الجيش هنا وهناك ، بغية التعرف على اخبار قافلة العدو . وكان احد هؤلاء ، بسبس بن عمرو الجهني (١١٩) وعدي بن ابي الزغباء (١٢٠) اللذين كانا اول من بعثهم النبي في اتجاه بدر يتجسسان الاخبار عن ابي سفيان .

الطريق الى بدر

وقد سلك الرسول في طريقه من المدينة الى بدر ، على نقب المدينة (١٢١) ، ثم العقيق (١٢٢) ثم ذي الحليفة (١٢٣) ثم اولات الجيش (١٢٤) ثم تربان (١٢٥) ثم ملل (١٢٦) ثم

---

(١١٩) هو بسبس بن عمرو الغطفاني الجهني .

(١٢٠) هو عدي بن ابي الزغباء الغطفاني الجهني ، توفي في خلافة عمر .

(١٢١) خرق في الجبل بالقرب من المدينة .

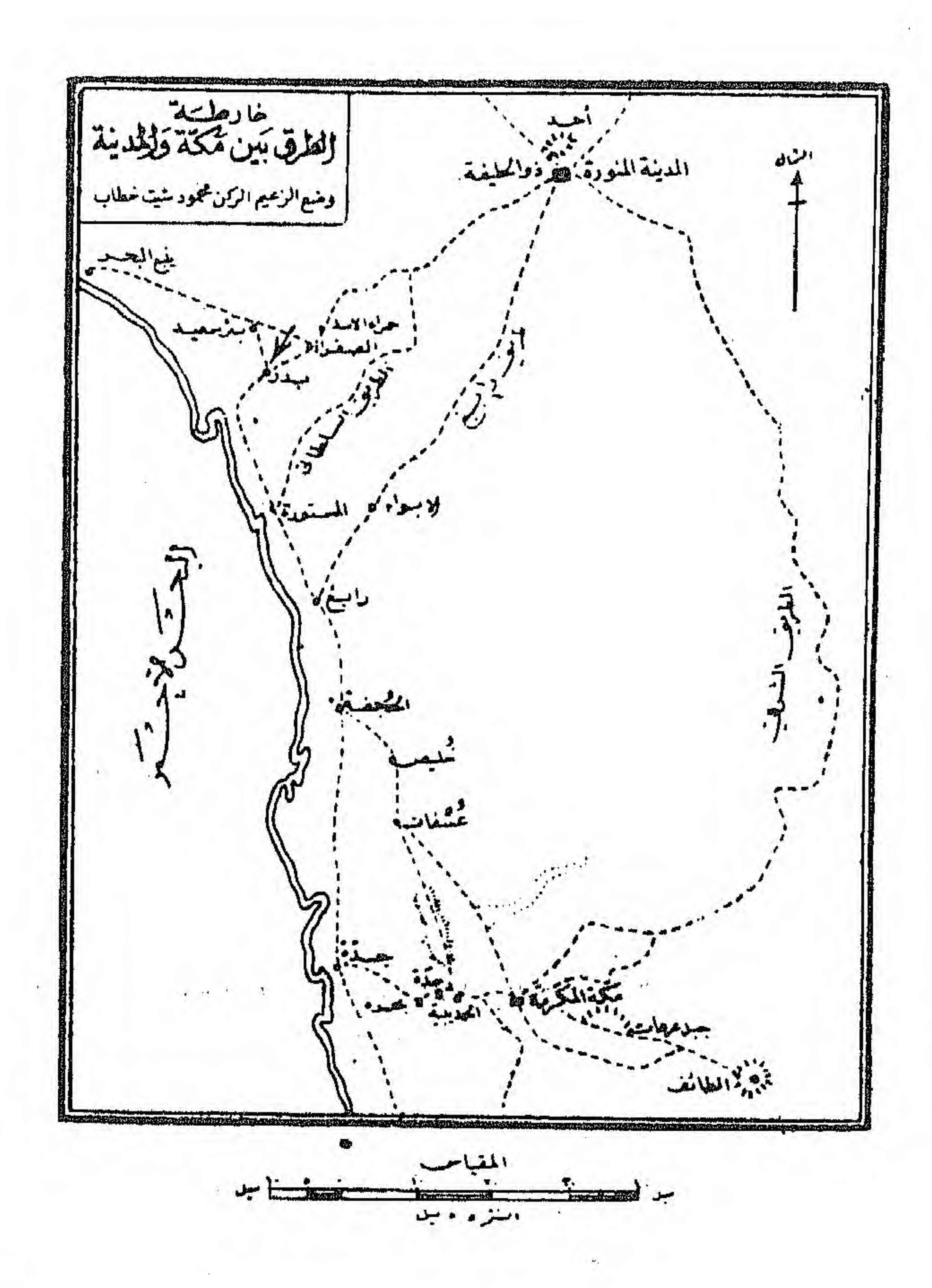
(١٢٢) العقيق – بفتح اوله وكسر ثانيه – وادي يمر بضواحي المدينة.

(١٢٣) ذو الحليفة – بضم الحاء وفتح اللام – مكان بينه وبين المدينة ستة اميال .

(١٢٤) اولات الجيش ، واد بين ذي الحليفة وتربان .

(١٢٥) تربان – بالضم – واد بين ذات الجيش وملل .

(١٢٦) ملل – بفتح الميم واللام – موضع بينه وبين المدينة ليلتان للقافلة .


خارطة
الطرق بين مكة والمدينة
وضع الزعيم الركن محمود شيت خطاب
أحد
المدينة المنورة
ذو الحليفة
الشمال
ينبع البحر
بدر
الأبواء
المستورة
رابغ
الجحفة
خليص
عسفان
جدة
الحديبية
مكة المكرمة
الطائف
البحر الأحمر
المقياس

غميس الحمام (١٢٧) ثم صخيرات اليمامة (١٢٨) ثم السيالة (١٢٩) ثم فج الروحاء . ثم شنوكة (١٣٠) .

وعند مغادرته بئر الروحاء ترك طريق مكة بيسار ثم انحرف ذات اليمين على النازية يريد بدرا ، حتى اذا سلك واديا يقال له وحقان — بين النازية ومضيق الصفراء — انصب منه ، ثم ترك وادي الصفراء بيسار ، وسلك ذات اليمين على واد يقال له ذفران (١٣٦) ، وعند خروجه من هذا الوادي بلغه خبر خروج جيش مكة وزحفه في اتجاه بدر . وبعد خروجه من وادي ذفران سلك على ثنايا ، يقال لها ، الاصافر ، ثم انحط منها الى بلد — قرب بدر — يقال له .. الدبة ، وترك الحنان (١٣٢) بيمين ، ثم نزل قريبا من بدر .

استنجاد ابي سفيان بمكة

اما أبو سفيان — وهو المسئول الاول عن عير قريش — فقد كان على غاية من الحيطة والحذر حيث كان يعلم جيدا ، ان طريق مكة محفوف بالاخطار .

لذلك لم تكد قدماه تطأ التراب الحجازي في الشمال

---

(١٢٧) غميس الحمام — بفتح اوله وكسر ثانيه — واد بعد ملل .

(١٢٨) السيالة ، موضع بين ملل والروحاء .

(١٢٩) الروحاء — بفتح الراء — موضع على اربعين ميلا من المدينة .

(١٣٠) شنوكة — بفتح اوله وضم ثانيه — جبل بعد الروحاء قريب من بدر .

(١٣١) ذفران — بالفتح ، ثم فاء بالكسر ، وراء مهملة — واد قرب وادي الصفراء .

(١٣٢) الحنان — كثيب عظيم كالجبل يقع على العدوة الدنيا القريبة من بدر .

حتى انتشرت استخباراته امامه تترصد الاخبار لمعرفة ما اذا كانت هناك تحركات عسكرية من قبل محمد للايقاع بالقافلة .

ولم يطل التجسس بأبي سفيان ، فقد نقلت اليه استخباراته ان محمدا قد استنفر أصحابه للقافلة وانهم قد غادروا المدينة للايقاع بها .

وهنا اسقط في يد ابي سفيان ، وتمثل امامه الخطر كبيرا مريعا ، لذا قرر في الحال ابلاغ قادة قريش في مكة حقيقة الخطر المحدق بعيرهم ، طالبا منهم الاسراع لانقاذها ، وحمايتها من الوقوع في قبضة محمد .

النذير في مكة

وما هي الا مدة قصيرة حتى ظهر رسول أبي سفيان (ضمضم بن عمرو الغفاري) في أعلى الابطح بمكة واقفا على بعيره ، قد حول رحله وشق رداءه صارخا بأعلى صوته — يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة ، اموالكم مع أبي سفيان ، قد عرض لها محمد وأصحابه ، لا ارى ان تدركوها ، الغوث الغوث — .

وقد انزعجت مكة لهذا النبأ الخطير انزعاجا كبيرا ، قررت على اثره في الحال تجهيز جيش قوي لانقاذ العير ، وبأسرع ما يمكن .

وقد اشترك في تجهيز هذا الجيش بالرجال والمال جميع قبائل قريش ، كما ضم جميع زعماء قريش وقادتها ، ما عدا أبي لهب الذي تأخر لمرض ألمّ به ، وبعث عنه بديلا ، وصفوان بن امية لان اباه واخاه ممن انخرط في سلك هذا الجيش .

مشكلة قبائل بني بكر من كنانة (١٣٣)

وبعد تجهيز الجيش تذكر زعماء مكة ما بينهم وبين بني بكر من كنانة ، من الحرب ، وخافوا ان تضربهم هذه القبائل من الخلف ، فيكونوا بين نارين ، فكاد ذلك أن يثنيهم عن الزحف لانقاذ العير غير ان ابليس تبدى لهم في صورة سراقة ابن مالك بن جعشم ، وكان من اشراف كنانة ، وقال لهم انا جار لكم من ان تأتيكم كنانة من خلفكم بشيء تكرهونه ، فخرجوا سراعا ، قال ابن كثير في تاريخه (١٣٤) (قلت) وهذا معنى قوله تعالى (ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط ، اذ زين لهم الشيطان اعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم ، فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون اني أخاف الله والله شديد العقاب (١٣٥) .

جيش مكة يتحرك

تحركت مكة (بعد ان ضمنت موقف بني بكر) ثم نفرت بصناديدها وانطلق سوادها يغلي كالبركان .

فقد فصل منها جيش ضخم بلغ تعداده حوالي الف

---

(١٣٣) هم بنو بكر بن عبد مناة بن كنانة ، يتصل نسبهم بقريش في كنانة بن خزيمة ، كانت منازلهم تنتشر بين مكة والمدينة ، وكانت الحرب بينهم وبين قريش قائمة عندما تجهز جيش مكة للخروج لانقاذ العير ، وكان سبب هذه الحرب ان رجلا من بني عامر بن لؤي من قريش قتل رجلا من بكر هؤلاء .

(١٣٤) البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٥٩ .

(١٣٥) الانفال ، ٤٧ — ٤٨ .

وثلاثمائة مقاتل .. تحرك هـذا الجيش بسرعة فائقـة نحو الشمال في تجاه بدر ، فامتطى الصعب والذلـول ، بغيـة انقاذ العير قبل وقوعها في قبضة جيش المدينة .

وقد سلكوا في طريقهم الـى بدر وادي عسفان (١٣٦) ثم قديد (١٣٧) ثم الجحفة (١٣٨) ثم الابواء (١٣٩) ثم الى بدر ، وقـد كان معهم ستون فرسا وستمائة درع ، وجمال كثيرة لم يعرف عددها بالضبط .

الممولون لجيش مكـة

وكان المطعمون لجيش مكة والقائمون بتموينه تسعـة من زعمائها وهم :

ـ ابو جهل بن هشام ، نحر لهم عشرا من الابل حين خروجهم من مكة .

ـ امية بن خلف ، نحر لهم تسـعا بعسفان .

ـ سهيل بن عمرو (١٤٠) ، نحر لهم عشرا بقديد .

ـ شيبة بن ربيعة ، نحر لهم تسعا عـلى مياه البحر بالقرب من قديد .

---

(١٣٦) عسفان ـ بضم العين وسكون السين ـ يقع في طريق القوافل بين مكـة ورابـغ .

(١٣٧) قديد ـ بضم القاف وفتح الدال ـ مكان بين عسفان ورابغ يقع بالقرب من تول ـ بضم التاء وفتح الواو ـ .

(١٣٨) الجحفة بالضم ثم السكون ـ قرية على وادي رابغ بينها وبين البحر ستة اميال ، وبينها وبين مكة بطريق القوافل حوالي ١٢٢ ميلا .

(١٣٩) الابواء ـ بالفتح ثم السكون ـ قرية على بعد ثلاثة وعشرون ميلا من الجحفة مما يلي المدينة .

(١٤٠) ستاتي ترجمته فيما يلي .

ـ عتبة بن ربيعة نحر لهم عشرا في الجحفة .
ـ نبيه ومنبه ابناء الحجاج نحرا لهم عشرا بالابواء .
ـ العباس بن عبد المطلب ، نحر لهم عشرا بين الابواء وبـدر .
ـ ابو البختري بن هشام ، نحر لهم عشرا في بدر .

وبينما كان جيش مكة يتحرك بسرعة نحو بدر كان أبو سفيان يواصل سيره نحو مكة ، وبالرغم من تأكده من اسراع مكة بنجدته فانـه ظل حذرا متيقظا ، يرسم الخطط لكـل الاحتمالات التي قـد يتعرض لها قبل اتصاله بجيش مكة ، فهو لذلك لم يستنم في انتظار نجدة قريش .

فقد ضاعف حركاته الاستكشافية ، وبذل كل مـا في وسعه لتتبع اخبار جيش المدينة ليتجنب الاصطدام بـه ، ويفلت من قبضته . وبالرغم من حذر أبي سفيان وتيقظه ، فانه لم يغير اتجاهه الطبيعي العـادي في سيره نحو مكـة ، فقد كان يسير بالقافلة من الشمال نحو الجنوب في اتجاه بدر ، تاركا المدينة عن يساره .

ساعة حرجة

وقد كانت ساعة حرجة بالنسبة لأبي سفيـان عندما كاد يقع مع القافلة في قبضة المسلمين ، عند اقترابه من بدر اذ انه اسبقه العقل عندما لقي مجدي بن عمرو وسأله عن جيش محمد ، فقال ما رأيت احدا أنكره الا أنني رأيت راكبين أناخا الى هذا التل ، ثم استقيا في شن لهما ثم انطلقا .

وهنا أسرع أبـو سفيان الى مناخ راحلتي الرجلين وتناول بعرات من فضلاتهما ، وعند فحصها وجد فيها النوى

(بذر التمر) فقال هذه والله علائف يثرب ، وتأكد لديه ان الرجلين من أصحاب محمد ، وأن جيشه لا شك قريب من العير التي، قد تقع بين لحظة واخرى في قبضته .

وهنا رجع الى العير مسرعا وضرب وجهها محولا اتجاهها نحو الساحل غربا ، وبهذا نجا بالقافلة من الوقوع في قبضة جيش المدينة .

جيش مكة ونجاة العير

وبعد ان تأكد أبو سفيان من نجاة العير ابلغ قريشا ذلك وطلب منهم ـ ناصحا ـ ان يعودوا بالجيش الى مكة ، قائلا (في رسالة بعث بها اليهم ، وصلتهم وهم في الجحفة) انكم انما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم واموالكم ، وقد نجاها الله ، فارجعوا .

ولكن أبا جهل (وهو من اكبر الحاقدين على النبي محمد) رفض نصيحة ابي سفيان واصر على ان يستمر الجيش في زحفه حتى بدر قائلا ، في كبرياء وغطرسة :

والله لا نرجع حتى نرد بدرا فنقيم بها ثلاثا فننحر الجزور ونطعم الطعام ونسقي الخمر وتعزف لنا القيان (١٤١) وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا فلا يزالون يهابوننا ابدا. فامضوا (١٤٢) .

---

(١٤١) القيان جمع قينة بفتح القاف وسكون الياء ، الامة المغنية، والماشطة .

(١٤٢) البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٦٦ .

اول انشقاق في جيش مكة

وقد كان قصد ابي جهل من استمرار جيش مكة في زحفه حتى بدر (بالرغم من نجاة العير) ان يكون هذا الزحف بمثابة مناورة عسكرية كبرى تبرز فيها قوة مكة وتتجسد فيها هيبتها امام قبائل العرب ـ وخاصة الضاربة بين مكة والمدينة ـ والتي سيمر بأراضيها هذا الجيش الضخم الذي لم تشهد بلاد العرب مثل ضخامته منذ ظهور الاسلام .

اجعلوا جبنها بي

ولكن الاخنس بن شريق الثقفي (١٤٣) ـ حليف بني زهرة وقائد قبيلتها في هذا النفير ـ عارض ابا جهل في رايه ووقف في الجيش خطيبا موجها كلامه الى بني زهرة قائلا :

يا بني زهرة قد نجى الله لكم اموالكم، وخلص صاحبكم مخرمة بن نوفل (١٤٤)، وانما نفرتم لتمنعوه وماله، فاجعلوا بي جبنها وارجعوا فانه لا حاجة لكم بأن تخرجوا في غير ضيعة ، لا ما يقول هذا ، يعني ابا جهل .

---

(١٤٣) هو الاخنس بن شريق بن وهب الثقفي حليف بني زهرة ، كان سيدا عاقلا ومطاعا في قومه ، سمي الاخنس ، لانه انخنس ، اي انفصل ببني زهرة من جيش مكة بعد نجاة العير ، اسلم عام الفتح، وشهد حنينا مع الرسول (ص) .

(١٤٤) هو مخرمة بن نوفل بن عبد مناف الزهري ، كان احد رجال العير التي نجا بها ابو سفيان ، اسلم عام الفتح ومات سنة خمس وخمسين من الهجرة وعمره ١١٥ سنة .

وكان الاخنس الثقفي هذا سيدا مطاعا في بني زهرة ، لذا اطاعوه ورجعوا جميعهم من الجحفة ولم يشهد بدرا زهري واحد . وكانوا حوالي ثلاثمائة رجل .

حرج موقف المسلمين

استمر جيش مكة في زحفه نحو الشمال ، في خيلاء متزايد وكبرياء متناه ، متبعا راي ابي جهل الذي قاده في النهاية الى هزيمة منكرة ، لم تشهد قريش مثلها في تاريخها الطويل .

اما المسلمون فقد بلغهم خبر نجاة ابي سفيان بالقافلة، ولكن الخبر الذي هو أهم من خبر افلات القافلة هو خبر تحركات جيش مكة الضخم واستمراره في الزحف نحو بدر بالرغم من نجاة العير التي لم يخرج الا لحمايتها .

فمما لا شك فيه ، ان ترك جيش الشرك يجوس خلال الديار في تلك المنطقة الحساسة ، ويستعرض عضلاته بين القبائل الضاربة بين مكة والمدينة ، فيه تحد سافر لمعسكر المدينة المسلم ، وتدعيم لمكانة قريش العسكرية وامتداد لسلطانها السياسي ، واضعاف لنفوذ الاسلام الذي اخذ ينتشر في تلك البقاع التي كانت (منذ الهجرة) مجالا لسرايا عسكرية يقوم بها جيش النبي لاعلاء كلمة الله وتوهين كلمة الكفر .

فسير جيش مكة في استعراضاته الاستفزازية من مكة حتى بدر ، دون ان يشتبك مع جيش المدينة الذي كان هو الآخر متجها بزحفه نحو بدر ، معناه النكول عن القتال ،

وهذا لو حدث من جانب جيش محمد، سيكون له اسوأ الاثر على هيبة المسلمين وسمعتهم العسكرية في تلك المنطقة، وقد يشجع هذا النكول ابا جهل على نقل المعركة الى اسوار المدينة وغزو النبي في عقر داره بهذا الجيش نفسه .

المجلس العسكري الاعلى

لهذا اهتم الرسول (ص) بهذه التطورات الخطيرة المفاجئة ، غاية الاهتمام ، وكانت رغبة الرسول اكيدة وقوية في الاشتباك مع جيش مكة في بدر ، مهما كان الثمن .

ولكنه بالرغم من هذا ، وبالرغم من انه النبي المرسل من عند الله ، وبالرغم من انه القائد الاعلى للجيش ، فقد قرر ان لا ينفرد بالقول الفصل وان لا يستبد برأيه حيال هذه التطورات العسكرية المباغتة ، وذلك عملا بمبدأ الشورى الذي جاء به الاسلام (وشاورهم في الامر) .

لذلك سارع الرسول(ص) الى عقد ما يسمى بلغة عصرنا (مجلسا عسكريا) أعلى تبادل فيه الراي مع قادة جيشه ليعرف وجهات نظرهم حيال هذا الموقف الخطير .

خطورة الموقف

ان تطور الموقف الى هذه الدرجة من الخطورة كان امتحانا مباغتا لجيش المدينة الصغير الذي لم يكن مستعدا لخوض مثل هذه المعركة .

فخروجه في البداية انما كان من اجل الاستيلاء على قافلة لا يزيد عدد حراسها على اربعين مقاتلا وهو امر لا

يحتاج الى اكثر مما قام به هذا الجيش من استعدادات .

ولكن هذا الامر اليسير (وبطريقة مباغتة) تحول الى امر خطير جعل المسلمين في مأزق حرج ، فقد أفلت الاربعون راكبا ونجوا بقافلتهم ، ووجد هذا الجيش الصغير (جيش المدينة) نفسه ـ بدلا من حرس العير الاربعين ـ امام جيش لجب تقوده الخيلاء وتدفعه الكبرياء والتحدي قد جمع بين صناديد مكة وفرسانها .

والاصطدام مع هذا الجيش القوي الكبير يحتاج من المسلمين (قبل الاقدام عليه) الى بحث المقدمات والتفكير في النتائج .

ولهذا عقد الرسول(ص) مجلسه العسكري الاستشاري (١٤٥) الاعلى الذي احب ان يطلع فيه على حقيقة آراء قادة جيشه في ذلك الظرف الدقيق .

اجماع القادة على ملاقاة جيش مكة

ولكن هذا المجلس لم يكد ينعقد ، حتى وقف قادة المهاجرين يعلنون تصميمهم على الاشتباك مع جيش الشرك مهما كان الثمن .

وقد جاء اعلانهم هذا صريحا في قول احد قادتهم ، وهو

---

(١٤٥) تم عقد هذا المجلس بعد خروج جيش المدينة من وادي الذفران مباشرة وذلك بالقرب من بدر .

المقــداد بن عمـرو (١٤٦) الذي وقف خطيبـا في المجلس قائلا :

« يا رسول الله امض لما اراك الله فنحن معك ، والله لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى (فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون) ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون ، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنـا الى برك الغماد (١٤٧) لجالدنا معك من دونه ، حتى تبلغه » فقـال له الرسول خيرا .

الكلمة الاخيرة للانصار

ولكن الرسول اذا كان قد عرف راي المهاجرين في هذا المجلس (وهم أقلية في الجيش) فانه لم يعرف بعد حقيقة موقف الانصار الذين سيدور ثقل المعركـة القـادمة عـلى كواهلهم ، لأنهم يمثلون أغلبية الجيش ، ولأن نصوص معاهدة العقبة لا تلزمهم صراحة ، بالقتال خارج ديارهم ، حيث جاء في أحد بنودها :

---

(١٤٦) هو المقداد بن عمرو بن ثعلبة العامري ، ويقـال له المقداد بن الاسود الكندي الحضرمي ، لان اباه اصاب دما في قومه فلحق بحضرموت وحالف كندة وتزوج منهم امراة فولدت له المقداد ، ولما كبر المقداد، حدث شجار بينه وبين ابي شمر بن حجر الكندي فضرب رجله بالسيف، وهرب الى مكة وحالف الاسود بن عبد يغوث فتبناه الاسود ولذلك قيل له المقداد ابن الاسود وغلب عليه ذلك ولما نزلت (ادعوهم لآبائهم) قيل له المقداد ابن عمرو ، هاجر المقداد الهجرتين وكان شجاعا ، مات (رض) سنة ثلاث وثلاثين هجرية .

(١٤٧) برك الغماد ... يقال انه اقصى معمور في الارض .

« انهم (اي الانصار) برآء مـن ذمامه حتى يصل الى ديارهم ، فاذا وصل اليهم فانـه في ذمتهم يمنعونـه مما يمنعون منه ابناءهم ونساءهم ».

فكان لذلك ، يخشى الا تكون الانصار ترى نصره الا ضد من يهاجمه بالمدينة .

ولهذا أحب أن يرى (بصفة خـاصة) حقيقة موقف الانصار من خوض المعركة المقبلة ، فقال (بعد سماع موافقة المهاجرين) « أشيروا علي أيها الناس » ـ يقصد الانصار ـ.

وهنا نهض سعد بن معاذ (١٤٨) ، سيـد الانصار ، وصاحب لواء كتيبتهم وقال :

لكأنك تريدنا يا رسول الله ؟؟

فقال (ص) اجل .

فأعلن القـائد الانصاري موافقـة الانصـار المطلقـة وتصميمهم الصادق على ملاقـاة جيش العدو قائلا مخاطبا النبي عليه الصلاة والسلام :

قد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطينـاك على ذلك عهودنا ومواثيقنـا عـلى السمع والطاعـة ، فامض يا رسول الله لما أردت ، فوالذي بعثك بالحق ، لو استعرضت بنا هذا البحر لخضناه معك ، مـا تخلف منا رجل واحد ، وما نكره ان تلقى بنـا عدونا غدا ، اننا لصُبُرٌ في الحرب ، صُدُقٌ في اللقـاء ، ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك ، فسر بنا على بركة الله .

---

(١٤٨) ستاتي ترجمته .

الى المعركة

وهنا سر الرسول (ص) بعد أن عرف رغبة الفريقين الصادقة في الاشتباك مع جيش الشرك ، ونشطه ذلك ..

وفورا امر الجيش بمواصلة التحرك نحو بدر وقال :

« سيروا ، وابشروا ، فان الله تعالى قد وعدني احدى الطائفتين ، والله لكأني انظر الى مصارع القوم » . فتحرك الجيش نحو مياه بدر .

النبي في سلاح الاستكشاف

ومن أروع الامثلة التي ضربها النبي (ص) للقائد اليقظ المتواضع انه عندما نزل بأصحابه بالقرب من بدر ـ حيث يربض جيش مكة الضخم قام بنفسه ـ مع بعض اصحابه ـ بعملية الاستكشاف لمعرفة أخبار جيش العدو ، محاولا بنفسه التعرف على حقيقة قوة هذا الجيش وأين هو .

وبينما كان الرسول يتجول حول معسكر مكة، مع أحد أصحابه مخاطرا بنفسه، اذا به يقف على شيخ من العرب ، فأحب أن يسأله عن قريش ، ولكنه خاف أن يشتبه الشيخ فيه ويظنه من جيش المسلمين ، فسأله عن جيش قريش وجيش المسلمين معا ، زيادة في التكتم والاحتياط .

ولكن الشيخ (بدافع الفضول) قال للنبي (ص) لا اخبركما حتى تخبراني ممن انتما ؟؟.

فقال له الرسول اذا اخبرتنا اخبرناك ..

قال الشيخ أو ذاك ؟.

قال النبي ، نعم .

قال الشيخ ، فانه بلغني ان محمدا واصحابه، خرجوا يوم كذا وكذا ، فان صدق الذي أخبرني، فهم اليوم بمكان كذا وكذا ، للمكان الذي به جيش الرسول (ص)، وانه بلغني ان قريشا خرجوا يوم كذا وكذا ، فان كان الذي اخبرني صدقني فهم اليوم بمكان كذا وكذا ، للمكان الذي به جيش مكة .. ولما فرغ الشيخ من خبره قال .. ممن انتما ؟ فقال الرسول(ص) نحن من ماء ثم انصرف، بعد ان عرف (بالتحديد) مكان جيش العدو دون أن يعرف الشيخ من هو . وهذا تشريع حربي شرعه الرسول، يجوز أو يجب بموجبه الحصول على أخبار العدو بأية وسيلة، حتى ولو أدى ذلك الى التمويه ما دام في ذلك مصلحة جيش المسلمين وسلامته .

وبعد أن رجع النبي (ص) الى مقر قيادته في الجيش، بعث في مساء ذلك اليوم استخباراته من جديد لترصد له اخبار جيش العدو .

فقد انتدب ثلاثة من قادة المهاجرين (علي بن ابي طالب والزبير بن العوام (١٤٩) وسعد بن أبي وقاص (١٥٠)) مع

(١٤٩) هو الزبير بن العوام بن خويلد بن اسد بن عبد العزى ، فني من التعريف ، احد العشرة المبشرين بالجنة ، امه صفية بنت عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف ، هاجر الهجرتين ، وقتل في فتنة الجمل بعد ان خرج تاركا القتال ومقتنعا بانه غير مصيب في موقفه من علي ، قتله عمرو ابن جرموز غدرا في وادي السباع ، وكان قتله سنة ست وثلاثين وله من العمر ست او سبع وستون سنة .

(١٥٠) هو سعد بن مالك بن اهيب الزهري ، فني من التعريف كان ـ

نفر من اصحابه الى ماء بدر نفسها للحصول على مزيد من اخبار العدو .

الحصول على اهم المعلومات عن جيش مكة

وعند الماء في بدر ، وجدوا غلامين تابعين لجيش المشركين يستقيان ، فاقتادوهما الى المعسكر النبوي ، حيث استجوبهما الرسول ، وعرف منهما عن جيش العدو ما يجب أن يعرفه قائد عن جيش عدوه .....

فقد سأل الرسول الغلامين عن مكان جيش مكة فقالا .. هم وراء هذا الكثيب الذي ترى بالعدوة القصوى .

فقال لهما .. كم القوم ، قالا كثير ، فقال ما عدتهم ؟؟ قالا لا ندري .

قال .. كم ينحرون كل يوم (أي من الابل) ؟؟ قالا .. يوما تسعا ، ويوما عشرا .

فقال الرسول لأصحابه .. القوم فيما بين التسعمائة والالف .

ثم سأل الغلامين عمن في الجيش من أشراف مكة وقادتها .

= سابع سبعة في اسلامه ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وكان على غاية من الورع ومراقبة الله ، اعتزل الفتنة ولم يقاتل مع أي من الاطراف المتنازعة بعد مقتل عثمان ، مات سنة ثمان وخمسين هجرية على خلاف في ذلك .

فاخبراه ان منهم القادة ـ عتبة بن ربيعة وشيبة أخاه وابا جهل بن هشام ، وابا البحتري بن هشام وأمية بن خلف والعباس بن عبد المطلب (١٥١) ، وسهيل بن عمرو ، ونبيه ومنبه ابناء الحجاج وغيرهم من أشراف مكة .

وهنا تأكد الرسول من قوة جيش العدو ، وضخامته، والتفت نحو قادة جيشه قائلا :

« هذه مكة قد القت اليكم افلاذ كبدها » ـ (يعني من بجيش مكة من قادتها واشرافها) .

نموذج من الشورى الصحيحة

وفي اليوم السادس عشر من شهر رمضان المبارك للسنة الثانية من الهجرة، تحرك الرسول (ع) بجيشه ليسبق المشركين الى ماء بدر ويحول بينهم وبين الاستيلاء عليه .

وفي اثناء هذا التحرك ، حدثت حادثة ، تجلت فيها ديموقراطية الرسول (ان صح هذا التعبير) ، فقد نزل الرسول (ع) بالجيش بماء من مياه بدر، رأى أحد القادة انه ليس من المصلحة الحربية النزول فيه ، وهذا القائد ، هو

---

(١٥١) هو العباس بن عبد المطلب ، عم النبي (ص) غني عن التعريف، شهد بدرا مع المشركين مكرها ، فأسر ، وفيه قال النبي « من آذى العباس فقد آذاني » ، أسلم وهاجر قبل الفتح بقليل ، وشهد فتح مكة وثبت يوم حنين مع النبي عند انهزام المسلمين عند الصدمة الاولى ، مات بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين .

الحباب بن المنذر الانصاري (١٥٢) ، الذي قال (ناصحا كخبير عسكري) يا رسول الله :

ارايت هذا المنزل ، امنزلا انزلكه الله ، ليس لنا ان نتقدمه، ولا نتأخر ؟. ام هو الراي والحرب والمكيدة ؟؟.

فقال الرسول (ع) ، بل هو الراي والحرب والمكيدة .

فقال الخبير العسكري (الحباب) :

يا رسول الله ، فان هذا ليس بمنزل ، فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله ، ثم نغوّر (أي نخرّب) ما وراءه من القُلُب ، ثم نبني عليه حوضا فنملؤه ماء ، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون .

فقال الرسول (ع) «لقد أشرت بالراي»» ونهض بالجيش فسار حتى اذا أتى اقرب ماء من العدو ، نزل عليه ثم امر بالقُلُب فغوّرت (حسب راي الحباب بن المنذر) ثم بنى حوضا على القليب الذي نزل عليه فملىء ماء .

الكشافة في جيش العدو

اما قريش فبعد ان اطمانت في معسكرها بالعدوة القصوى من الوادي ، بثت سلاح استكشافها حول جيش المدينة ، للتعرف على حقيقته ومدى قوته ، فدار عمير بن

---

(١٥٢) هو الحباب بن المنذر بن الجموح الخزرجي الانصاري ، وهو الذي قال يوم السقيفة بعد موت النبي (انا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب) ، مات في خلافة عمر ، وقد زاد على الخمسين .

وهب (١٥٣) احد رجال استخبارات جيش مكة، حول جيش المدينة ، ثم عاد الى قريش ليخبرهم أن جيش محمد هو ثلاثمائة مقاتل يزيدون قليلا أو ينقصون قليلا ، ثم ضرب بفرسه راكضا خلف جيش المسلمين ، للاستكشاف فيما اذا كان هناك كمين يحمي ظهور المسلمين أو يمدهم عند اللزوم ، ولكنه عاد وطمأن قريش بأن لا وجود لأي كمين للمسلمين .

البلايا تحمل المنايا

غير انه (كخبير عسكري) نصح قادة مكة وحذرهم قائلا يصف رجال جيش محمد :

لقد رايت البلايا تحمل المنايا .. نواضح (١٥٤) يثرب تحمل الموت الناقع (١٥٥) ، قوم ليس معهم منعة ولا ملجأ الا سيوفهم ، والله ما أرى أن يقتل رجل منهم حتى يقتل رجلا منكم ، فاذا أصابوا منكم اعداءهم ، فما خير العيش بعد ذلك ؟؟ فروا ، رأيكم .

الانشقاق الثاني في جيش مكة

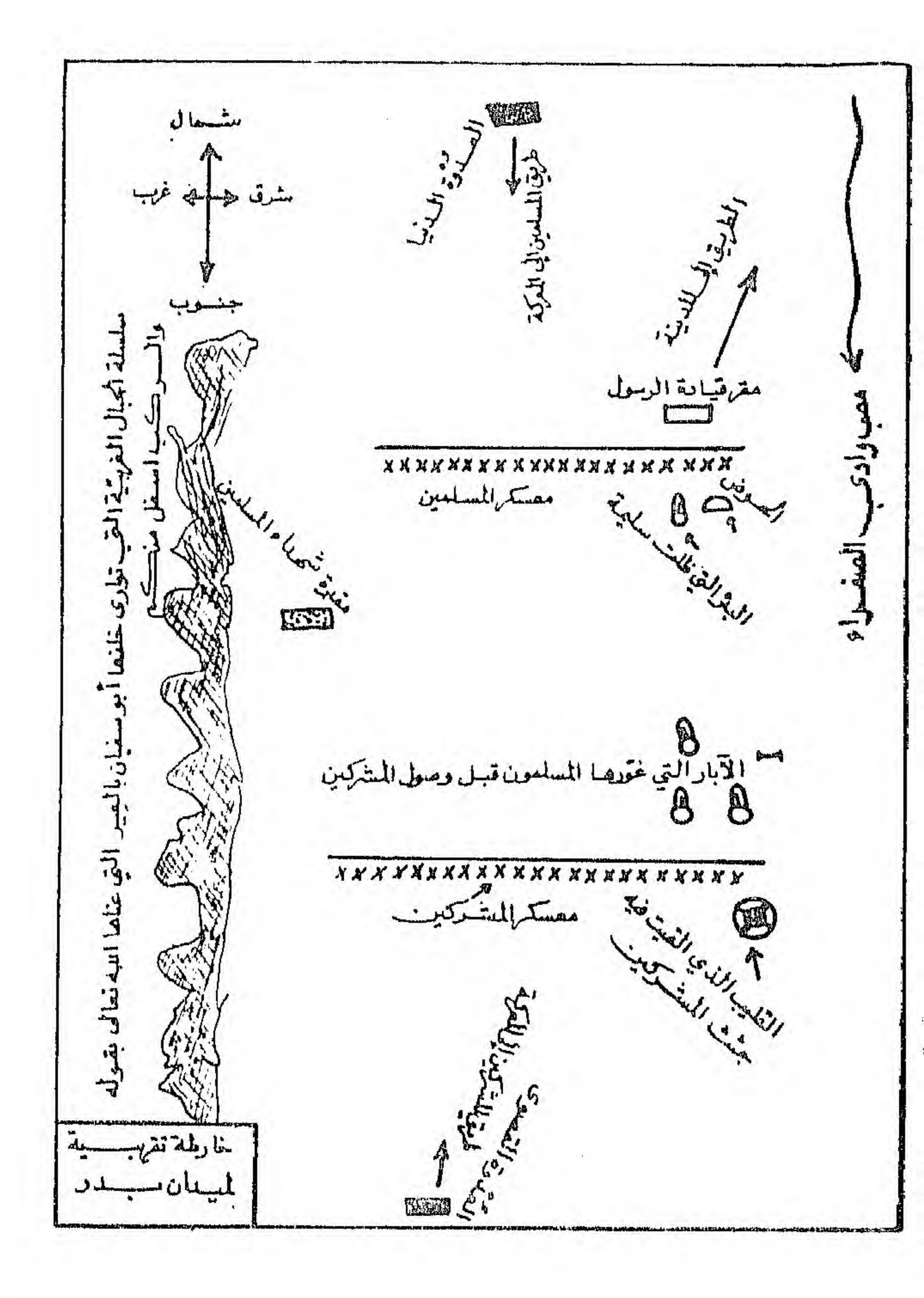
وعند سماع كلام قائد سلاح الاستكشاف (عمير بن

---

(١٥٣) هو عمير بن وهب بن خلف الجمحي القرشي ، كان من شياطين قريش ، ذهب الى المدينة بعد وقعة بدر لاغتيال النبي (ص) فهداه الله للاسلام ، فصار من اكبر دعاته وانصاره .

(١٥٤) النواضح : الابل التي يستقى عليها .

(١٥٥) موت ناقع ، دائم .


خارطة تقريبية
لميدان بدر
شمال
شرق
غرب
جنوب
سلسلة الجبال الغربية التي توارى خلفها أبو سفيان بالعير التي عناها الله تعالى بقوله
والركب أسفل منكم
مقبرة شهداء المسلمين
العدوة الدنيا
طريق المسلمين إلى المعركة
الطريق إلى المدينة
مقر قيادة الرسول
معسكر المسلمين
الحوض
البئر التي ظلت سليمة
الآبار التي غورها المسلمون قبل وصول المشركين
معسكر المشركين
القليب الذي ألقيت فيه جثث المشركين
العدوة القصوى
طريق المشركين إلى المعركة
مصب وادي الصفراء

وهب) قامت معارضة اخرى ضد ابي جهل تدعو الى العودة بالجيش الى مكة دونما قتال .

وكانت هذه المعارضة ، اكبر من المعارضة التي قادها الاخنس بن شريق ضد أبي جهل في منطقة رابغ ورجع على اثرها الى مكة بقبيلة بني زهرة قبل الوصول الى بدر .

قاد هذه المعارضة الاخيرة عتبة بن ربيعة سيد بني عبدشمس يسانده حكيم بن حزام، فقد كان رأي هذه المعارضة التي ظهرت (قبل نشوب المعركة) بيوم او بعض يوم ، تحاشي الاصطدام مع جيش المدينة ، وموادعته والرجوع الى مكة دونما قتال .

فقد مشى حكيم بن حزام (١٥٦) بين قادة جيش مكة يدعو لتأييد هذه المعارضة .

انت كبير قريش وسيدها

فقد اتى حكيم عتبة بن ربيعة الاموي (أول قتيل يوم بدر بين الصفين) وقال .. يا أبا الوليد انك كبير قريش وسيدها المطاع ، فهل لك الى خير تذكر به الى آخر الدهر ؟ قال وما ذاك ؟ قال ترجع بالناس وتحمل أمر حليفك عمرو ابن الحضرمي (١٥٧) .

---

(١٥٦) هو حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى .. ابن اخي خديجة أم المؤمنين (رض)، كان من سادات قريش، وكان صديقا للنبي قبل البعثة ، أسلم عام الفتح ، مات سنة ستين هجرية في خلافة معاوية.

(١٥٧) عمرو هذا هو الذي قتله المسلمون في سرية عبدالله بن جحش في آخر يوم من رجب سنة ٢ هجرية، وكان حليف بني عبدشمس بن عبدمناف.

ففال عتبة .. قد فعلت ، انت علي ــ اي ضامن علي ــ بذلك ، انما هو حليفي فعلي عقله (اي ديته) وما اصيب من ماله ، وطلب عتبة من حكيم ان يقنع ابا جهل الذي فرض نفسه على الجيش قائدا ، لأنه يخشى عناده ومكابرته قائلا : فات ابن الحنظلية ــ يعني ابا جهل ــ فاني لا أخشى ان يشجر امر الناس غيره .

عتبة يخطب في جيش مكة

ثم وقف عتبة بن ربيعة خطيبا في الجيش قائلا، وداعيا الى الانسحاب دونما قتال :

يا معشر قريش .. انكم والله ما تصنعون بأن تلقوا محمدا واصحابه شيئا ، والله لئن اصبتموه ، لا يزال الرجل ينظر في وجه رجل يكره النظر اليه ، لأنه قتل ابن عمه او ابن خاله أو رجلا من عشيرته ، فارجعوا وخلوا بين محمد وسائر العرب ، فان اصابوه ، فذاك الذي اردتم ، وان كان غير ذلك الفاكم سالمتموه .

راكب الجمل الاحمر

وقد جاءت محاولة عتبة السلمية هذه مصداقا لقول النبي (ص) الذي قال عندما رأى جيش مكة .. ان يكن في احد من القوم خير ففي راكب الجمل الاحمر ، ان يطيعوه يرشدوا ، وكان راكب الجمل الاحمر هذا عتبة بن ربيعة ابن عبد شمس بن عبد مناف، صاحب هذه المحاولة السلمية.

ثورة ابي جهل

ولكن أبا جهل لم يكد يعلم بدعوة عتبة بن‌ربيعة السلمية حتى استشاط غضبا ، ثم اتهم عتبة بالجبن والخوف على ابنه من القتل .

فقال لحكيم بن حزام الذي كان رسول عتبة اليه .. قد انتفخ والله سحره (١٥٨) حين راى محمدا واصحابه.. كلا والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ، وما بعتبة ما قال ولكنه راى ان محمدا واصحابه اكلة جزور ، وفيهم ابنه فتخوفكم عليه (وكان أبو حذيفة بن عتبة موجودا في جيش المسلمين ، لأنه من السابقين الاولين في الاسلام) ، ثم تزايد غضب ابي جهل وجرّد سيفه في عصبية زائدة ثم ضرب به متن فرسه ، فقال له ايماء (١٥٩) بن رحضة الغفاري وقد راى الشر في وجهه : بئس الفأل هذا .

ولما بلغ عتبة قول ابي جهل انتفخ والله سحره ـ وهي كلمة يقولها العرب لمن غلبه الخوف واستبد به الفزع ـ سيعلم من انتفخ سحره ، انا ام هو .

---

(١٥٨) السحر ـ بفتح السين وسكون الحاء ـ الرئة وما حولها وانتفاخها كناية عن شدة الخوف وتمكن الفزع .

(١٥٩) ايماء الغفاري هذا كان قد اهدى لجيش مكة عشرة جزائر فنحروها، ثم ارسل ابنه ليبلغهم ان غفار مستعدة لمدهم بالمتطوعين والسلاح قائلا (ان أحببتم ان نمدكم بسلاح ورجال فعلنا ، فشكروه ، وقالوا له : ان كنا انما نقاتل الناس ما بنا ضعف عنهم ، وان كنا انما نقاتل الله كما يزعم محمد فما لأحد بالله من طاقة) .

وهكذا ولأمر يريده الله ، تغلّب الطيش على الحكمة والروية ، فهزمت معارضة صاحب الجمل الاحمر ، وتغلب راي ابي جهل ، فحمل جيش مكة على الاصطدام بجيش المدينة .

الحقد الاسود

لقد كان ابو جهل من اشد الناس حقدا على المسلمين وبغضا لنبيهم ، وكان يتميز غيظا لتمكن النبي من الافلات من قبضة المشركين في مكة ، وكان هو صاحب الاقتراح الذي وافق عليه المؤتمرون بدار الندوة ، والذي يقضي بقتل النبي قبل خروجه من مكة .

لهذا اعتبر تقابل الجيشين ــ مع التفاوت في العدد والعدة ــ فرصة ذهبية ، لعله ينال فيها ما يشفي غليله ، بالفتك بالمسلمين في المعركة التي قضى على كل محاولة قامت للحيلولة بين قريش وبين خوضها .

ابو جهل والاخنس بن شريق

ومع ان ابا جهل يعلم أن محمدا لا يكذب فقد ابى عليه حقده الاسود الا مقاتلته ، فقادته رعونته الى مصرعه .

فقد روى المؤرخون ان الاخنس بن شريق ــ الذي رجع ببني زهرة الى مكة من منطقة رابغ ــ خلا بأبي جهل هناك ، وقال له :

يا أبا الحكم اترى محمدا يكذب ؟؟

فقال ابو جهل : كيف يكذب على الله ، وقد كنا نسميه الامين ، لأنه ما كذب قط ، ولكن اذا اجتمعت في بني عبد مناف السقاية والرفادة والحجابة والمشورة، ثم تكون فيهم النبوة . فاي شيء بقي لنا ؟؟

لا في العير ولا في النفير

وهنا يقال ان الاخنس بن شريق الثقفي، انخنس ــ اي انفصل ــ ببني زهرة عن جيش مكة وعاد بهم دون ان يشهد احد منهم بدرا ، وكانوا ثلاثمائة رجل .

وبنو زهرة هؤلاء ، هم الذين قال فيهم ابو سفيان تلك الكلمة التي ذهبت مثلا ــ يا بني زهرة لا في العير ولا في النفير ــ لأنهم لم يحضر احد منهم معركة بدر ولم يكن احد منهم في العير التي كانت سبب المعركة (١٦٠)، وكان ابو سفيان قد لحق بقريش وشهد معركة بدر بعد ان اوصل العير الى مكة . وقد كان احد الذين جرحوا يوم بدر .

ابو جهل يعجل بالمعركة

على ان ابا جهل لم يكتف بما قاله من تقريع وتوبيخ لقطبي المعارضة (عتبة وحكيم) ولم يكتف باعلان معارضته الشديدة ، لدعوتهما السلمية ، بل لخوفه من قيام معارضة اخرى في الجيش ، دفع به شيطانه الى التعجيل بالمعركة .

---

(١٦٠) وفي هذا القول نظر ، لان مخرمة بن نوفل الزهري كان احد الذين سافروا مع العير الى الشام وعادوا معها .

ليجعل النـاس امـام الامر الواقع ، بحيث يصعب عليهم التراجع عن خوضهـا . فعقب سماعه بدعوة المارضة الى موادعة جيش المدينـة والانسحـاب الى مكة دون قتـال ، استدعى عامر بن الحضرمي (١٦١) الذي قتل المسلمون اخاه في سرية عبدالله بن جحش ، وطلب منه ان يقف في الجيش ليستنهض هممهم لمحو العار عن حليفهم ، بالأخذ بثأر اخيه من قاتليه المسلمين .

ابن الحضرمي يشعل الفتيل

فقد قال ابو جهل : يا ابن الحضرمي ، هـذا حليفك ــ يعني عتبة بن ربيعة ــ يريد ان يرجع بالنـاس وقد رأيت ثارك بعينك ، فقم فانشد خفرتك (١٦٢) ومقتل اخيك .

ولم يخب ظن طاغية قريش ، فقد نفخ الشيطـان في منـاخر ابن الحضرمي ، فوقف (متكشفـا) يصرخ بأعلى صوته في جيش مكة واعمراه .. وهذه الكلمة وحدها ــ في قانون الجاهلية ــ كافية لاشعـال نار الحرب ، لا سيما في مثل ذلك الجو المتوتر .

الامر الواقع

وهنا غلـى الدم الجاهلـي في عروق الشرك واشتط الكفر بالعواطف العمياء ، فجمحت جموحا استقر بأصحابها

(١٦١) وقد قتل ابن الحضرمي هذا في هذه المعركة .
(١٦٢) خفرتك ، بضم الخاء وسكون الفاء ، عهدك .

في المعركة الدامية .

وتم لأبي جهل ما اراد حيث افسد على عقلاء قومه خطتهم السلمية، وظهرت نذر الشر ، تنذر بقرب المعركة ولم يسع الناس ـ حتى رجال المعارضة ـ الا ان يحملوا سلاحهم لخوض المعركة، لأن ابا جهل، بتصرفاته الرعناء جعلهم امام الامر الواقع .

ولبس زعيم المعارضة ـ عتبة بن ربيعة ـ كامل سلاحه وهو يقول ـ مخاطبا ابا جهل ـ سيعلم من انتفخ سحره ، انا أم هو ؟؟

حرس قيادة الرسول

اما من ناحية المسلمين ، فبعد ان تمركزوا في المكان الذي اختاره الحباب بن المنذر ، اقترح حامل لواء الانصار ـ سعد بن معاذ ـ على النبي (ع) ان يبني المسلمون مقرا لقيادته ، واقترح القائد الانصاري ـ استعدادا للطوارىء وتقديرا للهزيمة قبل النصر ـ ان يكون مقر هذه القيادة بمثابة خط رجعة يستطيع الرسول الانسحاب منه واللحاق بالمدينة بسلام ، اذا ما قدر لجيش الاسلام ان ينهزم .

مقر قيادة الرسول

فقد قال سعد بن معاذ ، يا رسول الله ، الا نبني لك عريشا تكون فيه ، ونعد عندك ركائبك ، ثم نلقى عدونا ؟ فان اعزنا الله واظهرنا على عدونا ، كان ذلك ما احببنا ، وان

كانت الاخرى جلست الى ركـائبك فلحقت بمن وراءنا من قومنا ، فقد تخلف عنك قوم ، يا نبي الله ، ما نحن بأشد لك حبا منهم ، واو ظنوا انكتلقى حربا ما تخلفوا عنك ، يمنعك الله بهم ، ينـاصحونك ويجـاهلون معـك (١٦٣) فوافق الرسول (ص) على هذا الاقتراح ودعا للقائد الانصاري بخير، وتم بناء مقر القيادة ، عريشا بناه جنود الاسلام في مكـان مناسب ، وهو مرتفع يقع في الشمال الشرقي لميدان القتال ويشرف على ساحة المعركة .

وتم انشاء حرس لقيـادة الرسول ، فرقة تم انتخابها من فتيان الانصار ، وقفوا بقيـادة سعد بن معـاذ نفسه يحرسون الرسول (ص) حول مقر قيادته .

دعاء ابي جهل قبيل المعركة

تهيأت قريش للمعركة ، وخرج ابو جهل يحث الناس على القتـال ، وقـد روى ابن اسحاق ان ابا جهل ، قبيل نشوب المعركة دعا الله قائلا :

اللهم اقطعنا للرجم وآتينا بما لا نعرف ، فاحنه الغداة (١٦٤) ، وقد كان المشركون عند خروجهم من مكة الى بدر، اخذوا بأستار الكعبة ودعوا بهذا الدعاء :

اللهم انصر اهـدى الفئتـين واعـلى الجندين واكرم الحزبين ، وافضل الدينـين . ولا شك ان الله قد اجـاب

(١٦٣) ايام العرب في الاسلام ص ١٢ .

(١٦٤) اي اجعل حينه غدا .

دعاءهم ، فهزمهم ونصر رسوله .

وفي دعاء المشركين هـذا نزل قول الله تعـالى (أن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح) (١٦٥) .

الرسول يخطب في جيشه قبل المعركة

وقد خرج النبي (ص) يهيء أصحـابه للقتال ، والقى عليهم كلمة قبيل المعركة قـال فيها : « والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل صابرا محتسبا ، مقبلا غير مدبر الا ادخله الله الجنة » (١٦٦) .

وهنا ظهر نموذج من الايمان الصادق الذي لا يقف في طريقه شيء. فقد كان عمير بن الحمام (١٦٧) أخو بني سلمة واقفـا في الصف ، وفي يده تمرات يريد أكلهن ، ولكنه بعد أن سمع كلمة الرسول (ص) قذف بهذه التمرات قائلا :

« بخ بخ، فما بيني وبين الجنة الا ان يقتلني هؤلاء»، ثم أخذ سيفه وغاص في المشركين يقاتل حتى قتل .

تقديم الرسول نفسه للقصاص

وبينما كان الرسول (ص) يعدل صفوف جيوشه ، مر

---

(١٦٥) الانفال آية ١٩

(١٦٦) ايام العرب في الاسلام ص ١٦

(١٦٧) عمير بن الحمام - بضم المهملة وتخفيف الميم - ابن الجموح الانصاري السلمي ، كان أول قتيل قتل في سبيـل الله ويقـال ان اول قتيل قتل في المعركة ، مهجع مولى عمر بن الخطاب .

بسوّاد بن غزية ، وهو خارج عن الصف فطعن في بطنه بعود كان في يده قائلا ــ استو يا سواد ــ ، وهنا تظاهر سواد بالاحتجاج على الرسول (ع) قائلا :

اوجعتني يا رسول الله، وقد بعثك الله بالحق والعدل، ثم طلب من الرسول ان يعطي القصاص من نفسه ، قائلا : اقدني ، فلم يتردد (ص) في ان يعطي القصاص من نفسه ، فقد كشف عن بطنه (ص) ليقتص منه سواد قائلا له، استقد ــ اي اضربني كما ضربتك .

ولكن سوّاد بدلا ــ من أن يطعن في بطن الرسول قصاصا ، اخذ يقبلها ، فقال له الرسول (ع) : ما حملك على هذا يا سواد ؟

قال .. يا رسول الله ، حضر ما ترى ــ يعني القتال ــ فأردت ان يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك، فدعا له الرسول بخير .

ساعة الصفر

وبعد ان عدل الرسول (ص) الصفوف وهيأها للقتال اصدر اوامره الى جيشه بأن لا يبدأوا القتال حتى يتلقوا منه الاوامر الاخيرة ، فقال لهم :

« ان اكتنفكم العدو (اي احاط بكم) فانضحوهم بالنبل » .

وبعد ذلك رجع الى مقر قيادته وفي معيته مستشاره

الامين الصديق الاكبر (١٦٨) ، ووقفت على مقر قيادته كتيبة الحراسة من فتيان الانصار بقيادة سعد بن معاذ .

ثم توترت الحالة واربد جو المعركة بدخان الموت ، واخذت الصفوف تقترب من بعضها ، وكان الرسول (ص) وجلاً على مصير المسلمين ، لانه ـ أكثر من غيره ـ يقدر نتائج مثل هذه المعركة ، ويعرف ان هزيمة المسلمين معناها هزيمة الاسلام الى الابد .

لهذا لجأ (ص) الى ربه وأبلغ في الدعاء قائلا : اللهم انك ان تهلك هذه العصابة ـ يعني المسلمين ـ لا تعبد بعدها في الارض (١٦٩) .

اول وقود المعركة

وبعد ان تواجه الفريقان وحضر الخصمان بين يدي الرحمن ضج الصحابة بصنوف الدعاء ، الى رب الارض والسماء سامع الدعاء وكاشف البلاء (١٧٠) .

وكان اول وقود المعركة ، هو أحد فدائيي المشركين . .

---

(١٦٨) ابو بكر الصديق واسمه عبدالله بن عثمان بن عامر بن عمرو التيمي القرشي ، اشهر من ان يعرف ، خليفة رسول الله ، ولد بعد الفيل بسنتين ، كان اول من اسلم من الرجال ، وفيه قال الرسول ، من سره ان ينظر الى عتيق من النار فلينظر الى أبي بكر ، تولى الخلافة بعد رسول الله ، مات يوم الاثنين في جمادى الاولى سنة ثلاث عشرة من الهجرة وهو ابن ثلاث وستين سنة .

(١٦٩) البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٧٢

(١٧٠) فقه السيرة .

الاسود بن عبد الاسد المخزومي ، كـان رجلا شرسا سيء الخلق ، فقد عاهد اللـه ، ليشربن من حوض المسلمين او ليهدمنه او ليموتن دونه .

لذلك انقض من صفوف المشركين ، متحديا المسلمين ، زاحفا نحـو الحوض ليبر بقسمه ، ولكن حمزة بن عبـد المطلب ، اسرع من صفوف المسلمين فاعترضه ، وعـاجله ـ قبل ان يصل الى الحوض ـ بضربة من سيفـه ، بترت قدمه مع نصف ساقه ، فجثا في اصرار وعناد، وزحف نحو الحوض حبوا ليبر بقسمه ، ولكن حمزة (رض) (١٧١) ثنى عليه بضربة اخرى اتت عليه وهو داخل الحوض .

فكان هذا المخزومي أول قتيل في المعركة ، وكان قتله بمثابة الفتيل الذي أشعل نار المعركة .

فقد خرج بعـد ذلك من صفوف المشركين ثلاثة من فرسان قريش وخيرة محاربيهم ، ومن عائلة واحدة ، وهم :

شيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة وابنه الوليد ، وكلهم من ابناء عبد مناف جد النبي (ص) .

وبعد ان تمركز هؤلاء الامويون الثلاثة بين الصفين دعوا المسلمين الى المبارزة، فسارع بالخروج اليهم ثلاثة من فتيان

---

(١٧١) هو حمزة بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف، عم النبي(ص) واخوه من الرضاعة ، ارضعتهما ثوبية مولاة ابي لهب ، كان شجاعا مهيبا، وكان من السابقين الاولين في الاسلام ، نصر رسول الله في كل موطن حتى استشهد في معركة أحد ، قتله عبد حبشي واسمه وحشي ، قذفه بحربة على بعد منه ، فأصابت ثنته وخرجت من بين رجليه رضي الله عنه .

الانصار ، وهم عوف ومعوذ ابناء عفراء (١٧٢)، وعبدالله بن رواحة (١٧٣) وكما هي عادة المبارزة، سأل القرشيون هؤلاء الثلاثة من اية قبيلة هم ؟؟

فانتسبوا لهم ، وعندما علموا انهم من الانصار ، اثنوا عليهم وقالوا أكفاء كرام - ولكنهم رفضوا مبارزتهم ، وطلبوا منهم العودة الى صفوفهم قائلين .. انما نريد اكفاءنا من قومنا ، فرجع الانصار الثلاثة الى صفوفهم دونما قتال .

تصارع الاسرة بين الصفين

ولما علم الرسول برغبة فرسان المشركين الثلاثة أصدر أمره الى ثلاثة من أسرتهم وهم، حمزة بن عبد المطلب، وعبيدة ابن الحارث (١٧٤) ، وعلي بن أبي طالب وكلهم من بني عبد مناف ، أمرهم بالخروج الى أقربائهم لمبارزتهم حسب رغبتهم، فخرجوا اليهم في الحال ، وبعد ان انتسبوا لهم وتأكدوا من أنهم من أسرتهم ، قالوا .. اكفاء كرام .

---

(١٧٢) معوذ وعوف ابناء عفراء الخزرجيين استشهدا يوم بدر واشترك معوذ في قتل ابي جهل .

(١٧٣) هو عبدالله بن رواحة بن ثعلبة الخزرجي الانصاري احد السابقين الى الاسلام وكان احد النقباء الذين تولوا ابرام معاهدة العقبة في منى مع الرسول (ص) ، تولى قيادة الجيش في معركة مؤتة في الاردن واستشهد في تلك المعركة التي ادارها ضد القوات الرومانية .

(١٧٤) هو عبيدة بن الحرث بن المطلب بن عبد مناف، كان من السابقين في الاسلام ، وكان رأس بني عبد مناف ، كان ثاني مسلم حمل راية في الاسلام ، جرح في هذه المبارزة ومات متأثرا بجرحه في وادي الصفراء ، اثناء عودة الجيش الى المدينة .

ثم انشبوا الصراع بينهم ، فانفرد كل واحد منهم بصاحبه الذي اختاره ورضيه، فبارز الوليد عليا وكانا أصغر المتبارزين ، وبارز عبيدة شيبة ، اما حمزة فقد بارز عتبة .

اما علي فلم يمهل حبه ان قتله ، وكذلك حمزة فقد قضى على خصمه عتبة في الحال ، اما عبيدة ــ وكان اسن القوم ــ وشيبة فقد ضرب كل منهما صاحبه ضربة مميتة لم يقو على التحرك بعدها من مكانه ، فمات شيبة مكانه ، واحتمل علي وحمزة عبيدة الى معسكر المسلمين، ومخ فخذه المبتور يسيل ، وما لبث طويلاً ان لفظ انفاسه الكريمة بين يدي رسول الله (ص) (١٧٥) . وبينما كان يجود بنفسه ــ وراسه على قدمي رسول الله (ص) قال يا رسول الله ، لو رآني أبو طالب ، لعلم اني أحق بقوله :

ونسلمه حتى نصرّع دونه ونذهل عن ابنائنا والحلائل

البداية السيئة

كانت نهاية هذه المبارزة بداية سيئة للمشركين ، حيث فقدوا في المرحلة الاولى من المعركة ثلاثة من قادتهم وخيرة فرسانهم ، فقد كان مصرع هؤلاء الفرسان الثلاثة بمثابة ضربة موجعة مثيرة .

الهجوم العام

لذلك استشاط المشركون غضباً وشدوا على المسلمين

---

(١٧٥) مات عبيدة رضي الله عنه (والمسلمون عائدون الى المدينة بوادي الصفراء) .

شدة رجل واحد ـ بعد أن مهدوا لهجومهم بسيل منهمر من سهامهم ، صبوه على صفوف المسلمين ، ثم اندفعوا نحوهم وبهذا اندلعت نيران المعركة ، ولمعت السيوف في النقع وكأنها الكواكب تهوي في الظلام .

المسلمون في موقف الدفاع

وتلقى المسلمون هجوم المشركين وهم مرابطون في مواقعهم ، كما أمرهم الرسول الذي قال لهم (قبيل نشوب المعركة) : ان اكتنفكم القوم فانضحوهم بالنبل ، ولا تحملوا حتى تؤذنوا .

ولقد كان لهذه الخطة الحربية الحكيمة التي وضعها الرسول (ص) أكبر الاثر في تعزيز موقف المسلمين واضعاف عدوهم .

وذلك ان المسلمين ـ بوقوفهم موقف الدفاع ـ عندما بلغ الهجوم القرشي ذروته ، قد ألحقوا بالمشركين خسائر فادحة ، اثناء هجماتهم المتتالية التي شنوها في حنق على صفوف المسلمين التي ظلت ثابتة تصارع مكانها ، حتى استنفدت ما عند العدو من حماس وعزيمة .

الهجوم المضاد

وبعد ان ذهبت حدة هجمات العدو وفتر حماس جنده، صدرت الاوامر الى كتائب الاسلام ان يهجموا على العدو .

فقاموا بهجوم مضاد كاسح فاتسع نطاق المعركة ، بعد

ان مالت صفوف المسلمين المنظمة على جموع المشركين، التي بعثرها تكرار الهجمات الفاشلة التي لم يفلح بها المشركون في ازاحة طوابير المسلمين عن مراكزها .

وبينما كانت المعركة محتدمة والفوارس وسط اتونها بين كر وفر ، كان الرسول (ص) في مقر قيادته يرقب بسالة جنوده وجلد قواده في اشفاق ورجاء .

روى البخاري ان النبي كان وقت اشتداد المعركة يقول (وهو في مقر قيادته ، متوجها الى ربه) اللهم انشدك عهدك ووعدك ، اللهم ان شئت لم تعبد بعد اليوم ابدا، فأخذ ابو بكر بيده ـ وكان معه في المقر ـ وقال حسبك يا رسول الله الححت على ربك .

قال ابن اسحاق : وخفق النبي (ص) خفقة في العريش (اي ادركه النعاس) ثم انتبه فقال .. ابشر يا ابا بكر اتاك نصر الله ، هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده على ثنايا النقع .

وقد اشتركت الملائكة في المعركة لتقوية الروح المعنوية في نفوس المسلمين، وقد اشار القرآن الكريم الى هذا بقوله :

« اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بألف من الملائكة مردفين، وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن به قلوبكم وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم» (١٧٦)

ويظهر ان الملائكة لم يشتركوا في القتال وانما جاءوا

---

(١٧٦) الانفال آية ٩ و ١٠

لتقوية قلوب المسلمين ورفع روحهم المعنوية ، وهذا ما يفهم من قوله تعالى (وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن به قلوبكم) (١٧٧) .

النبي في المعركة

وعندما استعر لهيب المعركة اقتحمها النبي (ص) بنفسه وراع المشركين ان رأوا النبي القائد يخوض غمار المعركة بنفسه ، ومعه حرس قيادته وعامة اصحابه يندفعون نحو عدوهم كالسيل ، يدمرون كل قوة تقف في طريقهم ، والنبي في مقدمتهم ، يثب في درعه وهو يقول (سيهزم الجمع ويولون الدبر ، بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر) .

الهزيمة الساحقة

وبعد قتال مرير ضار ظهرت علامات الاضطراب في صفوف المشركين غير المنظمة ، وأخذت هذه الصفوف ــ امام حملات المسلمين العنيفة ــ تتهدم كجدران الطين العتيقة التي تخلل الماء اصولها .

وهكذا اقتربت المعركة من نهايتها ، فدب الهلع في نفوس قريش ، ثم أخذت جموعها في الفرار فعمت الهزيمة ، وركب المسلمون ظهور المشركين يأسرون ويقتلون ، وصاح النبي ــ

---

(١٧٧) قال الشوكاني في تفسيره عند تفسير هذه الآية ــ وفي هذا اشعار بأن الملائكة لم يقاتلوا ، بل أمد الله المسلمين بهم للبشرى لهم وتطمين قلوبهم وتثبيتها ..

وهو يرى صرح الطغيان يتحطم ، وكبرياء الجاهلية يتمرغ في وحل الهزيمة ــ « شاهت الوجوه » .

صمود ابي جهل وعناده

ولقد حاول ابو جهل ــ عندما بدأ التصدّع في صفوف جيشه ــ حاول أن يصمد في وجه سيل الهزيمة النازل بجيش مكة ويقفه ، فأخذ يصرخ (في عناد وشراسة ومكابرة) خذوهم اخذا ، واللات والعزى لا نرجع حتى نفرّق محمدا واصحابه في الجبال .

ولكن انى لصيحات الطيش والغرور هذه أن تفيد، وقد عمت الهزيمة وحال وقعها المزلزل بين صوت ابي جهل العنيد المكابر ، وبين الوصول الى سمع اي فرد من أفراد جنوده الذين بعثرتهم الهزيمة المدمّرة هنا وهناك .

مصرع ابي جهل (١٧٨)

ومن الناحية العسكرية فانه لا يسع المنصف الاّ ان يعترف لهذا الطاغية بالشجاعة الفذة ، وانه على مستوى أولئك القادة الشجعان الذين لايهابون الموت عندما تلمع بروقه وتهدر رعوده ، فقد اثبت ابو جهل (يوم بدر) انه مثال ناطق للعناد والمكابرة، فقد ظل ــ بالرغم من نزول الهزيمة الساحقة

---

(١٧٨) واسمه عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم القرشي كان راس الكفر وحامل لواء العداوة للنبي (ص) ، وقد فرض نفسه قائدا عاما لجيش الشرك يوم بدر فأخزاه الله .

بجيشه ـ يقاتل في شراسة وعناد وهو يقول :

ما تنقم الحرب الشّموس منّي بازلُ عامين حديث سنّي
لمثل هذا ولدتني أمي

وثبت معه جماعة من هيئة اركــان حربه ـ فيهم ابنه عكرمة (١٧٩) واخذوا يذبون عنه وضربوا حوله سياجـا من سيوفهم واقاموا حواليه غابات من رماحهم يصدون بها كل من حاول الوصول اليه .

ولكن العاصفة كانت أقوى .

فقد مزقت رياح النصر العــاتية ، سيــاج السيوف ، واقتلعت غابات الرماح المزروعة حول ابي جهل حيث طارت هذه الرماح أمام حماس المسلمين وقوة بأسهم، وتخلى حرس الشرك عن قائده ، امام ضغط المسلمين المتزايد، الذين ساد

---

(١٧٩) كان عكرمة كابيه من أشد الناس على رسول الله (ص) وكان ابرز الساعين لمعركة احد والمحرضين عليها ضد المسلمين ، وقد اهدر النبي دمه بعد فتح مكة ، فلحق باليمن ، ولكنه عاد الى مكة فعفا عنه الرسول، ثم اسلم وصار من أبطال الاسلام واشد المحازبين في جانبه ، قـاد عدة حملات ضد المرتدين في جنوب الجزيرة، وقد أخضع المرتدين في حضرموت، شهد معركة اليرموك ، وكان قائد كتيبة الفدائيين التي ألفها اثناء المعركة عندما اشتد ضغط الهجوم الروماني على صفوف المسلمين وكاد يحطمها ، فقد نادى عكرمة آن ذاك ، لقد قاتلت رسول الله في كل موطن وافر اليوم لا والله ثم نادى من يبايعني على الموت ، فانضوىٰ تحت لوائه اربعمائة ، منهم سليمان بن خالد بن الوليد ، فقذف بهذه الكتيبة الانتحارية حيث قوة الهجوم الروماني فاوقفه فأباد الرومان هذه الكتيبة ، بما فيها عكرمة نفسه ولكن هذه الابادة كانت ثمنا لنصر حاسم ساهمت هذه الكتيبـة في تحقيقه للمسلمين وكان ذلك سنة خمس عشرة في خلافة عمر .

هتافهم ارجاء المعركة وهم يرددون : أحد احد .

واهوت سيوف الاسلام الى دعامة الشرك الكبرى، فخر ابو جهل صريعا يتخبط في دمه ، بعد ان قاتل قتالا ضاريا.

قاتل ابي جهل

وكان الذي صرع ابا جهل هو معاذ بن عمرو (١٨٠) بن الجموح الانصاري ، فقد عرفه وهو وسط غابة من الرماح التي أقامها اركان حربه حوله ، فظل يترقبه ، حتى سنحت له الفرصة ، عندما بانت له فرجة في نطاق الرماح المضروبة حوله ، فانقض نحوه كالصقر ثم ضربه ضربة بترت قدمه مع نصف ساقه ، فخر صريعا يتخبط في دمه (١٨١) .

---

(١٨٠) هو معاذ بن عمرو بن الجموح بن زيد الخزرجي الانصاري ، احد الانصار الذين شهدوا بيعة العقبة .

(١٨١) قال ابن اسحاق .. وكان اول من لقي ابا جهل - كما حدثني ثور بن يزيد عن عكرمة عن ابن عباس وعبدالله بن أبي بكر ايضا قد حدثني ذلك - ، قالا .. قال معاذ بن عمرو بن الجموح أخو بني سلمة .. سمعت القوم وابو جهل في مثل الحرَجة وهم يقولون .. ابو الحكم لا يخلص اليه ، قال .. فلما سمعتهم جعلته من شأني فصمدت نحوه ، فلما امكنني حملت عليه فضربته ضربة اطنت قدمه (اي اطارتها) بنصف ساقه، فوالله ما شبهتها حين طاحت الا بالنواة (اي بذرة التمر) تطيح من تحت مرضخة النوى حين يضرب بها ، قال .. وضربني ابنه عكرمة على عاتقي، فطرح يدي فتعلقت بجلدة من جنبي ، واجهدني القتال عنه ، فلقد قاتلت عامة يومي واني لاسحبها خلفي ، فلما آذتني وضعت عليها قدمي ، ثم تمطيت بها عليها حتى طرحتها ، ثم مر بأبي جهل (وهو عقير) معوذ بن عفراء فضربه حتى اثبته فتركه وبه رمق .

غير ان ابنه عكرمة الذي كان بجانبه كر على ابن الجموح فضربه بسيفه ضربة فصلت يده من العاتق، وبالرغم من ذلك ظل البطل يقاتل بيد واحدة وعاش حتى أيام عثمان بن عفان (رض) .

اما أبو جهل فقد شغل عنه قومه الفرار بأنفسهم ، فتركوه صريعا بالعراء ومر به معوذ بن عفراء فأوجعه طعنا وتركه يجود بنفسه ، وتفرق المشركون من صناديد مكة وفرسانها منهزمين بغده بددا ، فاستقبلتهم فجاج الصحراء، وكأنهم غزلان أهاجها الصياد .

حماقة ابي جهل

وهكذا جنت قريش ثمار حماقة أبي جهل ورعونته ، حيث هزمت هزيمة لم تعرف مثلها في تاريخها الطويل .

لقد فر المشركون بعد أن مزقتهم سيوف الاسلام ، فتاهوا في الوديان والوهاد فرارا بأرواحهم ، بعد ان تركوا سبعين قتيلا في ساحة المعركة، وسبعين اسيرا تحت رحمة المسلمين .

الاسرى من بني هاشم

وقد وقع في أسر المسلمين عدة من رجالات بني هاشم اشتركوا في المعركة ضد المسلمين بعد أن خرجوا من مكة مكرهين، وكان على راس هؤلاء الاسرى العباس بن عبدالمطلب عم النبي (ص) . وكان النبي قد اصدر امره ـ قبل نشوب

المعركة ـ بأن لا يقتل جنده احدا من بني هاشم، ممن خرجوا مع قريش .

وقد جاء في امره هذا قوله ..

اني عرفت رجـالا من بني هاشم وغيرهم قد اخرجوا كرها ، لا حاجة لهم بقتالنا ، فمن لقي أحد منكم احدا من بني هاشم فلا يقتله ، ومن لقي أبا البحتري بن هشام فلا يقتله .

الابن يقاتل اباه

وكان ابو حذيفة (١٨٢) بن عتبـة بن ربيعـة (رض) موجودا في جيش المسلمين ، فقال عند سماع الامر النبوي انقتل آباءنا واخواننا وعشيرتنا ، ونترك العباس ؟؟ والله ان لقيته لألحمنه بالسيف (١٨٣) ، وكان عتبة بن ربيعة ، والد ابي حذيفة المذكور ، وعمه شيبة وابن عمه الوليد أول من قتل من المشركين مبارزة .

وعندما بلغت رسول الله (ص) مقالة أبي حذيفة قال ـ وعنده عمر بن الخطاب (١٨٤) خاضرا ـ يا أبا حفص، ايضرب

---

(١٨٢) ابو حذيفة ، اسمه هشيم وقيل هاشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف ، كـان من السابقـين الى الاسلام ، هـاجر الهجرتين ، وكان طوالا حسن الوجه ، دعا اباه عتبة الى البراز يوم بدر فامتنع ، قتل شهيدا في محاربة المرتدين في اليمامة .

(١٨٣) الحمتك عرض فلان ، امكنتك منه، والحمته سيفي مكنته منه.

(١٨٤) هو عمر بن الخطاب بن نفيل العدوي القرشي ، ولد بعد الفيل بثلاث عشرة سنة ، غني عن التعريف، ثاني الخلفاء الراشدين اشهر من =

وجه عم رسول الله ؟؟

فقال عمر ، يا رسول الله دعني اضرب عنقه بالسيف، فوالله لقد نافق ، ولكن الرسول لم يسمح بأن يمس ابو حذيفة بأي اذى .

وقد ندم أبو حذيفة (رض) على ما بدر منه ، وكان يقول دائما ــ ما آمن من تلك الكلمة التي قلت يومئذ ، ولا أزال منها خائفا الا أن تكفرها عني الشهادة ، فقتل شهيدا يوم اليمامة (رض) .

الاعتراف بالجميل لغير المسلم

وقد نفذت تعليمات الرسول (ص) فلم يقتل احد من بني هاشم في جيش المشركين ، ولكن الرسول اذا كان قد أمر بعدم قتلهم ، فانه لم يمنع المسلمين من أسرهم ووضعهم في القيود ، فقد أسروا جميعهم وسيقوا في القيود مع الاسرى الى المدينة ..

اما ابو البحتري بن هشام ــ وهو غير هاشمي ــ فقد نهى الرسول عن قتله، اعترافا بفضله وتقديرا لمواقفه المشرفة

= ان نعرف الناس به ، تولى الخلافة بعد ابي بكر وبويع له بها سنة ثلاث عشرة من الهجرة ، فسار احسن سيرة ، وكان مثلا أعلى في العدل والنزاهة والورع ، قتل في ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين ، طعنه الشقي ابو لؤلؤة، فيروز الفارسي غلام المغيرة بن شعبة بعد ان كبّر يصلي بالناس ، وقتل ابو لؤلؤة بعد ان طعن ثلاثة عشر رجلا في المسجد مات منهم ستة رضي الله عنهم .

التي وقفها ايام محنة الاسلام في مكة ، قبل الهجرة ، حيث لم يصدر منه اي ايذاء للرسول (ص) .

بل كان على راس النفر من عقلاء المشركين الذين عملوا على تحطيم الحصار الاقتصادي الذي ضربته قريش على بني هاشم وبني المطلب في الشعب ، فقد كان ابو البحتري هذا في مقدمة الرجال الذين استنكروا هذا الحصار ، وعملوا على تمزيق الصحيفة التي علقها اعداء محمد في جوف الكعبة ، بعد ان وقعت عليها جميع قبائل قريش بمقاطعة بني هاشم وبني المطلب اقتصاديا واجتماعيا ، لوقوفهم (قبليا) بجانب النبي ، كما هو مفصل في اول هذا الكتاب .

مقتل ابي البحتري

ولكن ابا البحتري النبيل هذا قد قتل في المعركة بالرغم من الاوامر النبوية الصادرة بعدم قتله ، وذلك ان المجذر (١٨٥) بن زياد البلوي قد لقيه في المعركة ، وقال له يا ابا البحتري ان رسول الله قد نهانا عن قتلك ، ـ وكان مع ابي البحتري زميل له يقاتلان سويا ـ فقال وزميلي ؟؟

فابلغه المجذر ان الامر صادر بشأنه فقط ، اما زميله

---

(١٨٥) هو المجذر بن زياد بن عمرو بن اخزم البلوي ، وبلي ـ بفتح الباء وكسر اللام ـ قبيلة عظيمة من قضاعة من القحطانية ، مساكنها تقع بين المدينة ووادي القرى .. شهد المجذر احدا وقتل فيها شهيدا ، كان المجذر في الجاهلية قتل سويد بن الصامت ، فلما كان يوم احد قتل الحرث ابن سويد المجذر غدرا وكان في جيش المسلمين ثم هرب الى مكة مرقدا ثم اسلم بعد الفتح فقتله الرسول (ص) بالمجذر .

فلا يمكن تركه بتاتا .

فرفض ابو البختري الحياة ، وقال ، اذن ، لأموتن أنا وهو جميعا .. ثم اندفع يقاتل وهو يقول :

لـن يسلـم ابـن حـرة زميلـه
حتـى يمـوت او يـرى سبيلـه

فاضطر المجـذر الـى مقاتلته ، فما زال يجاوله حتى قتلـه .

انتهاء المعركة وراس ابي جهل

وبعد ان انتهت المعركة امـر الرسول بجمـع الغنائم والاسلحة التي غنمها المسلمون ، فأخذ الجند في جمعها .

كما أمر النبي (ص) بالتحقق مـن مصير الطاغية أبي جهل ، واخبر من لم يعرفه ، بأن به علامة فارقة ـ اثر جرح في ركبته اصابه على أثر عراك حدث بينه. وبين النبي وهما غلامان صغيران في مكة ـ فانتشر الجنـد في ارجاء المعركة يبحثون عن ابي جهل ...

لقد ارتقيت مرتقا صعبا

وبينما عبدالله بن مسعود (١٨٦) يبحث مع الباحثين ،

---

(١٨٦) هو عبدالله بن مسعود بن غافل بـن حبيب الهذلي أبو عبد الرحمن ، صحابي شهير ، كان من أكابر الصحابة علما وعقلا وورعا ، ومن السابقين الاولين في الاسلام ، وهو من اهل مكة ، كان اول من جهر في مكة بقراءة القرآن ، كان خادما مخلصا للرسول (ص) ، وصاحب سره =

اذا به يجد دعامة الشرك مجندلا وبـه آخر رمق ، فاقترب منه ، وبعد ان وضع رجله على عنقه ليحتز راسه قال له :

هل اخزاك الله ، يا عدو الله ؟؟

فقال أبو جهل ، وبمـا اخزاني ، أعمـد من رجل قتلتموه ؟؟ (١٨٧) .

اخبرني لمن الدائرة اليوم ؟؟!

فقال ابن مسعود ، لله ولرسوله وللمؤمنين .

فقال أبو جهل لابن مسعود ــ وكـان باركا على صدره ليحتز رأسه ــ لقد ارتقيت مرتقا صعبا يا رويعي الغنـم ــ وكان ابن مسعود من رعاة الغنم في مكة ــ .

فرعون هـذه الامـة

وبعد ان وضع ابن مسعود راس أبي جهل بين يدي الرسول ، قال له ، هذا راس عدو الله أبي جهل بن هشام فقال النبي ــ آلله الذي لا اله الا هو ؟؟ فأكد له ابن مسعود ذلك ، ثم قال رسول الله وقد وقف علـى رأس الطاغية ، الحمد لله الذي اخزاك الله يا عدو الله ، هـذا فرعون هذه الامـة .

= (سكرتيره بلغة هذا العصر) ورفيقه في حله وترحاله، وغزواته، كان يدخل عليه في كل وقت ، وكان قصيرا جدا ، بحيث يكاد الجلوس يوارونه ، تولى وظيفة بيت المال في الكوفة بعد وفاة النبي (ص) ، توفي (رض) في خلافـة عثمان نحو ستين عاما .

(١٨٧) اعمد من رجل قتلتموه يعني بها : وهل اعظم من رجل قتله قومه؟

القتلى في القليب والاسرى في القيود

وبعد أن جمع المسلمون الاسلاب والغنائم ووضعوا الاسرى في القيود أمر الرسول (ص) بنقل جثث قتلى البغي والعدوان وطرحها في قليب مهجور بالقرب من ساحة المعركة.

وقد كان جمهور جند الاسلام حاضرا يشهد سحب جثث المشركين والقاءها في القليب .

وقد تجلت في معركة بدر مناظر رائعة ، برزت فيها قوة العقيدة وثبات المبدأ ، فقد قاتل الابن أباه والاخ أخاه ، وكان أحد هؤلاء أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة واقفا مع رسول الله (ص) يشهد القاء الجثث في القليب .

نموذج رائع للشباب المؤمن

وبينما هو كذلك واقفا مستبشرا ، اذا بوجهه يتغير وتعلوه سحابة من الكآبة والحزن ، فقد رأى جثة ابيه عتبة ابن ربيعة تسحب بين الجثث لالقائها في القليب .

وقد لحظ الرسول (ص) ذلك في وجه الشاب المؤمن ، فخاطبه قائلا :

«يا أبا حذيفة ، لعلك قد دخلك من شأن أبيك شيء» أو كما قال ؟؟

فقال الشاب المؤمن — وقد اجتاح الاسى كل جوانب قلبه — لا والله يا رسول الله ، ما شككت في ابي ولا في مصرعه، ولكنني كنت اعرف من أبي رأيا وحلما وفضلا ، وكنت أرجو

أن يهديه الله للاسلام ، فلما رايت ما أصابه وذكرت ما مات عليه من الكفر بعد الذي كنت ارجوه احزنني ذلك ، فدعا له الرسول (ص) بخير وقال له خيرا .

ولقد كان أبو حذيفة صادقا ، فقد كان أبو عتبة ، هو الذي قال فيه الرسول ــ كما تقدم ــ وقد رآه قبل المعركة راكبا جمله الاحمر .. ان يكن في أحد من القوم خير ، ففي راكب جمله الاحمر ، ان يطيعوه يرشدوا ، كما أن عتبة هذا هو الذي حمل لواء المعارضة في جيش مكة في بدر ودعا الى موادعة النبي والعودة الى مكة بالجيش دونما قتال ، ولكن أبا جهل جعله ــ كما تقدم ــ امام الامر الواقع .

ابن الخطاب يقتل خاله

وقد كان من روائع الثبات على العقيدة التي تجلت في معركة بدر أن قتل عمر بن الخطاب خاله العاص بن هشام ابن المغيرة ، كما طلب أبو بكر الصديق مبارزة ابنه عبد الرحمن الذي كان في جيش المشركين .

اين دعاة العنصرية ؟.

فأين دعاة القومية العنصرية الذين يزعمون (زورا وكذبا) ان رابطة الدم واللغة أقوى من رابطة العقيدة والدين ؟.

اليس أول وقود اشتعلت به معركة بدر الفاصلة ، هو دم الاقربين الذي أسالته سيوف الاسرة الواحدة ؟.

فهل أسال حمزة وعبيدة وعلـي أبناء هاشم بن عبد مناف ، دماء اخوانهم شيبة وعتبة والوليد أبناء عبد شمس ابن عبد مناف .. هل أسالوا تلك الدمـاء القريبـة اليهم والغالية عليهم ، على مذبح القومية والعنصرية ؟؟ أم أسالوها في سبيل العقيدة والدين ؟؟

انـه صراع المبادىء والعقائـد ، لا صراع القوميـات والنعرات ، ذلك الـذي خاضته جيوش الاسلام في ضراوة وتصميم حتى بنت للعرب قبل غيرهم (وعلى قمة الزمان) أعظم مجد شهدته الدنيا من لدن آدم حتى يومنا هذا .

لقد رسم يوم بدر أروع نموذج حي للثبـات الصادق على العقيدة ، لقد آخى الاسلام في هذه المعركة بين الابعدين وباعد الكفر بين الاشقاء والاقربين .

شد يديك بـه

بعد انتهاء معركة بدر ، مر الصحابي الشهير مصعب ابن عمير (١٨٨) بأخيه أبي عزيز بن عمير (١٨٩) الذي خاض

---

(١٨٨) هو مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي أحد السابقين الى الاسلام ، كان قد أسلم قديمـا والنبـي في دار الارقم وكان شابا يكتم اسلامه خوفا من امه وقومه ، ولما علم اهله باسلامه أوثقوه ولم يزل محبوسـا الى ان هرب الى الحبشة مع من هاجر ، هاجر الهجرتين، شهد بدرا ثم شهد احدا وكان صاحب لواء المسلمين . استشهد يوم احد (رضي الله عنه) .

(١٨٩) اسمه زرارة ، واختلف في اسلامه ، قال ابو عمر بن عبد البر له صحبة وسماع من النبي (ص) ، وقال الدارقطني انـه قتل كافرا يوم احد والله اعلم .

المركة ضد المسلمين ، مر به واحد الانصار يضع القيود في يده ، فقال مصعب للانصاري شد يديك به ، فان امه ذات متاع لعلها تفديه منك ، فقال أبو عزيز لاخيه مصعب :

أهذه وصاتك بي ؟؟ فقال مصعب انه (أي الانصاري) اخي دونك .

ما قاله الرسول لأهل القليب

وذكر ابن أسحاق ان النبي (ص) ـ بعد ان تم القاء جثث قتلى المشركين يوم بدر في القليب ـ وقف عليهم وقال :

يا أهل القليب ، هل وجدتم ما وعد ربكم حقا ؟؟ فاني وجدت ما وعدني ربي حقا ، وفي رواية أخرى انه قال :

يا أهل القليب ، بئس عشيرة النبي انتم ، كذبتموني وصدقني الناس ، وإخرجتموني وآواني الناس ، وقاتلتموني ونصرني الناس .

فقال له أصحابه أتكلم قوما قد ماتوا ؟؟ فقال لقد علموا ان ما وعدهم ربهم حقا ، قالت عائشة (رض) والناس يقولون انه قال لقد سمعوا ما قلت لهم .

الفصل الخامس

* مخلفات المعركة .
* عدد قتلى الفريقين وأسماؤهم .
* عدد أسرى المشركين وأسماؤهم .
* عدد البدريين من الصحابة وأسماؤهم .
* القرآن يتحدث عن المعركة .

وهكذا انتهت معركة بدر التي خاضها المسلمون ؟ وثم على غير استعداد لها .. انتهت بنصر عظيم للمسلمين ، وهزيمة ساحقة لأعدائهم الذين خسروا في هذه المعركة سبعين قتيلا بينهم أكثر من عشرين من قادتهم وزعمائهم ، كما وقع في أسر المسلمين ايضا سبعون محاربا بينهم كثير من الزعماء والقادة .

قتلى الفريقين في المعركة

لقد خسر المسلمون في معركة بدر اربعة عشر رجلا .. ستة من المهاجرين ، وثمانية من الانصار . اما شهداء المهاجرين فهم :

آ ــ من بني المطلب بن عبد مناف ، رجل واحد ، وهو :

١ ــ عبيدة بن الحارث بن المطلب (١٩٠) .. قطع رجله عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف (أثناء المبارزة)، فحمله الجيش جريحا حتى مات بوادي الصفراء، والجيش في طريقه الى المدينة .

ب ــ من بني زهرة بن كلاب، رجلان، وهما :

١ ــ عمير بن أبي وقاص (١٩١)، أخو سعد بن أبي وقاص .

٢ ــ ذو الشمالين ابن عبد عمرو بن نضلة الخزاعي (حليف لهم) .

---

(١٩٠) هو عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف، أبو الحارث، كان من فرسان قريش وأبطالها في الجاهلية والاسلام، ولد بمكة، وكان اسلامه سابقا على دخول النبي (ص) دار الارقم، وكان ثاني قائد عقد له النبي (ص) لواء في الاسلام، وذلك حينما بعثه للقيام بدورية استطلاع في السنة الاولى من الهجرة قوامها ستون راكبا، وهي الدورية التي التقت بأبي سفيان في موضع يقال له (ثنية المرة) وكان أبو سفيان في أكثر من مائتي راكب .

(١٩١) هو عمير بن أبي وقاص بن أبي أهيب الزهيري، قتله عمرو بن عبد ود العامري الذي قتله يوم الخندق علي بن أبي طالب، وكان النبي(ص) قد رد عميرا ولم يسمح له بالقتال عندما استعرض جيشه لصغر سنه، فبكى عمير تألما لمنعه من الاشتراك في المعركة، وعند ذلك سمح له الرسول (ص) بالقتال فاستشهد رضي الله عنه .

(١٩٢) ذو الشمالين هذا من قبيلة خزاعة، ثم من هذيل، من العدنانيين الذين تقع منازلهم الآن في وادي فاطمة، والخبيت بالقرب من القنفذة، والرواك الواقعة الى الشرق الجنوبي من بحر والصيم ــ بكسر الصاد ــ، وعبد عمرو هذا هو، ذو اليدين الذي نبه الرسول (ص) عندما سلم من ركعتين في صلاة رباعية وقال له .. أقصرت الصلاة أم نسيت يا رسول الله ؟؟

ج ـ من بني عدي بن كعب بن لؤي ، رجلان :

١ ـ عاقل بن البكير (١٩٣) . حليف لهم . وهو من بني سعد بن ليث بن عبد مناة بن كنانة .

٢ ـ مهجع (١٩٤) مولى عمر بن الخطاب .

د ـ من بني الحارث بن فهر ، رجل واحد ، وهو :

١ ـ صفوان بن بيضاء (١٩٥) .

عدد شهداء الانصار واسماؤهم :

اما شهداء الانصار فهم :

آ ـ من بني عمرو بن عوف (بطن من الخزرج) رجلان . وهما :

١ ـ سعد بن خيثمة (١٩٦) .

---

(١٩٣) عاقل هذا ، كان اول من بايع النبي (ص) في دار الارقم بمكة أيام المحنة ، فكان من السابقين الاولين في الاسلام وكان اسمه غافلا ، فسماه النبي (ص) عاقلا ، يرجع نسب عاقل بن البكير الى عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة .

(١٩٤) قال ابن حجر في الاصابة .. مهجع العكي مولى عمر بن الخطاب ، قال ابن هشام : اصله من عك فأصابه سبأ ، فمنّ عليه عمر ابن الخطاب فأعتقه ، فكان من السابقين في الاسلام ، وهو أول شهيد قتل يوم بدر ، وقد روي عن ابن العباس ان مهجع هو الذي انزل الله تعالى فيه قوله (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي) الآية .

(١٩٥) هو صفوان بن وهب بن ربيعة بن هلال الفهري قتله يوم بدر طعيمة بن عدي النوفلي .

(١٩٦) هو سعد بن خيثمة بن الحارث بن مالك الخزرجي ، كان من السابقين في الاسلام ، واحد النقباء الاثنا عشر الذين كفلوا قومهم في بيعة العقبة ، استهم سعد وابوه خيثمة يوم بدر ، فخرج سهم سعد (وكان =

٢ ـ مبشر بن عبد المنذر بن زنبر (١٩٧) .

ب ـ ومن بني الحارث بن الخزرج (بطن من الخزرج) رجل واحد ، وهو :

١ ـ يزيد بن الحارث ، وهو الذي يقال له (ابن فسحم) (١٩٨) .

ج ـ ومن بني سلمة (بطن من الخزرج) رجل واحد ، وهو :

١ ـ عمير بن الحمام (١٩٩) .

د ـ ومن بني حبيب (بطن من الخزرج) رجل واحد ، وهو :

= شابا) فقال له أبوه آثرني اليوم ، (أي اسمح لي بأن أخرج الى بدر بدلا منك) فقال له سعد : يا أبت لو كان غير الجنة لفعلت ، فخرج سعد (رض) فقتل شهيدا في بدر ، وهنا يجب أن يقف الشباب المسلم (عند هذا الخبر) وقفة اعتبار وتدبر ، ليرى أي شباب كان الاسلام يعتمد عليه ، ومن يتمعن في تاريخ هذا الشباب المسلم من أمثال سعد بن خيثمة ، سيدرك سر ذلك الاعصار الذي أطاح بامبراطوريتين عظيمتين في أقل من عشرين سنة على أيدي أولئك البدو الذين انطلقوا من الكهوف وأغوار الوديان حفاة شبه عراة .

(١٩٧) هو مبشر بن المنذر بن زنبر الخزرجي الانصاري أخو أبي لبابة الصحابي المشهور الذي رده النبي (ص) من الروحاء وهم في طريقهم الى بدر ، وجعله أميرا على المدينة مدة غيابه .

(١٩٨) هو يزيد بن الحارث (او الحرث) بن قيس بن مالك الانصاري الخزرجي وهو المشهور (بابن فسحم) آخى النبي (ص) بينه وبين عبد عمرو المعروف بذي الشمالين .

(١٩٩) هو عمير بن الحمام (بضم الحاء وتخفيف الميم) بن الجموح ابن زيد بن حرام الخزرجي الانصاري ، وهو الذي قذف بتمرات كان يأكلهن وهو في الصف ، وغاص في المشركين فقاتلهم حتى قتل بعد أن قال بخ بخ أفما بيني وبين الجنة الا أن يقتلني هؤلاء (كما ذكرنا ذلك في صلب الكتاب) .

١ ـ رافع بن المعلى (٢٠٠) .

هـ ـ ومن بني النجار (بطن من الاوس) رجل واحد ، وهو :

١ ـ حارثة بن سراقة بن الحارث (٢٠١) .

و ـ ومن بني غنم (بطن من الاوس) رجلان ، وهما :

١ ـ عوف بن الحارث بن رفاعة بن سواد .

٢ ـ اخوه ، معوذ بن الحارث .. وهذان الاخوان هما ابناء عفراء (٢٠٢) .

عدد قتلى المشركين واسماؤهم

اما خسائر المشركين من القتلى في معركة بدر فقد بلغت سبعين رجلا ، وهم كما يلي :

آ ـ من بني عبد شمس بن عبد مناف اثنا عشر رجلا ، وهم:

١ ـ عتبة بن ربيعة بن عبد شمس .. جرحه عبيدة بن عبد المطلب .

٢ ـ شيبة بن ربيعة بن عبد شمس .. جرحه عبيدة بن الحارث ، وذفف عليه علي بن ابي طالب وحمزة بن عبد المطلب .

---

(٢٠٠) هو رافع بن المعلى بن لوذان بن حارثة الخزرجي الانصاري ، قتله عكرمة بن ابي جهل .

(٢٠١) هو حارثة بن سراقة بن الحارث الانصاري الاوسي النجاري ، لم اطلع له على ترجمة أكثر من هذا في الاصابة .

(٢٠٢) عوف ومعوذ هذان اشتركا في قتل أبي جهل بعد ان جرحه احد الانصار كما تقدم .

٣ ـ الوليد بن عتبة .. قتله علي بن ابي طالب .
٤ ـ حنظلة بن ابي سفيان بـن حرب ... قتله زيد بن حارثة ، مولى رسول الله (ص) .
٥ ـ الحارث بن الحضرمي . (حليف لبني عبد شمس) .. قتله النعمان بن عصر .
٦ ـ عامر بن الحضرمي (حليف لهم ايضا).. قتله عمار بن ياسر (٢٠٣) .
٧ ـ عمير بن ابي عمير .
٨ ـ وابن لعمير هذا .. والاثنان موليان لبني عبد شمس
٩ ـ عبيدة بن سعيد بن العاص .. قتله الزبير بن العوام
١٠ ـ العاص بن سعيد بن العاص .. قتله علي بن ابي طالب .
١١ ـ عقبة بن ابي معيط .. قتله عاصم بن ثابت بن ابي

---

(٢٠٣) هو عمار بن ياسر بن مالك بن كنانة بن قيس العنسي اليماني ، أبو اليقظان ، (حليف بني مخزوم) وامه سميه كانت مولاة لهم ، كان عمار من السابقين في الاسلام ، هو وابوه ، وكانوا ممن يعذب في الله في مكة ؛ وكان النبي (ص) يمر عليهم فيقول : (صبرا آل ياسر ، موعدكم الجنة) هاجر الى المدينة وشهد المشاهد كلها مع رسول الله (ص) ، ثم شهد اليمامة في جيش خالد بن الوليد فقطعت أذنه بها ، ثم استعمله عمر على الكوفة ؛ وكان أول من أظهر اسلامهم بمكة سبعه ، منهم عمار بن ياسر ، كما ذكره ابن ماجه ، وفيه تواترت الاحاديث انه تقتله الفئة الباغية ، وقد قتل في صفّين وهو في جيش الامام علي (رض) وكان عمار (يغفر الله له) من الذين شغبوا على أمير المؤمنين عثمان بن عفان (رض) واشترك في محاصرته مع (مالك الاشتر النخعي) يوم الدار حتى قتله المجرمون تلك القتلة التي نتجت عنها تلك الفتنة العمياء التي لا يزال المسلمون يخبون في ظلامها حتى اليوم ويعانون الفرقة من جرائها حتى هذه اللحظة .

الافلح ، قتله صبرا في مكــان يقال له عــرق الظبية وذلك اثناء عودة الجيش الاسلامي الى المدينة .

١٢ ــ عامر بن عبدالله النمري (حليف لهم) .. قتله علي ابن ابي طالب .

ب ــ ومن بني نوفل بن عبد مناف رجلان ، وهما :

١ ــ الحارث بن عامر بن نوفل .. قتله خبيب بن اساف

٢ ــ طعيمة بن عدي بن نوفل .. قتله علي بن ابي طالب.

ج ــ ومن بني اسد بن عبد العزى سبعة نفر :

١ ــ زمعة بن الاسود بن المطلــب ، قتله ثابت بن الجذع ويقال اشـــترك في قتله علي بن ابي طالب وحمزة بن عبد المطلب .

٢ ــ ابو البختري بن هشام (واسمه العاص بن هشـــام ابن الحارث) قتله المجذر بن زياد البلوي .

٣ ــ الحارث بن زمعة .. قتله عمار بن ياسر .

٤ ــ نوفل بن خويلد بن اسد ، وهو اخــو ام المؤمنــين خديجة (وكان من شياطين قريش) قتله علي بن ابي طالب .

٥ ــ عقيل بن الاسود بن المطلب .. قتله حمزة وعلي .

٦ ــ عقبة بن زيد (رجل من اليمن حليف لبني اسد) .

٧ ــ ومولى لهم اسمه (عمير) .

د ــ ومن بني عبد الدار بن قصي اربعة نفر :

١ ــ النضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة .. اسر النضر في المعركة (وكان حامل لواء المشركين) ، وقد امر النبي (ص) بقتله صبرا ، فنفّذ فيه حكم الاعدام علي بن ابي

طالب في موضع يقال له (الاثيـل) بوادي الصفراء .
وكان النضر هذا مـن شياطين قريش ، ومـن أكبـر مجرمـي الحرب ، ومن اشد الناس ايذاء للمسلمين .

٢ ـ زيد بن مليص ، مولى عمير بن هاشم بن عبد مناف ابن عبد الدار .. قتله بلال بن رباح (١٠٤) (مولى أبي بكر الصديق يومئذ) .

٣ ـ نبيه بن زيد بن مليص (حليف لهم) من بني مازن ثم من بني تميم .

٤ ـ عبيد بن سليط (حليف لهم) من قيس .

هـ ـ ومن بني تميم بن مرة ، أربعة نفر :

١ ـ مالك بن عبيد الله بن عثمان (وهـو اخو طلحة بن عبيد الله) اسر فمات في الاسر . فعمد في القتلى .

---

(١٠٤) هو بلال بن ربـاح الحبشي ، المؤذن المشهور وهو بلال بن حمامة وهي امه ، اشتراه ابو بكر الصديق من المشركين في مكة ، انقاذا له من التعذيب الشديد ، ثم اعتقـه ، فلزم النبي (ص) ، واذن لـه ، شهد بلال كل المشاهد مع رسول الله (ص) ، وقد آخى النبي (ص) بينه وبين أبي عبيدة بن الجراح القائد الشهير ، كان يواصل الجهاد مع جيوش الاسلام خارج جزيرة العرب ، فشهد فتوحات الشام مجاهدا حتى مـات بها ، ومناقب بلال كثيرة ، وكان من اكثر المؤمنين الاولين تحملا لتعذيب المشركين ، كان امية بن خلف (راس الكفر) يخرجه اذا حميـت الظهيرة فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة (في شـدة القيظ) ثم يأمـر بالصخرة العظيمة على صدره ، ثم يقول : لا يزال على ذلك حتى يموت أو يكفـر بمحمد ، فيكون جواب بلال (ازاء ذلك التعذيب الرهيب) : أحد أحد.. فمر به ابو بكر الصديق فاشتراه منه بعبد له أسود جلد ، روى لـه اصحاب الحديث في كتبهم عن رسول الله (ص) اربعةوأربعين حديثا ، توفي بالطاعون في عمواس زمن ابن الخطاب عام عشرين هـ .

٢ ـ عمرو بن عبدالله بن جدعان .
٣ ـ عمير بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم ، قتله علي بن ابي طالب .
٤ ـ عثمان بن مالك بن عبيد الله ، قتله صهيب بن سنان (٢٠٥) .

و ـ ومن بني مخزوم (قبيلة خالد بن الوليد) اربعةوعشرون رجلا ، وهم :

١ ـ القائد العام لجيش مكة (ابو جهل بن هشام) واسمه عمرو بن هشام بن المغيرة بن عمرو بن مخزوم ، اقعده بضربة بالسيف ، معاذ بن عمرو بن الجموح فقطع رجله ، ثم ضربه معوذ بن عفراء حتى اثبته ، ثم ذفف عليه عبدالله بن مسعود ، حين احتز راسه .
٢ ـ العاص بن هشام بن المغيرة بن عبدالله بن عمرو بن

---

(٢٠٥) هو صهيب بن سنان بن مالك الصحابي الجليل المشهور . وهو الذي يقال له .. صهيب الرومي ، اختلف النسابون في نسبه ، فقيل انه نمري من بني قاسط ، وأن الروم سبوه وهو صغيرا لان اهله كانوا يقيمون بالعراق من جهة الفرس على مياه دجلة ، فنشأ صهيب بأرض الروم فصار الكن ، ثم اشتراه رجل من قبيلة (كلب) فباعه بمكة ، فاشتراه عبدالله بن جدعان التيمي فأعتقه ، ويقال انه رومي الاصل ، هرب من ارض الروم فقدم مكة فحالف ابن جدعان ، والذي يجعلنا نميل الى انه رومي الاصل ، انه كان احمر شديد الصهوبة ، وهذه غالبا صفة الروم ، كان (رض) من السابقين في الاسلام ، ومن المستضعفين ممن يعذب في الله ، هاجر الى المدينة مع امير المؤمنين علي ، شهد المشاهد كلها مع رسول الله (ص) ، وكان من اعلام الصحابة ، لما مات عمر اوصى ان يصلى عليه صهيب ، مات صهيب سنة ثمان وثلاثين هـ وهو ابن سبعين .

مخزوم ، قتله عمر بن الخطاب (وهو خاله) .
٣ ـ يزيد بن عبدالله (حليف لهم) وكان من بني تميم .. قتله عمار بن ياسر .
٤ ـ ابو مسافع الاشعري (حليف لهم) قتله ابو دجانة (٢٠٦)
٥ ـ حرملة بن عمرو (حليف لهم) وهو من الاسد ، قتله خارجة بن زيد (٢٠٧)
٦ ـ مسعود بن أبي أمية بن المغيرة ، قتله علي بن ابي طالب .
٧ ـ ابو قيس بن الوليد بن المغيرة (اخو خالد بن الوليد) قتله حمزة بن عبد المطلب .
٨ ـ أبو قيس بن الفاكهة بن المغيرة ، قتله علي بن أبي طالب .
٩ ـ رفاعة بن عابد بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم ، قتله سعد بن الربيع .
١٠ ـ المنذر بن ابي رفاعة بن عابد ، قتله معن بن عدي ابن الجد بن العجلان .
١١ ـ السائب بن ابي السائب بن عابد ، قتله الزبير بن العوام ، وفي رواية ابن هشام أن السائب هذا ، اسلم وحسن اسلامه (انظر سيرة ابن هشام ج١ ص ٧١١) .
١٢ ـ الاسود بن عبد الاسد بن هلال بن عبدالله بن عمر

---

(٢٠٦) انظر ترجمته في كتابنا (غزوة احد) .

(٢٠٧) استشهد خارجة في معركة احد .. وانظر ترجمته في كتابنا (غزوة احد) .

ابن مخزوم ، قتله حمزة بن عبد المطلب .
١٣ ـ حاجب بن السائب بن عويمر بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم ، قتله علي بن أبي طالب .
١٤ ـ عويمر بن السائب بن عويمر ، قتله النعمان بن مالك القوقلي مبارزة .
١٥ ـ عمرو بن سفيان (حليف لهم) من طي ، قتله يزيد ابن رقيش .
١٦ ـ جابر بن سفيان (حليف لهم ايضا) وهو من طي ، قتله جابر ابو بردة بن نيار .
١٧ ـ عبدالله بن المنذر بن أبي رفاعة ، قتله علي بن أبي طالب .
١٨ ـ حذيفة بن أبي حذيفة بن المغيرة ، قتله سعد بن أبي وقاص .
١٩ ـ هشام بن أبي حذيفة بن المغيرة ، قتله صهيب ابن سنان .
٢٠ ـ زهير بن ابي رفاعة ، قتله ابو اسيد ، مالك بن ربيعة .
٢١ ـ السائب بن أبي رفاعة ، قتله عبد الرحمن بن عوف .
٢٢ ـ عائذ بن السائب بن عويمر ، جرحه في المعركة حمزة ابن عبد المطلب ، ثم أسر فافتدى ثم مات متأثرا بجراحه .
٢٣ ـ رجل من طي اسمه عمير (حليف لهم من طي) .
٢٤ ـ رجل آخر ايضا اسمه خيار ، (حليف لهم من القارة) .
ز ـ ومن بني سهم بن عمرو (قبيلة عمرو بن العاص) سبعة نفر ، وهم :

١ ــ منبه بن الحجاج بن حذيفة بن سعد بن سهم ، قتله ابو اليسر اخو بني سلمة .

٢ ــ ابنه ، العاص بن منبه بن الحجاج ، قتله علي بن ابي طالب .

٣ ــ أخوه ، نبيه بن الحجاج ، قتله حمزة بن عبد المطلب ، وسعد بن أبي وقاص ، اشتركا في قتله .

٤ ــ أبو العاص بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم ، قتله علي بن أبي طالب . ويقال النعمان بن مالك القوقلي ، ويقال .. ابو دجانة .

٥ ــ عاصم بن ضبيرة بن سعيد بن سعد بن سهم ، قتله ابو اليسر ، اخو بني سلمة .

٦ ــ الحارث بن منبه بن الحجاج، قتله صهيب بن سنان .

٧ ــ عامر بن عوف بن ضبيرة ، أخو عاصم بن ضبيرة ، قتله عبدالله بن سلمة العجلاني . ويقال أبو دجانة .

ح ــ ومن بني عامر بن لؤي رجلان ، وهما :

١ ــ معاوية بن عامر (حليف لهم من بني عبد القيس) ، قتله عكاشة بن محصن (٢٠٨) على ما قاله ابن هشام .

---

(٢٠٨) هو عكاشة (بضم اوله وتشديد الكاف وتخفيفها) ابن محصن ابن حرثان بن قيس ، من بني أسد بن خزيمة ، حليف بني عبد شمس من السابقين الاولين ، وهو الذي يضرب به المثل دائما بالقول (سبقك بها عكاشة) وهذه الكلمة قالها النبي (ص) عندما قال : ان سبعين الفا يدخلون الجنة بغير حساب ، فقال عكاشة .. ادع الله ان يجعلني منهم ، قال .. أنت منهم ، فقام آخر ، فقال له النبي (ص) .. سبقك بها عكاشة ، فصار يضرب بها المثل للسبق في الامر ، استشهد عكاشة في حرب الردّة ، قتله طليحة بن خويلد الاسدي .

٢ ــ معبد بن وهب (حليف لهم من بني كلب بن عوف) قتله خالد وأياس ابنا البكير .
ط ــ ومن بني جمح بن عمرو بن هصيص، اربعة نفر، وهم :
١ ــ أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح ، قتله رجل من الانصار من بني مازن .
٢ ــ ابنه علي بن امية بن خلف ، قتله عمار بن ياسر .
٣ ــ أوس بن معير بن لوذان بن سعد بن جمح ، قتله علي ابن أبي طالب ، ويقال قتله الحصين بن الحارث وعثمان ابن مظعون .
٤ ــ سبرة بن مالك (حليف لهم) لا يعرف قاتله .

اسرى المشركين واسماؤهم

اما اسرى المشركين الذين وقعوا في أيدي جيش المدينة يوم بدر ، فهم أيضا سبعون رجلا ، وهم كما يلي :
آ ــ من بني هاشم اربعة نفر ، وهم :
١ ــ العباس بن عبد المطلب (٢٠٩) .

---

(٢٠٩) هو العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، عم رسول الله (ص) ، ولد قبل رسول الله (ص) بسنتين ، افتدى نفسه وابن اخيه عقيل بن أبي طالب ، ورجع الى مكة ، ويقال انه أسلم فكتم اسلامه ، فكان عينا على المشركين ، يبعث بأخبارهم من مكة للنبي (ص) ، هاجر قبل الفتح بقليل ، وشهد فتح مكة مع المسلمين، وشهد معركة حنين، وكان ممن ثبت ساعة انهزام المسلمين اول المعركة ، فكان لصوته الجهوري فضل كبير عندما حض المنهزمين على الثبات ، كان النبي (ص) يقول من آذى العباس فقد آذاني ، فانما عم الرجل صنو أبيه ، كان العباس طويلا جميلا ، توفي بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين هـ .

٢ ـ عقيل بن أبي طالب (٢١٠) أخو علي بن أبي طالب .
٣ ـ نوفل بن الحارث بن المطلب (٢١١) .
٤ ـ رجل اسمه (عتبة) حليف لهم .

ب ـ ومن بني المطلب بن عبد مناف خمسة نفر ، وهم :
١ ـ السائب بن عبيد بن عبد يزيد (٢١٢) .
٢ ـ نعمان بن عمرو بن علقمة بن المطلب .
٣ ـ عقيل بن عمرو (حليف لهم) .
٤ ـ أخوه تميم (حليف لهم أيضا) .
٥ ـ ابن لتميم ، لا يعرف اسمه (حليف لهم ايضا) .

ج ـ ومن بني عبد شمس بن عبد مناف تسعة نفر ، وهم :

---

(٢١٠) هو عقيل بن ابي طالب ، اخو امير المؤمنين (علي) تأخر اسلامه الى عام الفتح ، شهد حنينا وكان ممن ثبت فيها ، كما شهد معركة مؤتة (في الاردن) ، كان من أعلم الناس بأنساب قريش ومآثرها ومثالبها ، وكان شديد الذكاء مشهورا بالجواب المسكت ، فارق أخاه عليا ولحق بمعاوية أيام الخلاف بينهما ، وشهد صفين مع معاوية ، ويقول بعض المؤرخين ان معاوية قال لعقيل في يوم من ايام صفين ، أنت اليوم معنا فأجابه (على طريقته في سرعة الجواب) : وقد كنت معكم يوم بدر ، لم يرو عن رسول الله (ص) سوى حديث واحد اخرجه له النسائي وابن ماجه ، مات رضي الله عنه في اول خلافة يزيد .

(٢١١) هو نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، ابن عم رسول الله (ص) ، دفع عنه الفدية عمه العباس ، فأطلق سراحه من الاسر ، كان يتاجر في الرماح ، أسلم نوفل وكان أسن من أسلم من بني هاشم ، مات نوفل لسنتين من خلافة ابن الخطاب ، ومشى عمر في جنازته .

(٢١٢) هو السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف ، جد الامام الشافعي ، كان السائب حامل راية بني هاشم مع المشركين يوم بدر ، فدى نفسه من الاسر ، ثم أسلم وحسن اسلامه .

١ ـ عمرو بن أبي سفيان بن حرب .
٢ ـ الحارث بن أبي وجرة .
٣ ـ أبو العاص بن الربيع (٢١٣) .
٤ ـ ابو العاص بن نوفل بن عبد شمس .
٥ ـ أبو ريشة بن عمرو (حليف لهم) .
٦ ـ عمرو بن الازرق (حليف لهم) .
٧ ـ عقبة بن عبد الحارث بن الحضرمي (حليف لهم) .
٨ ـ خالد بن أسيد بن أبي العيص (٢١٤) .
٩ ـ أبو العريض ، يسار (مولى العاص بن أمية) .

---

(٢١٣) هو ابو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف ، واسمه لقيط ، وقيل ياسر ، تزوج زينب بنت رسول الله (ص) وهما مشركان ، وكان رجلا نبيلا مشهورا بالامانة حتى انه كان يلقب بالامين ، وكان القرشيون لذلك يأتمنونه على أموالهم ، فكان لذلك يتاجر (مضاربا) في اموال كثير من القرشيين الموسرين ، واتفق ان عاد مرة من الشام في تجارة كثيرة لاهل مكة ، فأراد بعض الصحابة التعرض له ، والاستيلاء على ما معه من اموال باعتبارها اموال العدو ، فأعلنت زوجته انها قد اجارته ، فامن بذلك ، ثم خرج اليه بعض الصحابة من غير سلاح ، وقالوا له : هل لك أن تسلم ، فتغنم ما معك من أموال لمشركي مكة ، فقال بئسما امرتموني به ، أن أنسخ ديني بغدرة ، ثم مضى بتجارة أهل مكة حتى وصل اليها وأعطى كل ذي حق حقه ، ثم نادى في اهل مكة قائلا .. يا أهل مكة هل اوفيت ذمتي ، قالوا .. اللهم نعم ، فأعلن اسلامه آن ذاك وهاجر الى المدينة ، فرد عليه رسول الله (ص) زوجته زينب بعقد جديد ، وقد توفي ابو العاص سنة اثنتي عشرة من الهجرة .

(٢١٤) هو خالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس ، وهو اخو عتاب بن اسيد الذي جعله النبي (ص) اميرا على مكة بعد الفتح ، أسلم يوم الفتح ، وكان اخوه عتاب قد ارسله اميرا على حملة التأديب التي أرسلها لمقاتلة المرتدين .

د ـ ومن بني نوفل بن عبد مناف اربعة نفر ، وهم :
١ ـ عدي بن الخيار بن عدي بن نوفل .
٢ ـ عثمان بن عبد شمس ابن اخي غزوان بن جابر .
(حليف لهم من بني مازن بن منصور) .
٣ ـ ابو ثور (حليف لهم) .
٤ ـ نبهان (مولى لهم) .
هـ ـ ومن بني عبد الدار بن قصي ، ثلاثة نفر ، وهم :
١ ـ ابو عزيز بن عمير بن هاشم (اخو مصعب بن عمير)
٢ ـ الاسود بن عامر (حليف لهم) .
٣ ـ عقيل (رجل من اليمن) حليف لهم .
و ـ ومن بني اسد بن عبد العزّى اربعة نفر ، وهم :
١ ـ السائب بن ابي حبيش بن المطلب بن اسد .
٢ ـ الحويرث بن عبّاد بن عثمان بن اسد .
٣ ـ سالم بن شماخ (حليف لهم) .
٤ ـ عبدالله بن حميد بن زهير بن الحارث .
ز ـ ومن بني مخزوم بن يقظة عشرة نفر ، وهم :
١ ـ خالد بن هشام بن المغيرة .
٢ ـ امية بن ابي حذيفة بن المغيرة .
٣ ـ عثمان بن عبدالله بن المغيرة .
٤ ـ ابو المنذر بن ابي رفاعة .
٥ ـ أبو عطاء عبدالله بن ابي السائب .
٦ ـ المطلب بن حنطب بن الحارث .
٧ ـ خالد بن الاعلم (حليف لهم) وهو الذي كان أول من فر منهزما من المعركة ، مع انه صاحب البيت المشهور

الذي يضرب به المثل للثبات . .

ولسنا على الاعقاب تدمى كلومنا ولكن على اقدامنا يتقطر الدم

٨ ــ الوليد بن الوليد بن المغيرة (اخو خالد بن الوليد) .

٩ ــ صيفي بن ابي رفاعة بن عابد .

١٠ ــ قيس بن السائب .

ح ــ ومن بني سهم بن عمرو بن هصيص خمسة نفر ، وهم :

١ ــ ابو رداعة بن ضبيرة بن سعيد بن سعد بن سهم .

٢ ــ وفرة بن قيس بن عدي بن حذافة بن سعد بن سهم .

٣ ــ حنظلة بن قبيصة بن حذافة بن سعد بن سهم .

٤ ــ الحجاج بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم .

٥ ــ رجل ، اسمه (أسلم) مولى نبيه الحجاج .

ط ــ ومن بني جمح بن عمرو بن هصيص احد عشر رجلا وهم:

١ ــ عبدالله بن ابي بن خلف بن وهب

٢ ــ ابو عزة (عمرو بن عبد بن عثمان بن وهيب)

٣ ــ الفاكهة (مولى امية بن خلف) .

٤ ــ وهب بن عمير .

٥ ــ ربيعة بن دراج بن العنبس بن أهبان بن وهب .

٦ ــ عمرو بن ابيّ بن خلف .

٧ ــ ابو رهم بن عبدالله (حليف لهم) .

٨ ــ ورجل (حليف لهم) ذهب عن ابن اسحاق اسمه فلم يذكره .

٩ ــ نسطاس (مولى لامية بن خلف) .

١٠ ــ مولى آخر (لامية بن خلف) لا يعرف اسمه .

١١ ــ ابو رافع (غلام امية بن خلف) .

ي ــ ومن بني عامر بن لؤيّ خمسة نفر ، وهم :

١ ــ سهيل بن عمرو (٢١٥) . اسره مالك بن الدخشم .
٢ ــ عبد بن زمعة بن قيس .
٣ ــ عبد الرحمن بن منشؤ بن وقدان .
٤ ــ حبيب بن جابر .
٥ ــ السائب بن مالك .

ك ــ ومن بني الحارث بن فهر أربعة نفر ، وهم :

١ ــ الطفيل بن أبي قنيع .
٢ ــ عتبة بن عمرو بن جحدم .
٣ ــ شافع (رجل من اليمن) حليف لهم .
٤ ــ شفيع (رجل ايضا من اليمن) حليف لهم .

اسماء من شهد بدرا من المسلمين

لقد شهد معركة بدر من المسلمين ثلاثمائة وسبعة عشر رجلا . منهم ستة وثمانون رجلا من المهاجرين ، ومئتان وواحد وثلاثون من الانصار . منهم مائة وسبعون من الخزرج

---

(٢١٥) هو سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود العامري القرشي، صحابي جليل خطيب قريش الاول ، اسلم بعد الفتح ، وكان من زعماء قريش البارزين في الجاهلية والاسلام ، تولى (بالنيابة عن قريش) ابرام صلح الحديبية مع النبي (ص) ، وهو الذي قال لرسول الله (ص) ، لما امسك عضادة باب الكعبة يوم الفتح ، وخاطب قريشا قائلا .. ماذا تقولون ؟! قال سهيل : نقول خيرا ونظن خيرا ، اخ كريم وابن اخ كريم ، وقد قدرت ، فقال (ص) .. اقول كما قال اخي يوسف : لا تثريب عليكم اليوم. كان سهيل في جيوش الشام يجاهد ، ولم يزل كذلك حتى مات في طاعون عمواس غازيا .

وواحد وستون من الاوس .
وهذه اسماء جميع البدريين منسوبين الى قبائلهم :

البدريين من المهاجرين

أ ـ من بني هاشم بن عبد مناف ثمانية نفر :
١ ـ سيد المرسلين محمد بن عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف (ص) .
٢ ـ حمزة بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف .
٣ ـ علي بن ابي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف
٤ ـ زيد بن حارثة بن شرحبيل الكلبي (مولى رسول الله ـ ص) .
٥ ـ انسة الحبشي (مولى رسول الله ـ ص) .
٦ ـ أبو كبشة الفارسي (مولى رسول الله ـ ص ـ) .
٧ ـ كناز بن حصين بن يربوع (حليف لهم) وهو من قيس عيلان . وهو المكنى بأبي مرثد .
٨ ـ ابنه مرثد بن أبي مرثد (حليف لهم أيضا) .

ج ـ ومن بني المطلب بن عبد مناف اربعة نفر :
١ ـ عبيدة بن الحارث بن المطلب . (قتل يوم بدر)
٢ ـ الطفيل بن الحارث بن المطلب .
٣ ـ الحصين بن الحارث بن المطلب .
٤ ـ مسطح واسمه عوف بن اثاثة بن عباد بن المطلب .

د ـ ومن بني امية بن عبد شمس بن عبد مناف ستة عشر رجلا .
١ ـ عثمان بن عفان ، تخلّف على امرأته رقية بنت رسول

الله (ص) لتمريضها في المدينة فضرب لها رسول الله (ص) بسهم وعدّه من البدريين في الاجر .

٢ ـ أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف .

٣ ـ سالم مولى أبي حذيفة (٢١٦) بن عتبة بن ربيعة .

٤ ـ عبدالله بن جحش (حليف لهم) .

٥ ـ عكاشة بن محصن . (حليف لهم) .

٦ ـ شجاع بن وهب بن ربيعة (حليف لهم) .

٧ ـ عتبة بن وهب بن ربيعة (حليف لهم)

---

(٢١٦) هو سالم بن معقل ، مولى ابي حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، كان من أجلاء الصحابة واعلامهم ، ومن السابقين الاولين ، وقد كان لامرأة من الانصار اسمها (فاطمة بنت يعار) اعتقته سائبة ، فوالى الصحابي الشهير أبي حذيفة ، وكان أبو حذيفة قد تبناه ، كما تبنى رسول الله (ص) زيد بن حارثة ، فكان أبو حذيفة يرى انه ابنه ، فانكحه ابنة اخيه فاطمة بنت الوليد بن عتبة ، فلما نزلت آية (أدعوهم لآبائهم) رد كل أحد تبنى ابنا الى ابيه ، ومن لم يعرف ابوه رد الى مواليه ، كان سالم هذا عظيم المنزلة بين الصحابة ، فكان يؤم المهاجرين في الصلاة في مسجد قباء ، وفيهم أبو بكر وعمر ، وكان من المهاجرين ، هاجر مع عمر بن الخطاب ، وكان ابن الخطاب معجبا به ، كثير الثناء عليه ، حتى ان عمر لما طعن وفكر في أمر الخلافة ، تذكر سالما وكان قد مات ، ثم قال عمر لو كان سالم حيا ما جعلتها شورى (أي لاوصى له بالخلافة) وهذا يدل على علو منزلة سالم (رض) ، وكان من حفاظ القرآن المشهورين في عصر النبي ، فكان النبي (ص) يقول .. خذو القرآن من أربعة ، من ابن ام عبد ، ومن أبي بن كعب ومن سالم مولى حذيفة ، ومن معاذ بن جبل ، شهد سالم بدرا وقتل في معركة اليمامة شهيدا هو ومولاه أبو حذيفة ، وقد وجد راس احدهما عند رجل الاخر وذلك سنة اثنتي عشرة من الهجرة .

٨ ــ يزيد بن رقيش (حليف لهم) .
٩ ــ ابو سنان محصن بن حرثان بن قيس (حليف لهم) .
١٠ ــ سنان بن ابي سنان (حليف لهم) .
١١ ــ محرز بن نضلة بن عبدالله (حليف لهم) .
١٢ ــ ربيعة بن أكثم بن سخبرة (حليف لهم) .
١٣ ــ ثقيف بن عمرو (حليف لهم) .
١٤ ــ مالك بن عمرو (حليف لهم) .
١٥ ــ مدلج بن عمرو (حليف لهم)
١٦ ــ ابو مخشي (حليف لهم) .
هـ ــ ومن بني نوفل بن عبد مناف ، رجلان ، وهما :
١ ــ عتبة بن غزوان (حليف لهم) .
٢ ــ خباب مولى عتبة بن غزوان (حليف لهم) .
و ــ ومن بني أسد بن عبد العزى ثلاثة نفر ، وهم :
١ ــ الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد .
٢ ــ حاطب بن ابي بلتعة اليماني (٢١٧) (حليف لهم) .
٣ ــ سعد الكلبي (مولى حاطب بن ابي بلتعة) حليف لهم
ز ــ ومن بني عبد الدار بن قصي ، رجلان ، وهما :
١ ــ مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار
٢ ــ سويط بن سعد بن حريملة
ح ــ ومن بني زهرة بن كلاب ثمانية نفر ، وهم :

---

(٢١٧) هو زيد بن الخطاب بن نفيل أخو عمر بن الخطاب ، كان أسن من اخيه عمر ، وقد أسلم قبله ، شهد بدرا والمشاهد كلها ، وقتل شهيدا في حرب اليمامة ، وكانت راية المسلمين معه ، وحزن عليه أخوه عمر حزنا شديدا ، ولما قتل (رض) قال عمر سبقني الى الحسنيين .. أسلم قبلي واستشهد قبلي ، له في الصحيح حديث واحد .

١ ــ عبد الرحمن بن عوف .
٢ ــ سعد بن أبي وقاص .
٣ ــ عمير بن أبي وقاص .
٤ ــ المقداد بن عمرو بن ثعلبة (حليف لهم) .
٥ ــ عبدالله بن مسعود بن الحارث الهذلي (حليف لهم)
٦ ــ مسعود بن ربيعة بن عمرو بن سعد (حليف لهم) .
٧ ــ ذو الشمالين بن عمرو بن نضلة الخزاعي (حليف لهم)
٨ ــ خباب بن الأرت التميمي (حليف اهم) .

ط ــ ومن بني تيم بن مرة خمسة نفر :

١ ــ ابو بكر الصديق . واسمه (عتيق بن عثمان بن عامر ابن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم) .
٢ ــ بلال بن رباح (مولى لابي بكر الصديق) .
٣ ــ عامر بن فهيرة (مولى أبي بكر الصديق) .
٤ ــ صهيب بن سنان (مولى عبدالله بن جدعان التيمي)
٥ ــ طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم .. كان غائبا بالشام وقت المعركة فضرب له رسول الله (ص) بسهمه وعدّه كالبدريين في الاجر .

ي ــ ومن بني مخزوم خمسة نفر ، وهم :

١ ــ أبو سلمة بن عبد الاسد واسمه عبدالله بن عبد الاسد
٢ ــ شماس بن عثمان بن الشريد
٣ ــ الارقم بن ابي الارقم ، واسمه (عبد مناف بن اسد)
٤ ــ عمار بن ياسر
٥ ــ معتّب بن عوف بن عامر الخزاعي (حليف لهم) .

ك ــ ومن بني عدي بن كعب (قبيلة عمر بن الخطاب) اربعة

عشر رجلا ، وهم :

١ ـ عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى .
٢ ـ مهجع العكي (مولى عمر بن الخطاب) .
٣ ـ عمرو بن سراقة بن المعتمر .
٤ ـ عبدالله بن سراقة .
٥ ـ واقد بن عبدالله بن عبد مناف اليربوعي (حليف لهم)
٦ ـ خولي بن ابي خولي حليف لهم .
٧ ـ مالك بن ابي خولي حليف لهم .
٩ ـ عامر بن البكير بن عبد ياليل (حليف لهم) .
١٠ ـ عاقل بن البكير
١١ ـ خالد بن البكير
١٢ ـ اياس بن البكير
١٣ ـ زيد بن الخطاب (اخو عمر بن الخطاب)
١٤ ـ سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل . كان غائبا في الشام فلما قدم ضرب له رسول الله (ص) بسهم ، وعده مثل البدريين في الاجر ، فصار بدريا .

ل ـ ومن بني جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب خمسة رجال :

١ ـ عثمان بن مظعون
٢ ـ السائب بن عثمان بن مظعون
٣ ـ قدامة بن مظعون
٤ ـ عبدالله بن مظعون
٥ ـ معمر بن الحارث بن معمر

م ـ ومن بني سهم بن عمرو هصيص ، رجل واحد :

١ ـ رجل واحد ، لم يذكر ابن اسحاق اسمه .

ن ـ ومن بني عامر بن لؤي سبعة رجال ، وهم :
١ ـ ابو سبرة بن ابي رهم بن عبد العزى .
٢ ـ عبدالله بن مخرمة بن عبد العزى .
٣ ـ عبدالله بن سهيل بن عمرو .
٤ ـ عمير بن عوف (مولى سهيل بن عمرو) .
٥ ـ سعد بن خولة (حليف لهم) .
٦ ـ وهب بن سعد بن أبي سرح .
٧ ـ حاطب بن عمرو .
س ـ ومن بني الحارث بن فهر ستة رجال ، وهم :
١ ـ عامر بن عبدالله بن الجراح المشهور (بأبي عبيدة ابن الجراح .
٢ ـ عمرو بن الحارث بن زهير .
٣ ـ سهيل بن وهب بن ربيعة .
٤ ـ صفوان بن وهب بن ربيعة .
٥ ـ عمرو بن ابي سرح بن ربيعة .
٦ ـ عياض بن زهير .

فهؤلاء هم البدريون من المهاجرين رضي الله عنهم وارضاهم ، منهم ثلاثة لم يباشروا القتال فصاروا في عداد البدريين لهم اجرهم عند الله مثلهم واخذوا حصتهم في الغنائم ، وهم (عثمان بن عفان) و (طلحة بن عبيد الله) و (سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل) .

اسماء البدريين من الانصار .

آ ـ من بني عبد الاشهل (بطن من الاوس) خمسة عشر رجلا ، وهم :
١ ـ سعد بن معاذ .

٢ ـ الحارث بن اوس بن معاذ .
٣ ـ الحارث بن انس بن رافع .
٤ ـ سعد بن زيد بن مالك .
٥ ـ سلمة بن سلامة بن وقش .
٦ ـ عباد بن بشر بن وقش .
٧ ـ سلمة بن ثابت بن وقش .
٨ ـ رافع بن يزيد بن كرز .
٩ ـ الحارث بن خزنة بن عدي .
١٠ ـ محمد بن مسلمة . (٢١٨)
١١ ـ سلمة بن اسلم بن حريش (حليف لهم من بني الحارث)
١٢ ـ ابو الهيثم بن التيهان .
١٣ ـ عبيد بن التيهان .
١٤ ـ عمرو بن معاذ بن النعمان .
١٥ ـ عبدالله بن سهل .

ب ـ ومن بني ظفر (بطن من الاوس) رجلان ، وهما :
١ ـ قتادة بن النعمان بن زيد (٢١٩) .
٢ ـ عبيد بن اوس بن مالك .

ج ـ ومن بني عبد بن رزاح (بطن من الاوس) ثلاثة رجال وهم :
١ ـ نصر بن الحارث بن عبد .
٢ ـ معتب بن عبد .
٣ ـ عبدالله بن طارق البلوي (حليف لهم) .

د ـ ومن بني حارثة بن الحارث (بطن من الاوس) ثلاثة

(٢١٨) انظر ترجمته في كتابنا (غزوة احد) .
(٢١٩) انظر ترجمته في كتابنا غزوة احد .

نفر ، وهم :
١ ـ مسعود بن سعد بن عامر .
٢ ـ ابو عنبس بن جبر .
٣ ـ هاني بن نيار البلوي (حليف لهم) .
هـ ـ ومن بني عمرو بن عوف (بطن من الاوس) ستة نفر ، وهم :
١ ـ عاصم بن ثابت بن قيس .
٢ ـ قيس ابو الاقلح بن عصمة .
٣ ـ معتّب بن قشير .
٤ ـ ابو مليل بن الازعر .
٥ ـ عمرو بن معبد الازعر .
٦ ـ سهل بن حنيف . (٢٢٠)
و ـ ومن بني امية بن زيد (بطن من الاوس) تسعة نفر ،وهم:
١ ـ مبشر بن عبد المنذر بن زنبر .
٢ ـ رفاعة بن عبد المنذر بن زنبر .
٣ ـ سعد بن عبيد بن النعمان .
٤ ـ عويم بن ساعدة .
٥ ـ رافع بن عنجدة .
٦ ـ عبيد بن أبي عبيد .
٧ ـ ثعلبة بن حاطب .
٨ ـ الحارث بن حاطب ، رجع من الطريق بأمر رسول الله (ص) فضرب له بسهم وعده من البدريين في الاجر
٩ ـ ابو لبابة .

---

(٢٢٠) انظر ترجمته في كتابنا (غزوة احد) .

ز ــ ومن بني عبيد بن زيد (بطن من الاوس) سبعة نفر ، وهم.

١ ــ انيس بن قتادة بن ربيعة .

٢ ــ معن بن عدي بن الجد البلوي (حليف لهم) .

٣ ــ عبدالله بن سلمة العجلاني (حليف لهم) .

٤ ــ زيد بن اسلم بن ثعلبة العجلاني (حليف لهم) .

٥ ــ ربعي بن رافع بن زيد العجلاني (حليف لهم) .

٦ ــ عاصم بن عدي بن الجد العجلاني (حليف لهم) خرج مع المسلمين الى بدر فرده رسول الله (ص) وضرب له بسهم مع اصحاب بدر ، فعد في البدريين .

٧ ــ ثابت بن اقوم بن ثعلبة العجلاني (حليف لهم) .

ح ــ ومن بني ثعلبة بن عمر بن عوف (بطن من الاوس) ، سبعة نفر ، وهم :

١ ــ عبدالله بن جبير بن النعمان .

٢ ــ عاصم بن قيس بن ثابت .

٣ ــ أبو ضياح بن ثابت بن النعمان .

٤ ــ ابو حنة (ويقال) أبو حبة بن ثابت بن النعمان .

٥ ــ سالم بن عمير بن ثابت .

٦ ــ الحارث بن النعمان بن أمية .

٧ ــ خوات بن جبير بن النعمان .

ط ــ ومن بني جحجي بن كلفة بن عوف (بطن من الاوس) رجلان ، وهما :

١ ــ منذر بن محمد بن عقبة .

٢ ــ ابو عقيل بن عبدالله بن ثعلبة ، من بني انيف (حليف لهم) .

ي ــ ومن بني غنم بن السلم (بطن من الاوس) خمسة

نفر ، وهم :
١ ـ سعد بن خيثمة .
٢ ـ منذر بن قدامة بن عرفجة .
٣ ـ مالك بن قدامة بن عرفجة .
٤ ـ الحارث بن عرفجة .
٥ ـ تميم (مولى لهم) .

ك ـ ومن بني معاوية بن مالك بن عوف (بطن من الاوس) ثلاثة نفر ، وهم :
١ ـ جبر بن عتيك بن الحارث .
٢ ـ مالك بن نميلة (حليف لهم من مرينة) .
٣ ـ النعمان بن عصر (حليف لهم) من قبيلة يلي (بفتح اوله وكسر ثانيه) .

فهؤلاء هم البدريون من الانصار من قبيلة الاوس خاصة ، رضي الله عنهم وارضاهم ، وهم واحد وستون محاربا .

اسماء البدريين من الخزرج :

آ ـ من بني امرىء القيس بن مالك ، اربعة نفر ، وهم :
١ ـ خارجة بن زيد .
٢ ـ سعد بن الربيع .
٣ ـ عبدالله بن رواحة .
٤ ـ خلاد بن سويد بن ثعلبة .

ب ـ ومن بني زيد بن مالك رجلان ، وهما :
١ ـ بشير بن سعد بن ثعلبة .

٢ ـ سماك بن سعد بن ثعلبة .

ج ـ ومن بني عدي بن كعب بن الخزرج ثلاثة نفر ، وهم :

١ ـ سبيع بن قيس بن عيشة .

٢ ـ عباد بن قيس بن عيشة .

٣ ـ عبدالله بن عبس .

د ـ ومن بني أحمر بن حارثة بن ثعلبة رجل واحد ، وهو :

١ ـ يزيد بن الحارث بن قيس .

هـ ـ ومن بني جشم بن الحارث بن الخزرج اربعة نفر ، وهم.

١ ـ خبيب بن أساف بن عتبة .

٢ ـ عبدالله بن زيد بن ثعلبة .

٣ ـ حريث بن زيد بن ثعلبة .

٤ ـ سفيان بن بشر .

و ـ ومن بني جدارة بن عوف بن الحارث اربعة نفر ، وهم .

١ ـ تميم بن يعار بن قيس .

٢ ـ عبدالله بن عمير .

٣ ـ زيد بن المزين بن قيس .

٤ ـ عبدالله بن عرفطة بن عدي .

ز ـ ومن بني الابجر (وهم بنو خدرة) رجل واحد وهو :

١ ـ عبدالله بن ربيع بن قيس .

ح ـ ومن بني عوف بن الخزرج ثم من بني عبيد رجلان ، وهما:

١ ـ عبدالله بن عبدالله بن ابي بن سلول (٢٢١) .

---

(٢٢١) هو عبدالله بن عبدالله بن ابي بن سلول الخزرجي الانصاري ، كان أبوه رأس المنافقين ، أما هو فقد كان من خيرة شباب الاسلام ، كان =

٢ ـ اوس بن خولي بن عبدالله بن الحارث .

ح ـ ومن بني جزء بن عدي بن مالك ستة نفر ، وهم :
١ ـ زيد بن وديعة بن عمرو . حليف لهم من غطفان .
٢ ـ عامر بن سلمة بن عامر . حليف لهم من اهل اليمن .
٣ ـ ابو حميضة ، معبد بن عباد ، ويقال ابن عبادة بن قشير .
٤ ـ عامر بن البكير . حليف لهم .
٥ ـ عقبة بن وهب بن كلدة ، حليف لهم من غطفان .
٦ ـ رفاعة بن عمرو بن زيد ، حليف لهم .

ط ـ ومن بني سالم بن عوف ، رجل واحد ، وهو :
١ ـ نوفل بن عبدالله بن نضلة .

ي ـ ومن بني أصرم بن فهر بن ثعلبة رجلان ، وهما :
١ ـ عبادة بن الصامت .
٢ ـ أوس بن الصامت .

ك ـ ومن بني دعد بن فهر بن ثعلبة ، رجل واحد ، وهو :
١ ـ النعمان بن مالك بن ثعلبة .

ل ـ ومن بني لوذان بن سالم عشرة نفر :
١ ـ ثابت بن هزال .
٢ ـ مالك بن الدخشم بن مرضخة (وهو من بني مرضخة).

= صحابيا جليلا شهد المشاهد كلها مع رسول الله (ص) ، استأذن رسول الله (ص) في قتل ابيه لما ظهر نفاقه فلم يأذن له ، بل قال له احسن صحبته ، قتل عبدالله هذا شهيدا في حرب الردة باليمامة سنة اثنتي عشرة ، وكان فيمن كتب للنبي (ص) .

٣ ـ ربيع بن اياس بن عمرو بن غنم .
٤ ـ ورقة بن اياس .
٥ ـ عمرو بن اياس (حليف لهم) من اهل اليمن .
٦ ـ المجذر بن زياد البلوي حليف لهم .
٧ ـ عبادة بن الخشخاش بن عمرو .
٨ ـ نحاب ، ويقال له ، (بحاث) بن ثعلبة بن حزمة .
٩ ـ عبدالله بن ثعلبة بن حزمة .
١٠ ـ عتبة بن ربيعة بن خالد بن معاوية (حليف لهم) .

م ـ ومن بني ساعدة بن كعب بن الخزرج رجلان ، وهما :
١ ـ ابو دجانة (سماك بن اوس بن خرشة) .
٢ ـ المنذر بن عمرو بن خنيس . ويقال ، المنذر بن عمرو بن خنبش .

ن ـ ومن بني البدي بن عامر بن عوف رجلان ، وهما :
١ ـ ابو أسيد بن ربيعة بن البدي .
٢ ـ مالك بن مسعود بن البدي .

س ـ ومن بني طريف بن الخزرج ستة نفر :
١ ـ عبد ربه بن حق بن اوس .
٢ ـ كعب بن حمار (ويقال بن جماز بن ثعلبة الفبشاني الجهني) ، حليف لهم .
٣ ـ ضمرة بن عمرو (ويقال ابن بشر الجهني) ، حليف لهم .
٤ ـ زياد بن عمرو (ويقال ايضا ابن بشر) الجهني ، حليف لهم .
٥ ـ بسبس بن عمرو الجهني ، حليف لهم .
٦ ـ عبدالله بن عامر البلوي ، حليف لهم .

ع ـ ومن بني جشم بن الخزرج اثنا عشر رجلا ، وهم :

١ ـ خراش بن الصمة بن عمرو ،

٢ ـ الحباب بن المنذر .

٣ ـ عمير بن الحمام .

٤ ـ تميم (مولى خراش بن الصمة) .

٥ ـ عبدالله بن عمرو بن حرام .

٦ ـ معاذ بن عمرو بن الجموح .

٧ ـ خلاد بن عمرو بن الجموح .

٨ ـ عقبة بن عامر بن نابي (٢٢٢) .

٩ ـ حبيب بن أسود (مولى لهم) .

١٠ ـ ثابت بن ثعلبة بن زيد .

١١ ـ معوذ بن عمرو بن الجموح .

١٢ ـ عمير بن الحارث بن ثعلبة .

ف ـ ومن بني عبيد بن عدي بن غنم بن كعب تسعة نفر ، وهم :

١ ـ بشر بن البراء بن معرور بن صخر .

٢ ـ الطفيل بن مالك بن خنساء .

٣ ـ سنان بن صيفي بن خنساء .

٤ ـ عبدالله بن الجد بن قيس بن صخر بن خنساء .

٥ ـ عتبة بن عبد الله بن صخر بن خنساء .

٧ ـ خارجة بن حمّير الاشجعي ، حليف لهم .

٨ ـ عبد الله بن حمير ، حليف لهم .

٩ ـ الطفيل بن النعمان بن خنساء .

ص ـ ومن بني خناس بن سنان بن عبيد سبعة نفر ، وهم

---

(٢٣٢) انظر ترجمته في كتابنا (غزوة ...) .

١ ـ يزيد بن المنذر بن سرح بن خناس .
٢ ـ معقل بن المنذر بن خناس .
٣ ـ عبد الله بن النعمان بن بلدمة .
٤ ـ الضحاك بن حارثة بن زيد .
٥ ـ سواد بن زريق بن ثعلبة .
٦ ـ معبد بن قيس بن صخر بن حرام .
٧ ـ عبد الله بن قيس بن صخر بن حرام .

ـ ومن بني النعمان بن عبيد اربعة نفر ، وهم :
١ ـ عبد الله بن عبد مناف بن النعمان .
٢ ـ جابر بن عبد الله بن رئاب بن النعمان .
٣ ـ خليدة بن قيس بن النعمان .
٤ ـ النعمان بن سنان (مولى لهم) .

ب ـ ومن بني سواد بن غنم بن كعب بن سلمة اربعة نفر ، وهم :
١ ـ يزيد بن حديدة .
٢ ـ سليم بن عمرو بن حديدة .
٣ ـ قطبة بن عمرو بن حديدة .
٤ ـ عنترة (مولى سليم بن عمرو) .

ج ـ ومن بني عدي بن نابي بن عمرو بن سواد بن غنم ستة نفر ، وهـم :
١ ـ عبس بن عامر بن عدي .
٢ ـ ثعلبة بن غنمة بن عدي .
٤ ـ سهل بن قيس بن ابي كعب .
٥ ـ عمرو بن طلق بن زيد بن امية .
٦ ـ معاذ بن جبل بن عمرو بن اوس .

د ـ ومن بني زريق بن عامر بن زريق سبعة نفر ، وهم :

١ ـ قيس بن محصن بن خالد .
٢ ـ ابو خالد (الحارث بن قيس بن خالد) .
٣ ـ جبير بن اياس بن خالد .
٤ ـ ابو عبادة (سعد بن عثمان بن خلدة) .
٥ ـ ذكوان بن عبد قيس بن خلدة .
٦ ـ عقبة بن عثمان بن خلدة .
٧ ـ مسعود بن خلدة بن عامر .

هـ ـ ومن بني خالد بن عامر بن زريق رجل واحد ، وهو :

١ ـ عباد بن قيس بن عامر بن خالد .

و ـ ومن بني خلدة بن عامر بن زريق خمسة نفر :

١ ـ اسعد بن يزيد بن الفاكهة .
٢ ـ الفاكهة بن بشر بن الفاكهة .
٣ ـ معاذ بن ماعص بن قيس .
٤ ـ عائذ بن ماعص بن قيس .
٥ ـ مسعود بن سعد بن قيس .

ز ـ ومن بني العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق ستة نفر ، وهم :

١ ـ رفاعة بن رافع بن العجلان .
٢ ـ خلاد بن رافع بن مالك .
٣ ـ عبيد بن زيد بن عامر .
٤ ـ عبيد بن مالك بن عمرو .
٥ ـ مليل بن وبرة بن خالد .
٦ ـ عصمة بن الحصين بن وبرة .

ح ـ ومن بني بياضة بن عامر بن زريق ستة نفر ، وهم :

١ ـ زياد بن لبيد بن عامر .

٢ ـ فروة بن عمرو بن وذفة .

٣ ـ خالد بن قيس بن مالك .

٤ ـ رجيلة بن ثعلبة بن خالد .

٥ ـ عطية بن نويرة بن عامر .

٦ ـ خليفة بن عدي بن عمرو . ويقال عليفة .

ط ـ ومن بني حبيب بن عبد حارثة رجلان ، وهما :

١ ـ رافع بن المعلى بن لوذان .

٢ ـ هلال بن المعلى بن لوذان .

ي ـ ومن بني النجار (وهو تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج) ثلاثة وخمسون رجلا وهم :

١ ـ خالد بن زيد بن كليب .

٢ ـ ثابت بن خالد بن النعمان .

٣ ـ عمارة بن حزم بن زيد .

٤ ـ سراقة بن كعب بن عبد العزى .

٥ ـ حارثة بن النعمان بن زيد

٦ ـ سليم بن قيس بن فهد .

٧ ـ سهيل بن رافع بن ابي عمرو .

٨ ـ عدي بن الزغباء (حليف لهم) من جهينة .

٩ ـ مسعود بن أوس بن زيد .

١٠ ـ ابو خزيمة ابن اوس بن زيد .

١١ ـ رافع بن الحارث بن سواد .

١٢ ـ عوف بن الحارث بن رفاعة .

١٣ ـ معوذ بن الحارث بن رفاعة .

١٤ ــ معاذ بن الحارث بن رفاعة ، (وهؤلاء الثلاثــة هم بنو عفراء)
١٥ ــ النعمان بن عمرو بن رفاعة ، ويقال (نعيمان) .
١٦ ــ عامر بن مخلد بن الحارث .
١٧ ــ عبدالله بن قيس بن خالد .
١٨ ــ عصيمة (حليف لهم من اشجع) .
١٩ ــ وديعة بن عمرو (حليف لهم من جهينة) .
٢٠ ــ ثابت بن عمرو بن زيد .
٢١ ــ ثعلبة بن عمرو بن محصن .
٢٢ ــ سهل بن عتيك بن عمرو .
٢٣ ــ الحارث بن الصمة بن عمرو (٢٢٣) . ويقول ابــن اسحاق انه اصابه كسر وهو بالروحــاء فضرب لــه النبي (ص) بسهمه فصار بدريا .
٢٤ ــ ابي بن كعب بن قيس (٢٢٤)
٢٥ ــ انس بن معاذ بن انس .
٢٦ ــ اوس بن ثابت بن المنذر .
٢٧ ــ ابو شيخ (ابي بن ثابت بن المنــذر اخو حسان بن ثابــت) .
٢٨ ــ ابو طلحة (زيد بن سهل بن الاسود) (٢٢٥) .
٢٩ ــ حارثة بن سراقة بن الحارث .

---

(٢٢٣) كان الحارث بن الصمة من الابطال الذين ثبتوا مــع الرسول يوم احد ، انظر ترجمته في كتابنا (غزوة احد) .

(٢٢٤) انظر ترجمته في كتابنا (غزوة احد) .

(٢٢٥) ابو طلحة هذا من الابطال المشهورين ، في كتابنا (غزوة احد) .

٣٠ ــ عمرو بن ثعلبة بن وهب .
٣١ ــ سليط بن قيس بن عمرو بن عتيك .
٣٢ ــ ابو زيد قيس بن سكن .
٣٣ ــ ابو خارجة عمرو بن قيس بن مالك .
٣٤ ــ ثابت بن خنساء بن عمرو .
٣٥ ــ عامر بن امية بن زيد .
٣٦ ــ محرز بن عامر بن مالك .
٣٧ ــ سواد بن غزية بن اهيب البلوي (حليف لهم) .
٣٨ ــ الحارث بن ظالم بن عبس (ابو الاعور) ، ويقال ابو الاعور بن الحارث بن ظالم .
٣٩ ــ سليم بن ملحان بن خالد بن زيد .
٤٠ ــ حرام بن ملحان بن خالد .
٤١ ــ قيس بن ابي صعصعة .
٤٢ ــ عبدالله بن كعب بن عمرو بن عوف .
٤٣ ــ عصيمة (حليف لهم من بني اسد بن خزيمة) .
٤٤ ــ عمير بن عامر بن مالك .
٤٥ ــ سراقة بن عمرو بن عطية .
٤٦ ــ قيس بن مخلد بن ثعلبة .
٤٧ ــ النعمان بن عبد عمرو بن مسعود .
٤٨ ــ الضحاك بن عبد عمرو بن مسعود .
٤٩ ــ سليم بن الحارث بن ثعلبة .
٥٠ ــ جابر بن سهيل بن عبد الاشهل .
٥١ ــ سعد بن سهيل بن عبد الاشهل .
٥٢ ــ كعب بن زيد بن قيس .
٥٣ ــ بجير بن ابي بجير (حليف لهم من غطفان) .

حديث القرآن عن المعركة

وقد تحدث القرآن الكريم عن معركة بدر ، فتناول أهم الاحداث التي جرت فيها ، فقد أنزل الله تعالى فيها سورة (الانفال) بأكملها وهي خمس وسبعون آية .

قال ابن اسحاق .. فلما انقضى امر بدر انزل الله عز وجل فيه من القرآن (الانفال) بأسرها .

واول ما تحدث عنه القرآن الكريم اختلاف عسكر بدر من المسلمين حول الغنائم والاسلاب ، فقال تعالى : « يسألونك عن الانفال ، قل الانفال لله والرسول ، فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين » .

وقد كانت هذه الآية الكريمة بمثابة قرار حاسم لحل الخلاف بين العسكر حول الغنائم ، اذ جعل الله امرها عائدا الى النبي (ص) وعلى المسلمين ان يطيعوا امره .

وقد قسم النبي (ص) الغنائم بين الجيش على السواء.

فكان عبادة بن الصامت يقول ــ اذا سئل عن سورة الانفال ــ فينا معشر أهل بدر نزلت حين اختلفنا في النفل يوم بدر ، فانتزعه الله من أيدينا حين ساءت فيه اخلاقنا ، فرده على رسول الله (ص) ، قسمه بيننا عن بواء ــ يقول .. على السواء ــ ، وكان في ذلك تقوى الله وطاعة رسوله (ص) وصلاح ذات البين .

كذلك اشار القرآن الكريم الى خروج النبي (ص) من

المدينة لملاقاة عير قريش ، وحرص المسلمين على الاستيلاء على القافلة ، وكراهة البعض منهم ملاقاة قريش ، فقال تعالى :

« كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون ، يجادلونك في الحق بعدما تبين كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون ، واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودّون ان غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله ان يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ، ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون » .

وقد ذكر القرآن ايضا دعاء قريش واستفتاح أبي جهل قبل المعركة والذي قال فيه (كما تقدم) .. اللهم اقطعنا للرحم وآتانا بما لا نعرف ، فاحنه الغداة (اي اجعل حينه غدا) .. فقال تعالى :

« ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح ، وان تنتهوا (أي بعدما اصابكم في بدر) فهو خير لكم ، وان تعودوا نعد (أي نوقع بكم مثلما اوقعنا بكم في بدر) ولن تغني عنكم فئتكم شيئا ولو كثرت وان الله مع المؤمنين » .

كذلك تحدث القرآن عن اللقاء العجيب الذي كان غير متوقع (بالنسبة للمسلمين) بين الفريقين في بدر ، اذ ان المسلمين لم يخرجوا للحرب وانما خرجوا للاستيلاء على العير ، فوجدوا انفسهم امام جيش العدو الذي ما كانوا على ميعاد معه ، فقال تعالى :

« اذ انتم بالعدوة الدنيا ، وهم بالعدوة القصوى والركب (أي العير التي نجت) اسفل منكم ، ولو تواعدتم

لاختلفتم في الميعاد ولكن ليقضي الله امرا كان مفعولا ، ليهلك من هلك عن بيّنة ، ويحيى من حيّ عن بينة وان الله لسميع عليم » .

كما تحدث القرآن الكريم عن حالة الوجل والخوف التي خاف فيها النبي (ص) على جيشه الصغير من الفناء في هذه المعركة ، فاستغاث ربه ، كما تحدث القرآن عن الملائكة الذين شهدوا المعركة لتقوية روح المسلمين المعنوية وتثبيتهم، فقال تعالى :

« اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بالف من الملائكة مردفين ، وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن به قلوبكم وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم » .

كذلك اشار القرآن الى الطمأنينة التي جهز الله بها الجيش الاسلامي قبل المعركة ، والثبات الذي مدهم به فلقوا عدوهم بقلوب ثابتة ، لم يجد الخوف سبيلا اليها ، فقال تعالى :

« اذ يغشيكم النعاس امنة منه ، وينزّل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام » .

كذلك تحدث القرآن عن خفقة النعاس التي اصابت النبي (ص) وهو في العريش (والمعركة قائمة) والتي راى فيها (اي الخفقة) البشارة بالنصر ، فبشّر ابا بكر بذلك (كما تقدم) فقال تعالى :

« واذ يريكهم الله في منامك قليلا ، ولو اراكهم كثيرا

لفشلتم ولتنازعتم في الامر ولكن الله سلم انـه عليـم بذات الصدور » .

كذلك اشار القرآن الى رمي النبـي (ص) المشركين بالحصباء عند اصدار اوامره بالهجوم عليهم ، فقال تعالى : « وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى ، وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا ان الله سميع عليم . ذلكم وان الله موهن كيد الكافرين » .

قال ابن اسحاق (يصف امر الرسول بالهجوم علـى المشركين بعد رميهم بالحصباء) قال :

(ثم ان رسول الله اخذ حفنة من الحصباء فاستقبل قريشا بها ، ثم قال .. شاهت الوجوه ، ثم نفحهم بها ، وامر اصحابه فقال .. شدوا ، فكانت الهزيمة) .

وتحدث القرآن ايضا عن حالة صار عليها المسلمـون عند لقاء عدوهم .. حالة لا بد من أن يكون عليهـا كل مـن يتوق الى النصر ، وهي احتقار قوة العـدو وعـدم الخوف منها (وان كانت كثيرة) تحدث القرآن عن امتنان اللـه على العسكر الاسلامي بايجادها عندهم لئلا تهولهم كثرة العدو الغامرة فيتخاذلوا ، فقال تعالى :

« واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا » ..

كذلك تحدث القرآن مذكرا المسلمين بنصرهـم المؤزر الذي احرزوه في معركة بدر الذي كان سببا في تغيير مجرى حياتهم وتدعيم مركزهم السياسي والعسكري والاقتصادي الذي صاروا بعده سادة المنطقة بعد ان كانوا ضعفاء خائفين

لا يأمنون على انفسهم ، فقال تعالى :

« واذكروا ، اذ انتم قليل مستضعفون في الارض تخافون ان يتخطفكم الناس فآواكم وايدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون » .

كما طلب من المسلمين عامة ، وعسكر بدر (خاصة) ان يعطوا الطاعة الكاملة دائما لله ولرسوله ، وان لا يختلفوا فيما بينهم ، فيصيبهم الفشل الذي هو (دائما) من لوازم الخلاف ، كما طلب منهم الابتعاد دائما عن الغرور والرياء والكبر الذي كان سببا في نكبة جيش مكة الذي قاده غزور وبطر أبي جهل الى هزيمة نكراء لم تشهد مكة مثلها في تاريخها فقال تعالى :

« وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين ، ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط ، واذ زين لهم الشيطان اعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم ، فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله والله شديد العقاب » .

الفرار من الزحف

كما ان القرآن (ايضا) في هذه السورة حذر المؤمنين من الفرار ساعة اللقاء ، وبيّن لهم في شدة بأن الهرب ساعة الالتحام بالعدو جريمة وخيانة كبرى جزاء فاعلها جهنم ، فقال تعالى :

« يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير » .

كذلك حث القرآن المسلمين في هذه السورة التي نزلت في جو مشحون بروح الحرب .. حث المسلمين فيها على عدم التهاون في محاربة اعداء الاسلام والتنكيل بهم فقال تعالى :

« فاما تثقفنهم في الحرب فشرّد بهم من خلفهم لعلهم يذّكرون . واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين . وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم ، الله يعلمهم ، وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوفّ اليكم وانتم لا تظلمون » .

غير أن القرآن اذا كان قد حثّ اتباعه في ذلك الظرف الخطير على التزام جانب القوة وخوض المعارك لضرب المعتدين الذين يتربصون بالاسلام الدوائر ، فان دعوته الاساسية للسلم الذي لم يشرع الحرب الا لتحقيقه ؛ هذه الدعوة ظل القرآن يدعو لتحقيقها كمطلب اساسي لدعوته فقال تعالى :

« وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم » .

كذلك لم يُغفل القرآن في هذه السورة الثناء على المهاجرين والانصار الذين بسيوفهم (بعد تأييد الله) حققوا

للاسلام اعظم نصر دخل المسلمون عن طريقه التاريخ من بابه الواسع فقال تعالى :

« والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا (أي الانصار) اولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم »

كما ان القرآن الكريم عاتب النبي (ص) في هذه السورة على تصرفه في أسرى بدر ، حينما اطلق سراحهم مقابل مبلغ من المال يدفعونه للمسلمين ، حيث كان من الاولى قتلهم لتحطيم معنويات المشركين وكسر شوكتهم الحربية واعزاز جانب الاسلام ، لا سيما في ذلك الجو الذي كانت فيه قريش تتحفز لابادة المسلمين وتحشد الحشود لخضد شوكتهم ، فقال تعالى (معاتبا نبيه ـ ص ـ) :

« ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الارض، تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم . لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم » .

الفصل السادس

* عودة الجيش الى المدينة .
* الخلاف حول الغنائم والاسرى .
* كيف تلقت المدينة انباء النصر .
* وقع الهزيمة في مكة .
* الموقف العام في المدينة بعد النصر .
* محاولة اغتيال النبي (ص) .
* اثر الانتصار على سكان الجزيرة .
* نظرة وتحليل ، ورجاء وخاتمة .

الخلاف حول الغنائم

وقد اقام النبي (ص) مع جيشه ببدر ثلاثة ايام ، وقبل رحيله من مكان المعركة حدث خلاف بين الجيش حول الغنائم .

فقال الذين ظلوا يطاردون العدو بعد الهزيمة ، نحن شغلنا العدو عنكم حتى اصبتم الغنائم ، وقال حرس القيادة ما انتم بأحق به منا ، لقد رأينا ان نأخذ المتاع حين لم يكن دونه من يمنعه ، ولكنا خفنا على رسول الله كرّة العدو فقمنا

دونه ، وقال الذين جمعوا الغنائم هي لنا ، لأننا نحن الذين استولينا عليها .

ولما اشتد الخلاف امر الرسول (ص) بأن يرد الجميع ما بأيديهم لينظر في الامر فيما بعد ، ثم لم يمض وقت طويل حتى نزل حل مشكلة الغنائم من السماء ، فقسمها الرسول (ص) بين المحاربين على السواء ، وذلك بعد أن أنزل الله عليه سورة الانفال التي أفتتحت بقوله تعالى (يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول ، فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين) وقد تم تقسيم الغنائم في أثناء الطريق بمكان قريب من مضيق وادي الصفراء ، بين المضيق وبين النازية (٢٢٦) والنبي عائد من بدر الى المدينة .

عودة الجيش الى المدينة

وبعد أن اقام ببدر ثلاثة ايام اصدر (ص) اوامره الى جيشه الظافر بالتحرك نحو المدينة (٢٢٧) ، ومن مكان المعركة بعث برسولين ليسبقاه الى المدينة ليبشرا اهلها بالنصر ، احدهما من المهاجرين وهو زيد بن حارثة، والآخر من الانصار وهو عبدالله بن رواحة .

---

(٢٢٦) كان رجوع النبي بجيشه من بدر يوم الاربعاء في الثالث والعشرين من رمضان .

(٢٢٧) سمط النجوم العوالي ج ٢ ص ٣٨ .. والصفراء ــ بالتانيث ــ وادي الصفراء، بينهوبين بدر ــ منناحية المدينة ــ مرحلة واحدة..والنازية ــ بالزال وتخفيف الياء ــ عين بالقرب من الصفراء .

قتل النضر بن الحارث

وعندما وصل الرسول (ص) الى الصفراء امر بقتل **النضر** بن الحارث بن كلدة ، وهو حامل لواء المشركين يوم بدر ومن أكبر مجرمي تلك الحرب ومن أشد الناس كيدا للاسلام قتله علي بن ابي طالب (رض) .

والنضر هذا ، هو الذي قالت ابنته قتيلة فيه تلك الابيات المشهورة التي تعد من اروع الشعر المؤثر :

يا راكبا ان الاثيل مظنة
من صبح خامسة وأنت موفق
أبلغ بها ميتا بأن تحية
ما ان تزال به النجائب تخفق
مني اليك وعبرة مسفوحة
جادت بواكفها واخرى تخنق
هل يسمعني النضر ان ناديته
أم كيف يسمع ميت لا ينطق

***

أمحمد يا خير ضنء كريمة
في قومها والفحل فحل معرق
ما كان ضرك لو مننت وربما
منّ الفتى وهو المغيظ المحنق
او كنت قابل فدية فلينفقن
بأعز ما يغلو به ما ينفق

فالنضر اقرب من اسرت قرابة
واحقهم ان كان عتق يعتق
ظلت سيوف بني ابيه تنوشه
لله ارحام هناك تشقق
صبرا يقاد الى المنية متعبا
رسف القيود وهو عان موثق

ويقول بعض الرواة ان النبي (ص) لما بلغه هذا الشعر الجزل تأثر ، وقال ، لو بلغني هذا قبل قتله لمننت عليه ، وتفيد رواية ابن هشام عدم صحة هذه الرواية ، وهو المعقول لأن الرسول لم يأمر بقتله الا وهو مستحق ، فلا تكون أبيات من الشعر مغيرة لحكم مشروع .

قتل عقبة بن ابي معيط

ولما وصل (ص) الى عرق الظبية امر بقتل عقبة بن أبي معيط ، وهو من بني أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، قتله عاصم بن ثابت بن أبي الافلح (٢٢٨) .

---

(٢٢٨) هو عاصم بن ثابت بن الافلح الانصاري ، كان من السابقين الاولين ، وكان محاربا فذا ، روي ان النبي ـ ليلة بدر ـ سأل من معه، كيف تقاتلون ، فاخذ عاصم بن ثابت القوس والنبل ، وقال، اذا كان القوم قريبا من مئتي ذراع كان الرمي ، واذا دنوا حتى تنالهم الرماح كانت المداعسة حتى تقصف فاذا تقصفت وضعناها واخذنا السيوف ، وكانت المجالدة ، فقال النبي (ص) هكذا نزلت الحرب من قاتل فليقاتل كما يقاتل عاصم ، قتل عاصم غدرا في يوم الرجيع في ارض هذيل بالحجاز وذلك في السنة الثالثة من الهجرة ، والقصة مفصلة في سيرة ابن هشام .

ويقول بعض الرواة ان النبي (ص) لما أمر بقتل عقبة قال .. أتقتلني يا محمد من بين قريش ؟ قال نعم ، ثم. قال الرسول لاصحابه أتدرون ما صنع هذا بي ؟.

جاءني وانا ساجد خلف المقام فوضع رجله على عنقي وغمزها ، فما رفعها حتى ظننت أن عيني ستندران من راسي ، وجاء مرة أخرى بسلا شاة (٢٢٩) فألقاه على رأسي وانا ساجد فجاءت فاطمة (٢٣٠) فغسلته عن راسي .

مجرمو الحرب

والنضر بن الحارث ، وعقبة بن ابي معيط ، هما الاسيران الوحيدان اللذان قتلا صبرا من بين اسرى بدر . وكان هذان الرجلان من أشد عباد الله كفرا وعنادا وبغيا وحسدا وكانا من أكبر دعاة الحرب ومثيريها ضد الاسلام ، والمتربصين بالرسول الدوائر ، وبقاؤهما مصدر خطر كبير على الاسلام، لا سيما في تلك الظروف الحربية التي تجتازها

---

(٢٢٩) السلا ـ بكسر السين ـ ما يعقب الولادة من اوساخ وقاذورات.

(٢٣٠) هي فاطمة الزهراء بنت امام المتقين رسول الله (ص) وهي اصغر بنات النبي واحبهن اليه ولدت والكعبة تبنى والنبي (ص) ابن خمس وثلاثين سنة ، تزوجها علي (رض) في اوائل سنة اثنتين من الهجرة ، وذلك بعد مضي اربعة اشهر على تزوج ابيها (ص) من عائشة ، وقد أجمع المؤرخون على ان نسل رسول الله (ص) قد انقطع الا من فاطمة ، قالت عائشة ما رايت احدا افضل من فاطمة بعد ابيها ، وروى عكرمة عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « افضل نساء العالمين أربع : مريم ، وآسيا ، وخديجة ، وفاطمة ، توفيت فاطمة (رض) يوم الثلاثاء لثلاث خلون من شهر رمضان سنة احدى عشرة من الهجرة .

دعوة محمد (ص) فهما اذن من مجرمي الحرب الذين لو أطلق سراحهم لما تورعوا عن سلوك اي طريق فيه تدمير لمحمد واصحابه ونسف لدعوتهم، ولا أدل على ذلك مما كانا يرتكبانه من اهانات وتنكيل في حق محمد وهو أعزل آمن في مكة .

فقتلهما (اذن) ضرورة تحتمها مصلحة دعوة الاسلام الفتية ، لا سيما وانهما من اكبر مجرمي الحرب المسؤولين عن اشعال نيران معركة بدر التي خاضتها قريش بغيا وعدوانا، وما كانت لتخوضها لولا عناد امثال هذين الزعيمين المجرمين اللذين وامثالهما ساقا مكة الى الحرب قسرا بدافع الحقد على الاسلام . واذا كان الرسول قد قتل هذين الاسيرين العريقين في الاجرام فقط ، وقبل الفداء عن غيرهما من الاسرى ومنّ على البعض الآخر ، فان القرآن قد نزل بالعتاب على اطلاق سراح الاسرى الذي تم اما بالمن واما بالفداء ، فقد كان القرآن يحبذ الاثخان في هؤلاء الاسرى ويفضل القتل على قبول الفداء ..

وقد جاء هذا العتاب صريحا في قوله تعالى (ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة ، والله عزيز حكيم ، لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم (٢٣١) .

ان الوقوع في الاسر لا يعني صدور عفو عام عن الجرائم التي اقترفها الاسرى ايام حريتهم ، وهؤلاء الطغمة من كبراء مكة لهم ماض شنيع في ايذاء الله ورسوله ، وقد

---

(٢٣١) الانفال ٢٧ و٢٨ .

ابطرتهم منازلهم فساقوا عامة مكة الى حرب ما كان لها من داع فكيف يتركون بعد ان استمكنت الايدي من خناقهم ؟ (٢٣٢)

لقد كانت غزوة بدر هي المعركة الاولى بين المسلمين والمشركين ، وكان المسلمون قلة والمشركون كثرة، وكان نقص عدد المحاربين من المشركين بالقتل او بالاسر كسبا ضخما في هذه الحالة لا يعدله مال .

وكان هنالك معنىآخر يراد تقريره في النفوس وتثبيته في العقول ، ذلك هو المعنى الكبير الذي اشار اليه عمر (رض) في صرامة ونصاعة (وحتى يعلم الله ان ليس في قلوبنا هوادة للمشركين) لهذين السببين الكبيرين نحسب ان الله كره للمسلمين ان يفادوا اسارى بدر (٢٣٣) .

فقتل الاسيرين اذن ــ النضر بن الحارث وعقبة بن ابي معيط ــ انما هو تنفيذ لما كان يريد القرآن تنفيذه وامر تتطلبه ظروف المسلمين الحربية التي اجبروا فيها علىخوض المعارك، التي اثارها هؤلاء البغاة وأشعلوا اوارها بالقرب من ديار المسلمين .

وفود التهنئة

ولما وصل النبي الى الروحاء (٢٣٤) لقيه رؤوس

---

(٢٣٢) فقه السيرة ص ١٨٢ .

(٢٣٣) في ظلال القرآن ج ١٠ ص ٢٥ .

(٢٣٤) الروحاء موضع بين الحرمين على ثلاثين او اربعين ميلا من المدينة .

المسلمين من اهل المدينة يهنئونه بما فتح الله عليه ، فقال لهم سلمة بن سلامة، ما الذي تهنئوننا به ؟ فوالله ان لقينا الا عجائز صلعا كالبدن (٢٣٥) فتبسم الرسول (ع) ثم قال ، يا ابن اخي اولئك الملأ (٢٣٦) .

وقال أسيد بن الحضير ، (وكان فيمن قدم الى الروحاء للتهنئة) يا رسول الله الحمد لله الذي اظفرك واقر عينك ، والله يا رسول الله ما كان تخلفي عن بدر وأنا اظن انك تلقى عدوا ، ولكن ظننت انها عير ، ولو ظننت انه عدو ما تخلفت ، فقال رسول الله : صدقت (٢٣٧) .

كيف تلقت المدينة انباء النصر

عند وقوع معركة بدر كان سكان المدينة يتألفون من عناصر ثلاثة :

المسلمون .. واليهود .. والمنافقون .

وقد كان اليهود والمنافقون يتمنون ، بل ويتوقعون الهزيمة للمسلمين والنصر والغلبة للمشركين في هذه المعركة.

وقد نظم هؤلاء - قبل وصول البشير بنصر المسلمين - حملة من الارجاف وبلبلة الافكار اشاعوا فيها خبر قتل النبي

---

(٢٣٥) جمع بدنة ، والبدنة من الابل والبقر كالاضحية من الغنم تهدى الى مكة ، تطلق على الذكر والانثى .

(٢٣٦) اي الاشراف .

(٢٣٧) البداية والنهاية ج ٣ ص ٣٠٤

وتمزيق جيشه في معركة بدر .

وبينما كان المسلمون يترقبون ــ في تلهف وهم على احر من الجمر ــ انباء المعركة ، وبينما كانت الاشاعة والارجاف بهزيمة المسلمين تملآن ارجاء المدينة، بشكل كادت تذهب له عقول المسلمين خوفا على نبيهم وجيشهم الفتي الصغير .. اذا بصوتي عبدالله بن رواحة وزيد بن حارثة (٢٣٨) يهزان انحاء المدينة تهليلا وتكبيرا معلنين انتصار المسلمين الكامل وهزيمة المشركين الساحقة وقرب قدوم النبي (ص) وجيشه سالمين غانمين .

فعمت البهجة والسرور نفوس المسلمين ، وزالت عنهم جميع الهواجس المزعجة التي انتابتهم نتيجة الاشاعات الكاذبة والارجاف المقصود الذي نظمه اليهود والمنافقون .

وبالرغم من وصول البشير بنصر المسلمين وهزيمة

---

(٢٣٨) هو زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي ، مولى رسول الله (ص) وقصة استرقاقه ان امه زارت قومها وزيد معها فأغارت خيل لبني القين ابن جسر في الجاهلية على بيوت بني معن فاحتملوا زيدا وهو غلام صغير ، فباعوه في سوق عكاظ ، اشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة، فلما تزوجها رسول الله وهبته له ، وكان ابوه حارثة قد حضر الى مكة وطلب من النبي ان يقبل الفداء فيه ويعيده اليه ، فقال ، ادعوه فخيروه ، فان اختاركم فهو لكم بغير فداء ، وان اختارني فوالله ما انا بالذي اختار على من اختارني فداء ، وعند تخيير زيد اختار رسول الله (ص) ، وكان ذلك قبل الهجرة ، عاش زيد في بيت النبوة ، فكان من السابقين الاولين في الاسلام ، ثم صار من القادة البارزين ، كان اول القادة الثلاثة الذين اداروا دفة معركة مؤتة وكان اول هؤلاء القادة استشهادا حيث قتل وهو يقود المعركة ضد الرومان .

المشركين ، فقد حاول اليهود والمنافقون تكذيب انباء الانتصار التي وصل بها البريد النبوي من بدر .

فاستمروا في ارجافهم ، حتى ان احد المنافقين عندما رأى زيد بن حارثة ـ احد المبشرين بالنصر ـ راكبا القصواء ناقة رسول الله(ص) ـ بحضور ابي‌لبابة الانصاري قال : لقد قتل محمد وهذه ناقته نعرفها ، وهذا زيد لا يدري ماذا يقول من الرعب ، وجاء فلا (٢٣٩) وقالت اليهود ما جاء زيد الا فلا .

ولشدة الارجاف وقوة الاشاعة بقي كثير من المسلمين مترددين في تصديق خبر انتصار المسلمين .

قال أسامة بن زيد (٢٤٠) لقد جئت ابي (وهو احد مبعوثي النبي من بدر بخبر النصر) حتى خلوت به فقلت له أحق ما تقول ؟؟ فقال أي والله ، حق ما أقول .

---

(٢٣٩) رجل فل ، وقوم فل ، منهزم ومنهزمون ، يستوي فيه الواحد والجمع .

(٢٤٠) اسامة هذا هو ابن زيد بن حارثة مولى رسول الله (ص) ، ولد اسامة في الاسلام ، وقد أعطاه الرسول (قبل موته بقليل) القيادة على جيش عظيم لغزو اطراف الشام ، تولى أسامة قيادة هذا الجيش، وهو ابن ثماني عشرة سنة ، وكان عمر بن الخطاب ممن انضوى تحت لوائه ، وقد مات الرسول (ص) قبل ان يفصل جيش أسامة من المدينة فبقي مرابطا في ضواحي المدينة حتى بويع ابو بكر بالخلافة ، ثم امر هذا الجيش بان يواصل سيره الى الجهة التي رسمها رسول الله (ص) بقيادة اسامة ، الا ان أبا بكر استأذن أسامة في السماح لابن الخطاب (الذي كان احد جنوده) أن يبقى معه في المدينة ففعل . اعتزل اسامة الفتنة بعد عثمان ووقف على الحياد بين الفريقين حتى توفاه الله في اواخر خلا[illegible]ة (رض) .

قال أسامة فقويت نفسي ورجعت الى ذلك المنافق ، فقلت له ، انت المرجف برسول الله وبالمسلمين ، لنقدمنك الى رسول الله (ص) اذا قدم فليضربن عنقك ، فقال المنافق (متخاذلا) انما هو شيء سمعته من الناس يقولونه .

طلائع الجيش المنتصر

وبالرغم من تأكيد الرسولين (ابن حارثة وابن رواحة) خبر نصر المسلمين وهزيمة المشركين ، فقد ظل اليهود والمنافقون يقاومون ما قرع آذانهم من بشائر الفوز المحقق، واستمروا في مكابرتهم حتى اخرستهم الحقيقة الملموسة المجسدة التي لا تجدي معها اشاعة او ارجاف .

فقد اسقط في ايدي هؤلاء اليهود والمنافقين ، عندما راوا طلائع الجيش المحمدي المنتصر تزدحم بها طرقات المدينة ، وامامها يساق أسرى البغي والعدوان مقرّنين في الاصفاد ، تعلو وجوههم ذلة الهزيمة .

وقد كاد اليهود والمنافقون يتهمون ابصارهم عندما راوا سهيل بن عمرو ، وعمرو بن أبي سفيان والعباس بن عبد المطلب ونوفل بن الحارث ، والوليد بن الوليد وغيرهم من سادات مكة وقادتها ، قد شدت أيديهم الى الوراء يتعثرون في خطاهم بين أفواج أسرى الشرك .

حقا لقد كانت النهاية التي انتهت بها معركة بدر ، حدثا خطيرا اهتزت له الجزيرة العربية من اقصاها الى اقصاها .

الرسول المنتصر يدخل المدينة

وقبل وصول الاسرى مع طلائع الجيش الى المدينة بيوم واحد دخلها صلى الله عليه وسلم يحيط به قادة جيشه وهيئة اركان حربه .

وقد استقبلته المدينة استقبالا رائعا ، اما اليهود والمنافقون فقد اسودت وجوههم واستبد بهم الغل والحقد فأفقدهم رشدهم وأذهب صوابهم .

معاملة الاسرى

اما الاسرى فقد فرقهم النبي على جماعته وأوصى بهم خيرا .

قال ابو عزيز وهو احد الاسرى ، واخو مصعب بن عمير ، حامل لواء المسلمين يوم بدر . قال : كنت في رهط من الانصار حتى اقبلوا من بدر ، فكانوا ، اذا قدّموا غداءهم وعشاءهم ، خصوني بالخبز وأكلوا التمر ، لوصية رسول الله (ص) اياهم بنا ، فما تقع في يد رجل كسرة من الخبز الا نفحني بها ، قال فاستحي فأردها عليه ، فيردها علي ما يمسها .

الاختلاف حول مصير الاسرى

وبعد أن استقر الرسول (ص) بالمدينة عقد مجلسا استشاريا أعلى شهده كبار الصحابة ، لبحث موضوع الاسرى وتقرير مصيرهم ، وقد شهد هذا المجلس ابو بكر

وعمر وعثمان (٢٤١) وعلي وعبدالله بن رواحــة وغيرهم من كبار الصحابة وقادة الجيش المنتصر .

وقد اختلف أعضاء هذا المجلس حول مصير الاسرى . فقد كان فريق يرى ابادة هؤلاء الاسرى جميعهم ، وعلى راس هذا الفريق عمر بن الخطاب الذي قال :

« يا رسول الله .. كــذّبوك واخرجــوك ، قدّمهم واضرب أعناقهم » وشاطر عمر هذا الراي ، القائد عبدالله ابن رواحة الانصاري الذي قال :

يا رسول الله .. انظر واديا من حطب فأدخلهم فيه ثم اضرمه عليهم ناراً ، وكان العباس بن عبد المطلب (وهو احد الاسرى) يستمع ، فقال لابن رواحة قطعتك رحمك .

وكان فريق آخر يرى الرافة بهم والتأني في شأنهم ، وعلى راس هذا الفريق ابو بكر الصديق الذي قال :

يا رسول الله .. قومك واهلك ، استبقهم واستــأن بهم لعل الله أن يتوب عليهم .

---

(٢٤١) هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الاموي القرشي ، غني عن التعريف .. الخليفة الرابع ، وزوج ابنتي رسول الله ، رقية وام كلثوم ، احد العشرة المبشرين بالجنة ، وهو الذي قال فيه الرسول (ص) (لكل نبي رفيق ورفيقي في الجنة عثمان) ، لم يشهد بدرا لانه تخلف لمرض زوجته رقية التي توفيت يوم قدوم البشير الى المدينة بانتصار المسلمين في بدر ، وكتب له النبي (ص) بسهمه واجره كأي محارب في معركة بدر ، تولى الخلافة بعد عمر بن الخطــاب ، قتل بالمدينة ظلما في تلك الفتنة العمياء التي اثارها المجرمون والتي لا يزال المسلمون يخبون في ظلامها حتى اليوم ، وكان قتله (رض) في التاسع عشر من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين هجرية ، قتله المجرمون وهو ابن اثنتين وثمانين سنة .

القرار الاخير

وبعد ان عرف الرسول راي الفريقين شكرهما واثنى على اجتهادهما ، حيث شبه راي الفريق الاول الذي يرى ابادة الاسرى براي نبي الله نوح الذي طلب من الله تدمير قومه بقوله : (رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا) (٢٤٢) .

وشبه الفريق الثاني الذي يرى الرأفة بالاسرى ، بنبي الله عيسى الذي قال في قومه : (ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم (٢٤٣) .

الا ان الرسول اتخذ بشأن هؤلاء الاسرى رايا وسطا بين الرايين ، فقد خيَّر الاسرى بين القتل او الفداء ، حيث قال لهم : انتم اليوم عالة فلا يفلتن منكم احد الا بفداء أو ضرب عنق .

وهكذا انتهت مشكلة الاسرى ، وابلغت المدينة مكة هذا القرار ، وتم على اساسه فيما بعد اطلاق سراح الاسرى جميعا ، اما بواسطة الفداء الذي دفعه الموسرون ، واما بواسطة المن الذي تكرم به (ص) واطلق سراح بعض الاسرى من غير فداء لفقرهم .

كما اتفق مع المثقفين من الاسرى على اطلاق سراحهم مقابل قيامهم بتعليم اطفال المسلمين القراءة والكتابة .

---

(٢٤٢) نوح ٢٥ .
(٢٤٣) المائدة ١١٨ .

آية العتاب بشان الاسرى

غير انه بعد صدور قرار الرسول بشأن الاسرى نـزل وحي من السماء فيه عتاب بشأن هذا القرار .

فقد روى عمر بن الخطـاب (رض) قال ، غدوت الى النبي (ص) وأبي بكر وهمـا يبكيان فقلت ، يا رسول الله اخبرني ، ما الذي يبكيك انت وصاحبك ؟ ، فان وجدت بكاء بكيت وان لم أجد بكاء تباكيت . فقال (ص) للذي عرض علي اصحابك من اخذهم الفداء ، عرض علي عذابكم ادنى من هذه الشجرة ـ لشجرة قريبة ـ ، وانزل الله تعـالى (مـا كان لنبي ان يكون له اسرى حتي يثخن في الارض) الآية .

كيف تلقت مكة نبا هزيمة جيشها

لقد فر من ساحة المعركة يوم بدر مـن مشركي مكـة حوالي ثمانمائة وخمسين مقاتلا ، بعثرتهم الهزيمة الساحقة في وديان تهامة وشعابها . واتجهوا صوب مكة مذعـورين ، لا يدري الواحد منهم كيف يدخلها خجلا ، للذي مُنوا بـه من اندحار على كثرتهم وقلة أعدائهم .

ففي الوقت الذي تلقت فيه المدينة نبأ انتصار المسلمين بالغبطة والسرور والابتهـاج ، كانت مكة في ذهول شديد ، عند تلقي الانباء الاولية عن هزيمتها ، واستعصى على عقول اهلها تصديق تلك الانباء، الى درجة انهم اتهموا الناقل الاول لانباء الهزيمة بالجنون .

فما كان يخطر لهم على بال ، ومـا كانوا يتصورون ان

الف مقاتل يضم خيرة شباب قريش وامهر قادتهـا وأشجع زعمائها سينداح هكذا (وبهـذه الصورة المخزيـة) امـام ثلاثمائة مقاتل من أهل المدينة الذين يفوقهم جيش مكة في كل شيء أضعافا مضاعفة .

اسالوه ان كان يعقل

كان أول من صك أسماع أهل مكة بهزيمـة جندهم ، الحيسمان بن اياس الخزاعي (٢٤٤) ، الذي كان احد الفارين وأول القادمين من ساحة المعركة .

تجمع حوله أهل مكة وأحاطوا به كتلا متراصة يسألونه (في لهفة) عن نتيجـة المعركة ، وقال قائلهم : مـا وراءك يا حيسمان ؟.

فأبلغهم (وهو يلهث من شدة الاعيـاء) خبر الهزيمة الساحقة التي نُزلت بجيشهم ، وبينما كان يعد عليهم بعض اسماء الصرعى من زعماء مكة وقادتها، وقف عليه صفوان بن أمية (٢٤٥) ـ وهو أحد زعماء المشركين الذين لـم يشهدوا

---

(٢٤٤) الحيسمان ـ بفتح الحاء وضم السين ـ ابن اياس بن عبدالله الخزاعي ، كان شريفا في قومه ، أسلم فحسن اسلامه .

(٢٤٥) هو صفوان بن امية بن خلف الجمحي القرشي ، قتل أبوه يوم بدر مشركا ، كان احد الذين قاوموا في الخندمة يوم فتح مكة ، كـان من اشد الناس عداء للاسلام ، وكان احد الذين اهدر الرسول دمهم ولو تعلقوا بأستار الكعبة ، فهرب يوم الفتح ، ثم عفا عنه الرسول (ص) فعاد الى مكة وحضر وقعة حنين مع المسلمين قبل ان يسلم ، ثم اسلم وحسن اسلامه ، كان من كرماء الجاهلية وفصحائها ، شهد معركة اليرموك وكـان قائد احد الكراديس ، مات بالمدينة في اليوم الذي قتل فيه عثمان .

بدرا ـ وبمجرد استماعه الى حديث الحيسمان عن الهزيمة اكد للحاضرين انه مجنون ، وليؤكد ذلك ، قال لهم ، اسألوه عني ان كان يعقل ؟؟ فقالوا له ما فعل صفوان بن أمية ؟

قال ، هو ذاك جالس في الحجر ، وقد رايت اباه واخاه حين قتلا .

فأسقط في أيدي اهل مكة ، وهاج الناس وماج بعضهم في بعض من هول الصدمة ، وزاد الامر تأكيدا أن قدم أبو سفيان بن الحارث (٢٤٦) ، وهو أحد القادة الذين اداروا دفة القتال ضد النبي يوم بدر ، فأيد ما اذاعه الحيسمان عن هزيمة الجيش المكي .

وقع الهزيمة على نفس ابي لهب

قال ابو رافع (٢٤٧) مولى رسول الله (ص) ، قال كنت رجلا ضعيفا أعمل الاقداح ، انحتها في حجرة زمزم ، فوالله اني لجالس اذ اقبل ابو لهب (عم رسول الله ـ ص ـ) وهو يجر رجليه بشر ، حتى جلس على طنب الحجرة ، فكان

---

(٢٤٦) هو ابو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، ابن عم النبي (ص) واخوه من الرضاعة ارضعتهما حليمة السعدية ، كان ممن يؤذي النبي ويهجوه ، وكان شديد الاذى للمسلمين ، أسلم عام الفتح ، وشهد معركة حنين مع النبي (ص) وكان ممن ثبت مع الرسول. مات سنة خمس عشرة من الهجرة وقيل سنة عشرين .

(٢٤٧) كان ابو رافع عبدا لسعيد بن العاص بن أمية ، فاعتق كل من بنيه نصيبه فيه الا خالد بن سعيد فانه وهب نصيبه للنبي (ص) فاعتقه ، فكان ابو رافع يقول انا مولى رسول الله .

ظهره الى ظهري .

فبينما هو جالس ، اذ قال الناس هذا ابو سفيان بن الحارث قد قدم ، فقال له أبو لهب بن عبد المطلب ، هلم الي فعندك ، لعمري ، الخبر .

قال فجلس والناس قيام عليه ، فقال يا ابن أخي ، اخبرني كيف كان أمر الناس ؟.

فقال الحارث ، والله ما هو الا ان لقينا القوم ، فمنحناهم اكتافنا يقتلوننا كيف شاءوا ، ويأسروننا كيف شاءوا ، وايم الله — مع ذلك — ما لمت الناس، لقينا رجال بيض على خيل بلق بين السماء والارض ، والله لا يقوم لها شيء .

قال أبو رافع فرفعت طنب الحجرة بيدي ، ثم قلت ، تلك والله الملائكة ، قال فرفع ابو لهب يده فضرب بها وجهي ضربة شديدة ، فشاورته فاحتملني فضرب بي الارض ، ثم برك علي يضربني، وكنت رجلا ضعيفا، فقامت أم الفضل(٢٤٨) (زوج العباس بن عبد المطلب) الى عمود من عمد الحجرة فضربته به ضربة فعلت في رأسه شجة منكرة ، وقالت استضعفته أن غاب عنه سيده ، فقام موليا ذليلا فوالله ما

---

(٢٤٨) ام الفضل ، اسمها لبابة بنت الحارث الهلالية ، يقال انها اول امرأة اسلمت بعد خديجة ، تزوج النبي شقيقتها ميمونة ، كانت من رواة الحديث ، أخذه عنها كثير من الصحابة ، كانت أم الفضل من شريفات النساء ، ماتت في خلافة عثمان قبل زوجها العباس .

عاش الا سبع ليال حتى رماه الله بالعدسة فقتلته (٢٤٩) .

منع النياحة على قتلى بدر

وبعد ان تأكدت قريش من نتيجة المعركة ، وعرف كل بيت في مكة مصابه فيها أقامت المناحات ، وهي المآتم – وتلك عادة جاهلية أزالها الاسلام – .

ناحت قريش على قتلاها فترة قصيرة من الزمن، بعدها اصدر قادة مكة أمرا بأن لا ينوح أحد على قتيل من قتلى هذه المعركة البتة ، وان يلتزم الناس السكون تجلدا ، ولئلا يشمت محمد واصحابه بهم .

لقد كانت فاجعة مكة في معركة بدر فاجعة مروّعة حقا ، ما منيت بمثلها في تاريخها الطويل اذ لم يكد ينجو بيت فيها من مأتم على ابن أو زوج او أخ أو أب أو قريب .

ولهذا هال زعماء مكة وأزعجهم أن سمعوا جبال هذه المدينة تردد اصوات النائحات الثكالى أينما ذهبوا بشكل تنهار له أقوى الاعصاب ، حيث انقلبت مكة من أقصاها الى

---

(٢٤٩) الكامل لابن الاثير ج ٢ ص ٩٢ ... وقد روى ابن كثير في تاريخه البداية والنهاية ان أبا لهب لما مات تركه ابناه بعد موته ثلاثا ما دفناه حتى انتن ، وكانت قريش تتقي العدسة (مرض معد مشهور عند العرب) كما تتقي الطاعون ، حتى قال لهما رجال من قريش ، ويحكما الا تستحيان ان اباكما قد انتن في بيته لا تدفنانه ؟؟ فقالا انا نخشى عدوة هذه القرحة ، فقال احدهم انطلقا فأنا اعينكما عليه ، فوالله ما غسلوه الا قذفا بالماء عليه بعيدا ما يدنون منه ، ثم احتملوه الى أعلى مكة فأسندوه الى جدار ثم رضموا عليه بالحجارة .

اقصاها الى مناحة مفزعة رهيبة .

فسارع هؤلاء الزعماء الى اصدار حظر كامل منعوا بموجبه البكاء على قتلى بدر ، لئلا يشمت بهم المسلمون .

ولقد بلغ المصاب من الهول الى درجة أن بعض اشراف مكة فقد اكثر من ابن له في هذه المعركة التي اشعلها ابو جهل دونما مبرر الا الخيلاء والغرور .

فقد ، فقد صفوان بن امية في هذه المعركة اباه امية واخاه علي بن امية ، وفقد أبو سفيان بن حرب ابنه حظلة واسر ابنه عمرو ، كما فقد عكرمة بن أبي جهل أباه (واسمه عمرو بن هشام) وعمه العاص بن هشام ، كما فقد خالد بن الوليد أخاه الوليد بن الوليد .

اتبكي ان يضل لها بعير ؟

وكان اشد الناس مصابا في هذه المعركة ، الاسود بن المطلب ، فقد فقد في هذه المعركة ثلاثة من ابنائه دفعة واحدة .

حيث قتل فيها ابنه زمعة (٢٥٠)، وعقيل، والحارث، وكان الاسود هذا شيخا طاعنا في السن وشريفا في قومه .

وكان الحزن يحرق جوفه كلما تذكر مصرع ابنائه

---

(٢٥٠) زمعة بن الاسود بن المطلب هذا كان احد النبلاء الخمسة الذين سعوا لالغاء الحصار الاقتصادي الذي فرضته قريش على النبي وبني هاشم وبني المطلب قبل الهجرة .

الثلاثة ، وكان يود لو يسمح له زعماء مكة باعلان البكاء على اولاده لتخفف عليه وطأة الحزن ، فقد كان لا يذوق للنوم طعما حزنا على ابنائه . وبينما هو على هذا الحال اذ سمع نائحة في الليل ، فطمع ان يكون قد سمح بالنحيب ليبكي وينوح على ابنائه ، وكان الاسود هذا قد ذهب بصره ، فاستدعى غلاما له ، وقال له : انظر هل أحل النحيب ؟ ـ يعني هل رفع حظر البكاء على قتلى بدر؟؟ هل بكت قريش على قتلاها ؟ لعلي أبكي على أبي حكيمة ـ يعني ابنه زمعة ـ وكان من أحب ابنائه اليه ـ فان جوفي قد احترق .

فذهب الغلام يستطلع الخبر ، ثم عاد ليخبر سيده بأن الحظر لا يزال قائما ، وان التي تنوح انما هي امراة تبكي على بعير لها أضلته ، فهاجت أحزان الشيخ المفؤود وسالت دموعه ، فقال بعد ان ادرك بذكائه ان صاحبة الجمل الضائع لم يكن بكاؤها ـ في الحقيقة على جملها ـ وانما جعلت من ضياعه وسيلة تتحيل بها للبكاء على قتيل لها فقدته في معركة بدر ، انشد قصيدته التي مطلعها :

اتبكي ان يضل لها بعير	ويمنعها من النوم السهود
فما تبكي على بكر ولكن	على بدر تقاصرت الجدود

فداء الاسرى

وهكذا عاشت مكة فترة من الزمن في ذهول وحزن ، وبعد أن هدأت عاصفة الحزن في النفوس اخذ مشركو مكة يفكرون في مصير سبعين أسيرا من أبنائهم لا يزالون في معسكر المدينة .

وبينما هم كذلك اذا بنص القرار الذي اتخذه مجلس المدينة الاعلى بشأن الاسرى يصل اليهم ، وكان هذا القرار يقضي بتخييرهم بين قتل الاسرى او دفع الفداء عنهم ، ومقداره اربعة الاف درهم عن كل اسير .

وهنا شرعت مكة في الاتصال بالمدينة واخذ مندوبوها يتوافدون الى المدينة لاطلاق سراح الاسرى ودفع الفداء عنهم .

كيف فدى العباس بن عبد المطلب نفسه

وكان العباس بن عبد المطلب (عم النبي) احد الاسرى، وهو من اغنياء قريش ، فدى نفسه ودفع الفداء عن ابني اخيه عقيل بن أبي طالب ، ونوفل بن الحرث بن عبد المطلب، كما دفع الفداء عن حليفه عتبة بن عمرو بن جحدم (٢٥١) امره بذلك رسول الله (ص) ، فقال ، لا مال لي .

فقال له رسول الله (ص) ، اين المال الذي وضعته عند ام الفضل ، وقلت لها ان أصبت فللفضل كذا ، ولعبيد الله كذا ، قال والذي بعثك بالحق ، ما علم به أحد غيري وغيرها، واني لأعلم انك رسول الله . وفدى نفسه وابني أخويه وحليفه (٢٥٢) .

---

(٢٥١) كان مقدار الفداء الذي دفعه العباس عن نفسه ومن ابني اخويه وحليفه مائة اوقية من الذهب ، وهذا يعني ان مقدار الفداء الذي تقرر دفعه عن كل اسير هو خمس وعشرون اوقية من الذهب .

(٢٥٢) الكامل لابن الاثير ج ٢ ص ٩٢ .

وكان المسلمون ، اثنـاء معركة بدر ، قد استولوا على اربعين اوقية من الذهب اخذوها من العباس بن عبد المطلب عند اسره ، وعندما جاء وقت اطلاق الاسرى بالفداء ، طلب العباس من الرسول ، أن يحسب كمية الذهب التي صودرت منه يوم بدر من الفداء ، فرفض الرسول (ص) طلبه ، وقال لا .. ذلك شيء أعطاناه الله عز وجل (أي انه اصبح غنيمة للمقاتلين المسلمين بعد استيلائهم عليه) . (٢٥٣) .

زينب بنت الرسول وزوجها الاسير

وكان من بين الاسرى ابو العاص بن الربيـع بن عبـد شمس ، زوج زينب بنت الرسول (ص) ، وكانت أمه هالة بنت خـويلد أخت أم المؤمنـين خديجـة (رض) ، فسألت الرسول (ص) ان يزوج أبا العاص ابنته زينب ففعل .

وكان ذلك قبل أن يوحى اليه (ص) حيث كـانت زينب وأبو العاص على شركهمـا ، فلما نزل الوحي آمنت زينب بأبيها ، وبقي أبو العاص على شركه ، ولم يستطع الرسول التفريق بينهما ، لانه كان مغلوبا بمكة قبل الهجرة .

ولما وقع أبو العاص بن الربيـع في الاسر بعثت زوجه زينب (وهي بمكة) في فدائه بقلادة لها كانت خديجة (رض) جهزتها بها يوم زفافها ، فلما رآها الرسول (ص) رق لها رقة شديدة فقال للمسلمين أن رأيتم ان تطلقوا لها أسيرها وتردوا

---

(٢٥٣) وذكر ابن كثير ان المسلمين ابلغوا الرسول (ص) رغبتهـم في اعفاء العباس من الفداء واطلاقه مجـانا ، لقربه من رسول الله ، فرفض (ص) ذلك وكلف العباس بان يدفع الفداء كغيره من الاسرى .

عليها الذي لها فافعلوا ، فأطلقوا سراح زوجها وردّوا اليها قلادتها ، واخذ الرسول على ابي العاص ان يبعث بزينب الى المدينة ففعل ، وفرق الرسول بينهما ، وعندما أسلم ابو العاص فيما بعد رد عليه الرسول زينب بعقد جديد .

انزع ثنيته فلا يقوم عليك خطيبا

وكان من بين الاسرى سهيل بن عمرو بن عبد شمس العامري (٢٥٤) وكان شجاعا وهو احد اشراف مكة ، وخطيب قريش المشهور ، وكان لخطاباته الشهيرة تأثير كبير في محاربة دعوة الاسلام .

لذلك لما جاء وقت دفع الفداء عنه وتقرر اطلاق سراحه، طلب عمر بن الخطاب من الرسول (ص) ان يحدث له عاهة لا يتمكن بعدها من ان يقوم خطيبا ضد النبي (ص) حيث قال يا رسول الله ، انزع ثنيتي (سهيل يدلع لها لسانه) فلا يقوم عليك خطيبا في موضع ابدا . فرفض الرسول (ع) طلب ابن الخطاب (رض) وقال :

لا امثل فيمثل الله بي وان كنت نبيا ، ثم قال النبي لعمر (دعه فعسى ان يقوم مقاما تحمده) ولقد صدق الرسول (ص) فيما اشار اليه من موقف سهيل المحمود ، وهذا من أعلام النبوة .

---

(٢٥٤) سهيل هذا هو الذي (بالنيابة عن قريش) عقد صلح الحديبية مع النبي (ص) وكان من سادات مكة ، أسره يوم بدر مالك بن الدخشم .. أسلم سهيل عام الفتح وحسن اسلامه ، وكان الصوم والصلاة والصدقة ، قتل شهيدا في معركة اليرموك رضي الله .

فعند موت النبي (ص) همّ بعض اهل مكة بالارتداد عن الاسلام ، وبدات الفتنة تظهر قرونها على ايدي المتربصين من ضعاف الايمان .

ولما بلغ سهيلا ذلك ــ وكان سيدا مُطاعا وشجاعا مهابا ــ وقف خطيبا وقال (في حزم وصرامة) : يا اهل مكة ، لا تكونوا آخر الناس اسلاما واولهم ارتدادا ، والله من رابنا امره شيء ضربنا عنقه كائنا من كان .. او كما قال . فكان لموقفه البطولي هذا اكبر الاثر في قتل الفتنة في مهدها .

ان كنتم غضابا فاغضبوا على انفسكم

وكان سهيل بن عمرو هذا من ارجح الناس واصدقهم لهجة .

حضر الناس (مرة) باب عمر بن الخطاب (رض) وفيهم سهيل بن عمرو وابو سفيان بن حرب واولئك الشيوخ من قريش فخرج آذنه يأذن لأهل بدر .. لصهيب الرومي وبلال الحبشي ، واهل بدر ، وكان (عمر) يحبهم ، وكان قد اوصى بهم .

فقال ابو سفيان ، ما رايت كاليوم قط ، انه ليؤذن لهؤلاء العبيد ونحن جلوس لا يلتفت الينا ، فقال سهيل بن عمرو :

ايها القوم اني والله قد ارى الذي في وجوهكم ، فان كنتم غضابا فاغضبوا على انفسكم ، دعي القوم ودعيتم ،

فأسرعوا وأبطأتم ، اما والله لما سبقوكم بـه من الفضل اشد عليكم فوتا من بابكم هذا الذي تنافسون فيه ، ثم قال : أيها القوم ان هؤلاء قد سبقوكم بما ترون ، ولا سبيل لكم والله الى ما سبقوكم اليه ، فانظروا هذا الجهاد فالزموه ، عسى الله عز وجل ان يرزقكم الشهادة ، ثم نفض ثوبه ولحق بالشام ، وخرج بجماعة أهله ــ الا ابنته هند ــ الى الشام مجاهدا حتى ماتوا كلهم هنالك (٢٥٥) .

أثر المعركة على سكان الجزيرة

وهكذا انتهت معركة بدر بهـذا الانتصار الحاسم للمسلمين ، الذي تدهورت لـه سمعة قريش العسكرية والسياسية في بلاد العرب .

لقد دهش العرب قاطبة للنصر الحاسم غير المتوقع الذي ناله المسلمون في هذه المعركة .

وكان اليهود والمنافقون أشد الناس استياء لهذا النصر المبين .

وبالرغم من تباين الوقع الذي تلقت به احزاب الكفر نبأ انتصار المسلمين في هذه المعركة ، فقد كان الاستياء عاما بينهم ، والاجماع منعقدا منهم على الوقوف في وجه المسلمين .

فقد صمم الجميع على ان لا يمكنوا المسلمين مرة اخرى

(٢٥٥) الاستيعاب في اسماء الاصحاب المطبوع مع الاصابة في تمييز الصحابة ج ٢ ص ١١٠ .

من تحقيق اي نصر يزيد من قوتهم ويقوي من شوكتهم .

الا ان هؤلاء الاعداء قد تباينوا في سلوكهم ازاء المسلمين بعد هذا النصر ، اذ ذهب كل فريق يعمل في سبيل الايقاع بالمسلمين وتفريق جمعهم وخضد شوكتهم بالطريقة التي يراها كفيلة ببلوغ غايته .

مكة بعد الهزيمة

ففي مكة انطوى اهلها على انفسهم يندبون قتلاهم ويداوون جراح قلوبهم ، بعد ان مرغت الهزيمة كبرياءهم وجدعت انف غرورهم ، ولكنهم مع هذا لم يستكينوا ، فبعد ان افاقوا من هول الصدمة أخذوا يواصلون الاجتماعات ، ويعقدون المؤتمرات للنظر في الطريقة التي يغسلون بها عار الهزيمة التي انزلها المسلمون بهم ، والتي لم تزدهم الا حقدا على محمد وبغضا للاسلام .

فأعلنوا التعبئة العامة التي كانت نتيجتها معركة أحد الرهيبة ، كما ان الهزيمة قد ضاعفت من نقمتهم على المسلمين الذين يعيشون بينهم في مكة ، فأخذوا يشددون على من يدخل الاسلام من أهل مكة ويضاعفون من اضطهادهم والتنكيل بهم .

فعاش في مكة ـ آن ذاك ـ كل مسلم اما مستخفيا باسلامه ، واما ذليلا مستضعفا ، عرضة للتنكيل والاهانة ، لأن الدولة هناك كانت للمشركين .

الموقف في المدينة بعد المعركة

اما في المدينة فقد كان الامر على العكس تماما ـ من

حيث السيطرة ـ فقد اصبحت سلطة المسلمين ـ بعد معركة بدر ـ هي النافذة ، مما اضطر كثيرا من غير المسلمين الى التظاهر بالاسلام مـع الانطواء على بغض الاسلام واضمار الكيد للمسلمين .

وفي مقدمة هؤلاء راس النفاق عبدالله بن أُبَيّ بن سلول (٢٥٦) الذي نصح اصحابه ـ بعد معركة بدر ـ بأن يعلنوا اسلامهم حين قال مشيرا الى اشتداد شوكة المسلمين ـ بعد معركة بدر ـ هذا امر قد توجه (اي استمر) فلا مطمع في ازالته ، ثم اعلن اسلامه ، وتبعه على ذلك جميع احزاب النفاق فتظاهروا بالاسلام .

ولكنهم مع هذا ظلوا في الباطن يتربصون بالاسلام الدوائر ، وقد لجأ هؤلاء المنافقون (في محاربة النبي وصحبه) الى سلوك سبل الدس والمخاتلة ، فظلوا يرسمون الخطط سرا للايقاع بالنبي ، وينتهزون الفرص لتفكيك وحدة اصحابه واضعاف قوتهم ، كما هو مفصل في قصص المنافقين التي قصها القرآن وروتها امهات التاريخ .

---

(٢٥٦) هو عبدالله بن أبي بن مالك بن الحارث بن عبيد الخزرجي ، ابو الحباب ، المشهور بابن سلول ـ بفتح السين وضم اللام ـ وسلول جدته لابيه ، راس المنافقين في الاسلام من اهل المدينة كان سيد الخزرج في آخر جاهليتهم ، واظهر الاسلام بعد وقعة بدر ، تقية ، ولما تهيأ النبي (ص) لوقعة أحد انخزل ابن أبي وكان معه ثلاثمائة رجـل فعاد بهم الى المدينة ، وفعل ذلك يوم التهيؤ لغزوة تبوك ، وكان كلما حلت بالمسلمين نازلة شمت بهم ، وكلما سمع بسيئة نشرها ، وله في ذلك اخبار ، مات بالمدينة سنة تسع من الهجرة ، وصلى عليه النبي (ص) وكان ابن الخطاب لا يرى ذلك ، فنزلت (ولا تصل على احد منهم ـ الاية) .

اليهود بعد المعركة

على انه اذا كانت هذه الفئة في المدينة وضواحيها من عبدة الاوثان وقلة من اليهود ، قد تظاهرت بالاسلام ، وكفّت عن معالنة النبي بالعداء .

فان فئة اخرى وكلها من اليهود ظلوا على دينهم احرارا ، لم يكرههم الرسول على الدخول في الاسلام ، كما هي شرعة الاسلام (لا اكراه في الدين) .

المعاهدة بين النبي واليهود

كان النبي عندما وصل الى المدينة مهاجرا ، وجد بها يهودا قد اتخذوا منها وطنا ، فعقد معهم كما قلنا معاهدة ، كان من اهم بنودها ان يمتنع كل من الفريقين عن ايصال اي اذى للفريق الآخر وان لا يعين احد منهما عدوا على الفريق الآخر .

لم يحدّث المسلمون انفسهم بنقض عهود اليهود ولا فكروا في طردهم من ارض الجزيرة (بالرغم من ان المسلمين اصبحوا سادة الموقف بعد المعركة) بل على العكس توقع المسلمون منهم أن يكونوا عونا لهم في حرب الوثنية المخرّفة ودعم عقيدة التوحيد ، ورجا المسلمون أن يصدق اليهود محمدا فيما يثبته الله من تنزيه ومجد ، وان تكون صلتهم بالكتب القديمة والفتهم لاحاديث المرسلين سببا في اقناع العرب الاميين بأن الرسالات حق والايمان بها واجب ، وهذه المشاعر الحسنة تتمشى مع القرآن النازل يومئذ يؤسسها ويؤكدها قول القرآن « ويقول الذين كفروا لست مرسلا ،

قل .. كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب » (٢٥٧) .

مخالفة اليهود لنصوص المعاهدة

ولكن هذه الفئة من اليهود وعلى راسها المرابي الكبير ، كعب بن الاشرف النبهاني (٢٥٨) قد خالفت نصوص هذه المعاهدة واعلنت سخطها على النبي ، وجاهرت بعدائها له واظهرت تألمها للهزيمة التي حاقت بالمشركين في بدر .

وأخذ هؤلاء اليهود يحرضون المشركين (وخاصة اهل مكة) على الفتك بالنبي والقضاء على دعوته ، ويقدمون لهم كل مساعدة ممكنة ، ويدلونهم على عورات المسلمين ، ناكثين بذلك كل العهود والمواثيق التي اعطوها لمحمد على انفسهم .

وهكذا افقد النصر الذي احرزه المسلمون اليهود صوابهم ، فاشتد حقدهم على الاسلام ، مما ضاعف نشاطهم ضده وضد حاملي دعوته ، واكتشف المسلمون عدة مؤامرات دبرها اليهود بغية القضاء عليهم وعلى نبيهم .

وظل المسلمون (بالرغم من هذا) ضابطين لاعصابهم حتى تفاقم الامر ، واتسعت شقة الخلاف بين الفريقين ، ولم

---

(٢٥٧) الرعد آية ٤٣ .. عن كتاب فقه السيرة ص ١٨٤ .

(٢٥٨) هو كعب بن الاشرف الطائي من بني نبهان كانت امه من بني النضير . شاعر جاهلي .. دان باليهودية ، وكان سيدا في اخواله ، يقيم في حصن له قريب من المدينة ، ما زالت بقاياه الى اليوم ، قتل سنة ثلاث من الهجرة خارج حصنه .

تنته الحرب الباردة بين الفريقين الا بتلك الاحداث الدامية الخطيرة التي جاءت نتيجة للحماقات المتكررة التي كان اليهود يرتكبونها ضد الاسلام والمسلمين ، والتي كانت ثمارها ابادة فريق منهم ونفي الفريق الآخر من المدينة وتطهيرها من شرور دسائسهم ومؤامراتهم ، كما حدث لبني قريظة وبني قينقاع وبني النضير ، كما سنفصل ذلك في أول حديثنا عن معركة احد وغزوة الاحزاب ان شاء الله .

موقف الاعراب بعد المعركة

اما الاعراب - وخاصة الضاربين حول المدينة - فقد كان وقع انتصار المسلمين شديدا على نفوسهم .

فقد اضطربوا لهذا الانتصار واصابهم الذعر ، وخافوا ان تقوم للاسلام دولة في المدينة تحول بينهم وبين ما الفوه (حسب شريعة الغاب) من السلب والنهب الذي هو مصدر رزقهم وعليه يقوم كيانهم .

وهذا هو المصدر الرئيسي لقلقهم من انتصار المسلمين ، اما مسالة الكفر او الايمان فانها ليست ذات اهمية بالنسبة لهؤلاء الاعراب ، اذا قيست بمسالة حرصهم واصرارهم على اخضاع المنطقة لرماحهم ينهبون ويسلبون في ظلها ، كما هي شرعة الجاهلية في جميع مناطق الاعراب . فباعث قلق الاعراب من انتصار المسلمين في هذه المعركة وانتشار نفوذهم لم يكن باعثا سياسيا او عقائديا . وهذا عكس ما عليه اهل مكة الذين يعتبرون انفسهم حراس الوثنية وسدنة الكعبة ، والزعماء الروحيين لجميع المشركين في

الجزيرة بحكم وجودهم في منطقة الحرم التي يعظمها ويحج اليها جميع الوثنيين على اختلافهم في تعـدد الالهـة التـي يعبدون من دون الله .

كما أن قريشا كانت تعتبـر مـن الناحية السياسية والمدنية والعسكرية في الدرجة الاولى بالنسبة لجميع سكان الجزيرة ، مما اعطاها مركزا ممتازا بين جميع قبائل العرب في كل هـذه الميادين .

ولهذا كان حقد قريش على محمد وبغضهم للاسـلام قائما على بواعث عقائدية وسياسية في الدرجة الاولى ، ومن هنا صاروا اشد سكان الجزيرة حرصا على القضـاء علـى محمد وقتل دعوته .

احاطة الاخطار بالمسلمين

وهكذا وجد النبـي (ص) وصحبـه انفسهم ، بعد انتصارهم في بدر وسط دائرة من الاخطار تحيط بهم من كل جانب .

فهم وان كان انتصارهم في بدر قد عزز مركزهم فـي المدينة اكثر من اي وقت مضى ، حيث اصبحت وما حواليها خاضعة لنفوذهم ، الاّ انهم اصبحوا اكثر من ذي قبل عرضة لشتى الدسائس والمؤامـرات والاستفزازات والتحرشـات العلنية من الوثنيين واليهود ، الذين ادركـوا ـ بعد معركـة بدر ـ أنهم امام قوة خطيرة تهدد نفوذهم وسلطانهم .

مؤامرة لاغتيال النبي

وبينما كان النبي وصحبه يتعرضون في المدينة ومـا

حولها لشتى التحرشات والدسائس والاستفزازات كانت مكة ضدهم تغلي كالمرجل ، تهدد وتتوعد حيث اعلنت التعبئة العامة لغسل عار الهزيمة (بغزو محمد في عقر داره) .

بل لقد بلغ الغيظ والحقد الى أبعد من هذا ، فقد قررت مكة اختصار الطريق للتخلص من النبي (ص) فدبرت مؤامرة لاغتياله في المدينة .

وهذه اول مؤامرة تدبرها مكة لاغتيال النبي بعد معركة بدر .

بطل المؤامرة

وقد اختارت مكة لتنفيذ هذه المؤامرة الخطيرة شيطانا من شياطين قريش ، وفارسا من فرسانها المشهورين بعدائهم الشديد وبغضهم العارم للنبي ودينه .. وهو عمير بن وهب الجمحي ، الذي زاده كرها للنبي وحقدا عليه ان اسر المسلمون ابنه وهبا يوم بدر .

فقد اتفق مع بعض زعماء مكة (وفي مقدمتهم صفوان بن امية الذي قتل أبوه وأخوه يوم بدر) على أن يقوم باغتيال النبي في المدينة .

وقد كان من السهل تنفيذ هذه المؤامرة ، لولا عناية الله .

ذلك ان الوقت الذي حدّد فيه تنفيذ المؤامرة ، كان وقتا ليس من المستنكر فيه وجود أي مشرك مكي في المدينة ، فقد كان المنتدبون من مكة لدفع فداء الاسرى ، واطلاق

سراحهم موجودين بكثرة في المدينة .

لهذا كانت خطة المؤامرة تقضي بأن يذهب عمير بن وهب الى المدينة بحجة دفع الفداء عن ابنه (٢٥٩) والعودة به الى مكــة .

وهناك يقوم باغتيال النبي (ص) بطريقة انتحارية حيث تعهد لصفوان بن أمية بقتل النبي اينما وجده وبين أي قوم لقيه ، وفي مقابل ذلك تعهد له صفوان بن أمية بتسديد مــا عليه من ديون ، ثم اعالة عياله طيلة حياتهم ان هو قتل .

فشل المؤامرة

وفعلا وصل بطل المؤامرة الى المدينة متظاهرا بأنه جاء لدفع الفداء عن ابنه وهب واطلاق سراحه .

وكان أول من ارتاب في أمره وقرأ (بفراسته) نوايــا الشر في وجهه ، عمر بن الخطــاب (رض) ، فقــد كان ابن الخطاب ، واقفا مع نفر من المسلمــين قريبــا من المسجد ، يتحدثون عن يوم بدر وما كتب الله لهم فيه من نصر حاسم .

وبينما هم كذلك ، اذ حانت التفاتة من ابن الخطاب ، رأى فيها عمير بن وهب قد أناخ راحلته علــى باب المسجــد النبوي متوشحا سيفه ، فارتاب في أمره وقال لرفقائه : هذا

---

(٢٥٩) ابنه هذا اسمه وهب ، اسلم فيما بعد ، اشترك في فتح مصر تحت قيادة عمرو بن العاص ، وتولى قيادة حملة بحرية للمساهمة في فتح عمورية ، وذلك سنة ثلاث وعشرين من الهجرة ، مات بالشام مجاهدا .

عدو الله عمير بن وهب ، ما جاء الا لشر ، وهو الذي حرش بيننا وحزرنا للقوم يوم بدر (٢٦٠)

وفور رؤية ابن الخطاب لعمير بن وهب دخل على النبي، وهو في المسجد وقال :

يا رسول الله ، هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشحا سيفه .

فقال النبي (ع) ، ادخلوه علي .

احذروا عليه من هذا الخبيث

فخرج ابن الخطاب من المسجد ليُدخل عمير بن وهب على النبي (كما امر) وقبل ان يدخله طلب من الصحابة الموجودين عند باب المسجد ان يسارعوا بالدخول الى المسجد ليتولوا حراسة رسول الله (ص) ويراقبوا حركات عمير بن وهب عند دخوله على الرسول قائلا :

ادخلوا على رسول الله فاجلسوا عنده ، واحذروا عليه من هذا الخبيث فانه غير مأمون .

ثم قاد ابن الخطاب عمير هذا بحمائل سيفه بعد أن لببه بها في عنقه حتى اوقفه على النبي (ص) ، وبمجرد

---

(٢٦٠) وفعلا كان عمير هذا قائد سلاح الاستكشاف في جيش مكة ايام بدر ، فهو الذي قدر للمشركين جيش مكة بثلاثمائة مقاتل ، يزيدون قليلا او ينقصون قليلا ، وذلك عندما جال بفرسه حول جيش المدينة بالقرب من المكان الذي حدثت فيه المعركة .

وقوفه على النبي طلب صلى الله عليه وسلم من ابن الخطاب ان يطلقه قائلا : ارسله يا عمر .. ثم قال النبي (ص) : ادن يا عمير .

فدنا .. ثم قال : انعم صباحا يا محمد .. وكانت هذه تحية الجاهلية .. فقال الرسول (ص) قد اكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير .. بالسلام تحية اهل الجنة .

كيف اسلم بطل المؤامرة ؟

ثم قال النبي (ص) ما جاء بك يا عمير ؟

قال : جئت لهذا الاسير الذي في ايديكم ، فأحسنوا فيه .

قال : فما بال السيف في عنقك ؟

قال : قبحها الله من سيوف ، وهل اغنت عنا شيئا ؟

قال : اصدقني ، ما الذي جئت له ؟

قال : ما جئت الا لذاك .

قال : بل قعدت انت وصفوان بن امية في الحجر فذكرتما اصحاب القليب من قريش ، ثم قلت ، لولا دينا علي وعيال عندي لخرجت حتى اقتل محمدا ، فتحمل لك صفوان بن امية بدينك وعيالك ، على أن تقتلني له ، والله حائل بينك وبين ذلك .

فقال عمير : اشهد انك رسول الله ، قد كنا يا رسول الله نكذبك بما كنت تاتينا به من خبر السماء وما ينزل عليك من الوحي ، وهذا امر لم يحضره الا انا وصفوان .

والله اني لأعلم ما أتاك به الا الله ، فالحمد لله الذي هداني للاسلام ، وساقني هذا المساق .

فقال الرسول (ع) فقهوا أخاكم في دينه وعلّموه القرآن، واطلقوا أسيره ففعلوا (٢٦١) وهكذا فشلت المؤامرة الخبيثة ، وبدلا من ان يعود بطلها الى مكة مبشرا رؤوس الكفر بقتل النبي (ص) عاد اليهم مسلما ، يتحدى مكة كلها باسلامه ، فقد جاهر أهل مكة بأنه قد اسلم ، وكان شجاعا مهيبا ، ولذلك لم يجرؤ احد من اشراف مكة على التعرض له عندما قام يدعو الى الاسلام علنا في مكة حيث كان من المحظور التظاهر بالاسلام فضلا عن الدعوة اليه ، وخاصة بعد معركة بدر .

قال ابن كثير في تاريخه : ان عمير هذا بعد أن هداه الله للاسلام استأذن الرسول (ص) في العودة الى مكة ليكون داعية الى الاسلام قائلا :

« يا رسول الله اني كنت جاهدا على اطفاء نور الله شديد الاذى لمن كان على دين الله ، وانا احب ان تأذن لي فاقدم مكة فأدعوهم الى الله والى رسوله والى الاسلام لعل الله يهديهم ، والا آذيتهم في دينهم كما كنت أؤذي اصحابك في دينهم » .

فأذن له الرسول (ص) فلحق بمكة ، (وكان صفوان يتوقع وصوله بين آونة واخرى) فكان يسأل عنه الركبان ، حتى قدم راكب (قبل عمير) فأخبر صفوان عن اسلامه ، فغضب غضبا شديدا وحلف ان لا يكلمه ابدا ولا ينفعه نفعا

(٢٦١) البداية والنهاية ج ٣ ص ٣١٤ .

ابـــدا .

قال ابن اسحاق ، فلما قدم عمير مكة اقام بها يدعو الى الاسلام ويؤذي من خالفه اذى شديدا ، فأسلم علـى يديـه ناس كثير .

نظرة وتحليل

وهكذا انتهت معركة بدر ، هـذه النهاية التـي غيرت موازين القوى الروحية والسياسية والعسكرية والاجتماعية في الجزيرة العربية ، وقفزت بسمعة المسلمين العسكرية الى الذروة وجعلتهم سادة الموقف ، وخاصة في منطقة يثرب .

كما تدهورت لهـا (من ناحية اخرى) سمعة قريش العسكرية والسياسية في انحاء الجزيرة .

معركة عفويـة

ومما لا جدال فيه ان معركة بدر هي معركة عفوية غير مقصودة (اصلا) من جانب المسلمين ، وانمـا اجبروا على خوضها دونما سابق استعداد او قصد مبيت .

فهم عندما خرجوا من المدينة ، انما كان قصدهم العير ، وهي قافلة للعدو آتية من الشام الى مكة ، لـم يزد حرسها على اربعين مقاتلا .

وهو أمر لا يستحق من الاستعداد اكثر مما استعد به جيش المدينة عندما غادرها للاستيلاء على القافلـة .

ولقد كان المسلمون ـ وخاصة المهاجرين الذين هاجروا

وكل واحد منهم صفر اليدين بعد ان صادر مشركو مكة كل اموالهم ــ كانوا حريصين كل الحرص على الاستيلاء على هذه القافلة الضخمة التي تتألف من الف بعير محملة بمختلف السلع والارزاق .

وكان الصحابة يومها في ضيق من العيش ، يدل على هذا ان النبي (ص) لما فاتته العير وانتهى الى بدر قال :

اللهم انهم جياع فاشبعهم ، اللهم انهم حفاة فاحملهم ، اللهم انهم عراة فاكسهم (٢٦٢)

فقد كانوا يريدون العير ، ولكن الله اراد غير الذي ارادوا ، حيث وجدوا انفسهم (بدلا من العير وما تحمله من ارزاق واموال يحلمون بالاستيلاء عليها) امام جيش لجب عرمرم ، لا يحمل تجارة ولا ارزاقا ، وانما يحمل الف سيف يجرها الف مقاتل من صفوة شباب مكة وامهر قادتها بحثا عن الموت ، فأجبروا على خوض معركة يفوقهم فيها العدو عددا وعدة اضعافا مضاعفة .

غير ذات الشوكة

وهذا هو الذي عناه الله تعالى بقوله : وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين (٢٦٣) .

---

(٢٦٢) فقه السيرة ص ١٨٠ .
(٢٦٣) الانفال آية ٧ .

لقد اراد المسلمون ان تكون لهم العير التي لا شوكة لها .

ولكن الله أراد ان تكون ملحمة لا غنيمة ، وان تكون موقعة بين الحق والباطل ، ليحق الحق ويثبته ، ويبطل الباطل ويزهقه ، وأراد ان يقطع دابر الكافرين ، فيقتل منهم فريق ويؤسر منهم فريق ، وتذل كبرياؤهم ، وتخضد شوكتهم ، وتدول دولتهم ، تخفق راية الاسلام عالية جهارا نهارا ، عن استحقاق لا مصادفة ، وبالجهد والجهاد ، لا بالمال ولا بالانفال .

نعم اراد الله للفئة المؤمنة أن تصبح امة وان تصبح دولة ، وان يصبح لها سلطان وقوة ، وأراد لها ان تقيس قوتها الحقيقية الى قوة اعدائها ، فترجح ببعض قوتها على قوة اعدائها . وان تعلم ان النصر ليس بالعدد ولا بالعدة ، وليس بالمال والخيل والزاد ، انما هو بمقدار اتصال القلوب بالقوة الكبرى ، التي لا تقف لها في الارض قوة ، وان يكون هذا عن تجربة واقعية ، لا كلاما ولا اعتقادا . .

لتتزود الفئة المؤمنة من هذه التجربة الواقعية لمستقبلها كله ولتوقن انها تملك في كل زمان ، وفي كل مكان ان تغلب خصومها واعداءها مهما تكن هي من القلة ويكن عدوها من الكثرة . ومهما تكن هي من ضعف القوة المادية ويكن عدوها من الاستعداد والعتاد ، وما كان هذا المعنى ليستقر في القلوب كما استقر بالمعركة الفاصلة بين قوة الايمان ، وقوة الطغيان .

وينظر الناظر اليوم وبعد اليوم ليرى الأمداد المتطاولة

بين ما أراده المسلمون لأنفسهم يومذاك ، وما أراده لهم الله ، بين ما حسبه المسلمون خيرا ، وما قدره الله من الخير .

ينظر فيرى هذه الآماد المتطاولة ، ويعلم كيف يخطىء الناس حين يحسبون انهم قادرون على ان يختاروا لأنفسهم الخير ، ما لم يوفقهم الله اليه ، وحين يتضررون مما يريده الله لهم ، وقد يكمن وراءه الخير الذي لا يخطر لهم ببال ولا بخيال .

فأين ما أرادوه لأنفسهم مما أراده الله لهم ؟؟ لقد كانت تمضي ـ لو كانت لهم غير ذات الشوكة ـ قصة غنيمة .. قصة قوم أغاروا على قافلة تجارة فغنموها (فحسب) .

فأما معركة بدر فقد مضت في التاريخ كله ، قصة نصر حاسم ، قصة فرقان بين الحق والباطل ، قصة انتصار الحق على أعدائه المدججين بالسلاح ، المزودين بكل زاد ، وهو في قلة المدد ، وضعف في الزاد والراحلة ، قصة انتصار القلوب حين تتصل بالله ، وحين تتخلص من ضعفها الذاتي، بل قصة انتصار حفنة من القلوب من حولها الكارهون للقتال ، ولكنها بيقينها انتصرت على نفسها ، وانتصرت على من حولها وخاضت المعركة والكفة راجحة رجحانا ظاهرا في جانب الباطل ، فقلبت بيقينها الميزان ، فاذا الحق راجح غالب .

الا ان غزوة بدر بملابساتها هذه ، لتمضي مثلا في التاريخ ، الا وانها لتقرر دستور النصر والهزيمة ، وتكشف عن أسباب النصر وأسباب الهزيمة ، الاسباب الحقيقية ، لا الاسباب الظاهرة المادية ، الا وانها لكتاب مفتوح تقرؤه الاجيال

في كل زمان وفي كل مكان ، لا تتبدل دلالتها ولا تتغير طبيعتها ، فهي آية من آيات الله ، وسنة من سننه الماضية في خلقه ، ما دامت السماوات والارض (٢٦٤) .

أسباب النصر الظاهرية

لا جدال في أن القوتين المتصادمتين في معركة بدر ، قد كانتا غير متكافئتين من ناحية العدد والاستعداد والعدد.

فقد كان عدد جيش مكة حوالي الف مقاتل خرجوا من مكة وهم مستعدون للحرب ، بينما كان عدد جيش المدينة ثلاثمائة مقاتل يزيدون قليلا ، غادروا المدينة وهم على غير استعداد للحرب ، اذ لم يدر بخلد احد منهم انه سيخوض مثل هذه المعركة الرهيبة .

فما هي (اذن) اسباب النصر الرئيسية في هذه المعركة ، وقد انعدمت — في جانب المسلمين — كل الاسباب المادية التي بها عادة يتم النصر في المعارك ؟

مجمل الاسباب

يمكننا — على ضوء الاطلاع على مراحل المعركة منذ البداية — أن نلخص اسباب هذا النصر — بعد التأييد الالهي فيما يلي .

١ — عدم التحمس في جيش مكة .. فبالرغم من ان

(٢٦٤) في ظلال القرآن لسيد قطب ج ٩ ص

هذا الجيش اللجب (٢٦٥) قد خرج من مكـة وهو يتدفق حماسا للقتال دفاعا عن العير ، وحفاظا علـى سمعة قريش التي سيصيبها الانهيار لو أن محمدا تمكن من الاستيلاء على تلك القافلة القرشية الضخمة ، فان هذا الجيش قـد فتر حماسه للقتال عندما بلغته انباء نجاة العير من قبضة جيش النبي (ص) .

لا سيما بعد أن جاهر كثير من قادة هـذا الجيش في رابغ وفي بدر نفسها بضرورة عودته دونما اصطدام بجيش المدينة ، حيث لم يعد أي مبرر لهذا الاصطدام بعد نجاة العير التي خرجوا لإنقاذها .

وهذا كان راي الاخنس بن شريق الثقفي الذي انشق على جيش مكة في رابغ ورجع بجميع حلفائه من افراد قبيلـة بني زهرة ، عندما لم يصغ أبو جهل لنصحه ، كمـا كان هذا الراي ايضا ، راي عتبة بن ربيعة وغـيره من أشراف مكـة الذين قاموا بمحاولة صادقة وهم في بدر لكي يتجنب جيش مكة خوض هذه المعركة ، ونادوا علنا داخل معسكـر قريش بأنه من غير الصواب خوض معركـة تصطـدم فيهـا الاسرة الواحدة ، دونما داع لها ولا مبرر (٢٦٦) ، ولكنهم غلبوا على

---

(٢٦٥) اللجب ـ بفتح الجيم ـ صهيل الخيل وكثرة اصوات الابطال ، وجيش لجب ، اي ذو كثرة وجلبة .

(٢٦٦) كان مما قاله عتبة بن ربيعة ناصحا قريشا بالعدول عن قتال محمد وصحبه ـ يا معشر قريش ، انكم والله ما تصنعون شيئا بأن تلقوا محمدا واصحابه ، والله لان اصبتموه لا يزال الرجل ينظر في وجه رجل يكره النظر اليه ، لانه قتل ابن عمه او ابن خاله او رجلا من عشيرته ..

امرهم ، حيث تغلبت الرعونة على الرزانة والتعقل .

وهذا يعني ان جيش مكة او اكثره قد خاض هذهالمعركة على كره منه ، أو غير متحمس لخوضها على الاقل ، وهذا في علم الحروب وفلسفة المعارك من أهم الاسباب التي تؤدي الى الهزائم العاجلة .

٢ ـ الاعتداء .. لقد كانت الحروب من اكره الاشياء الى النفوس في كل زمان ومكان ، ولهذا كانت الكريهة اسما من اسمائها ، وكان العقلاء (في كل عصر) لا يخوضونها الا لاسباب موجبة قاهرة ، لانهم يعلمون تمام العلم ان الباغي هو المصروع عادة .

ومعركة بدر هذه ، كان البغي والعدوان والخيلاء والغطرسة باعثها الاول من جانب قادة قريش وان شئت قل ، من جانب ابي جهل السيد المشئوم المطاع .

فقد خرج جيش مكة وغايته الاساسية الدفاع عن الف بعير بأحمالها ، وانقاذها من الوقوع في قبضة جيش المدينة ، وهذا وحده (في نظر جيش مكة) مما يسبغ الشرعية على المعركة وينفي عنصر البغي عنها، ويجعل هذا الجيش يخوضها وهو مقتنع بضرورة خوضها . ولكن هذا الجيش لما وصل الى رابغ وهي تبعد عن مكان المعركة حوالي ١٢٥ ميلا بلغه نبأ نجاة القافلة ، فزال الموجب والمبرر للقتال ، ونادى العقلاء بعودة الجيش الى مكة من مكانه في رابغ ، كما حاولوا مرة اخرى موادعة محمد (وقد تقابلوا معه وجها لوجه) والعودة الى مكة دونما قتال ، ولكن ابا جهل اصر (امام كلا المحاولتين) على ان تخوض مكة هذه المعركة باغية معتدية ، فخاضتها ،

وكانت نتيجة يتوقعها العقلاء دائما لكل جيش يقاتل بدافع البغي والعدوان .

٣ ـ العقيدة ، وهي اهم اسباب النصر .. لقد خاض المسلمون هذه المعركة وهم على صلة وثيقة بالله سبحانه وتعالى .

فقد خاضها كل واحد منهم وهو على يقين بانه لا شك فائز باحدى الحسنيين ، اما الموت ، وهو الشهادة التي بها يدخل الجنة ويعيش فيها عيشة اشرف وافضل من عيشة الحياة الدنيا من جميع الوجوه (٢٦٧) واما النصر الذي به يعود مرفوع الراس موفور الكرامة وقد ساهم في نشر العقيدة التي في سبيل نشرها استطاب الموت واستعذب موارده .

وهذا دونما شك من أهم بواعث الروح المعنوية التي يعتبرها العسكريون (في كل زمان ومكان) من أهم العناصر التي يجب ان تتوفر في كل جيش لضمان النصر في أية معركة يخوضها .

فالعقيدة الصادقة هي مصدر الزخم والقوة لكل أمة

---

(٢٦٧) ولقد عبر عن صدق هذه العقيدة السامية الراسخة التي لا يقف في طريق حاملها شيء ، عبر عنها اصدق تعبير ، عمير بن الحمام الذي كان واقفا في الصف يوم بدر والذي قذف بتمرات من يده كان يريد اكلهن ، قذف بهن وقال (بخ بخ) انما بيني وبين الجنة الا ان يقتلني هؤلاء ثم اخذ سيفه وغاص في جيش المشركين يقاتل حتى قتل (رض) ، وذلك بعد ان سمع النبي (ص) يقول في الخطاب الذي القاه على جيشه قبيل المعركة بقليل ، والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم (اي المشركين) اليوم رجل صابرا محتسبا ، مقبلا غير مدبر الا ادخله الله الجنة .

دخلت التاريخ من باب المجد واستوت في قمــة الزمــان على عرش السؤدد المقامة دعائمه على المحبة والعدل والنزاهة ، وهذا هو الذي سجله التاريخ للعرب (قبل غيرهم) عندما ساروا في حربهم وسلمهم علــى هدي العقيــدة الصحيحة والمبدأ الثابت السليم الذي جاء به الاسلام .

اما المشركون فليسوا كالمسلمين ـ يدافعون عن عقيدة صحيحة او يقاتلون في سبيل مبدا سليم ـ وانمــا يقاتلون بطرا ورياء وسمعة وسفها (٢٦٨) فحسب .

وهذا لا يمكن البتة ، ان يكون باعثا لشيء من الروح المعنوية الحقة التي هي العنصر الضروري الذي يجب توفره للحصول على النصر في اية معركة حربية .

فالروح المعنوية ـ التــي معدنهــا الفياض العقيــدة الصــالحة ـ اذا انعدمت في جيش فان امل قادتــه في النصر على اعدائهم ، الزاحفين تحت لواء العقيدة الصحيحة ، يكون ضعيفا جدا حتى ولو بلغ جيشهم اضعاف جيش اعدائهم ، وهذا هو الذي حدث فعلا في بدر ، ويحــدث غالبــا في كثير من المعارك حتى يومنا .

٤ ـ الاسلوب الجديد في القتال .

---

(١٦٨) ولا ادل على ذلك من خطاب ابي جهل الذي القــاه في رابــغ ـ عندما حاول العقلاء العودة بالجيش الى مكة بعد نجاة العير ـ والذي قال فيه ، والله لا نرجع حتى نرد بدرا فنقيم عليها ثلاثا ، فننحر الجزور ونطعم الطعام ونسقى الخمر وتعزف علينــا القيــان وتسمــع بنا العــرب وبمسيرنا فلا يزالون يهابوننا ابدا ، فامضوا .

لقد دخل المسلمون معركة بدر بأسلوب جديد لم يعرفه العرب في تاريخهم ، وقد فاجأ النبي اعداءه في بدر بهذا الاسلوب ، فكان لهذه المفاجأة اثر كبير في انتصار المسلمين ، ويمكن تلخيص هذا الاسلوب المبتكر فيما يلي :

آ ـ القيادة .. قال السيد اللواء الركن محمود شيت خطاب (٢٦٩) في كتابه (الرسول القائد) : كان النبي (ص) هو القائد الاعلى للجيش ، وكان المسلمون يعملون في المعركة ، كيدٍ واحدة تحت قيادة واحدة ، يوجههم في الوقت الحاسم للقيام بعمل حاسم ، وهذا هو واجب القائد الكفؤ .

وكان ضبط المسلمين تجاه تنفيذ اوامره مثالا رائعا للضبط الحقيقي المتين ، واذا كان الضبط اساس الجندية ، واذا كان الجيش الممتاز هو الذي يتحلى بضبط ممتاز ، فقد كان جيش المسلمين حينذاك جيشا ممتازا بكل ما تحمله

---

(٢٦٩) اللواء الركن محمود شيت خطاب من كبار ضباط الجيش العراقي ، ذو نزعة اسلامية قوية ، رجل صلب العود يعتبر مثالا حيا للثبات على العقيدة ، نال من التعذيب والتنكيل من الشيوعيين في عهد قاسم ما لا يمكن لبشر ان يتحمله الا من كان على مستواه في متانة العقيدة وقوة الايمان ، والسبب في تعذيبه انه مسلم يكفر بالشيوعية وكل مبدأ يخالف الاسلام ، ظل صامدا في وجه الشيوعية والديكتاتورية رافضا التعاون مع قاسم طيلة حكمه حتى ثورة اربعة عشر رمضان التي كان احد العاملين فيها ؛ وقد شغل اخيرا منصب وزير البلديات . يُعدّ كتابه (الرسول القائد) من اروع ما خطته الاقلام المسلمة في تاريخ الرسول العسكري ، حيث لم يسبقه احد الى الطريقة التي سلكها في وصف المعارك التي قادها الرسول (ص) حيث اثبت للقارىء (بفلسفة عسكرية شيقة) ان محمدا ـ بالاضافة الى كونه نبيا مرسلا ـ هو اعظم قائد عسكري عرفته البشرية . اكثر الله من امثال هذا الضابط المؤمن في رجالنا العسكريين .

هذه الكلمة من معاني .

ان معنى الضبط — فيما ارى — هو اطاعة الاوامر وتنفيذها بحرص وامانة وعن طيبة خاطر .

وقد كان المسلمون ينفذون اوامر قائدهم بحرص شديد وامانة رائعة وبشوق وطيبة خاطر ، ومن حقهم ان يفعلوا ذلك لأن قائدهم يتحلى بصفات القائد المثالي .

ضبط للاعصاب في الشدائد ، وشجاعة نادرة في المواقف ومساواة لنفسه مع اصحابه واستشارتهم في كل عمل حاسم .

كما ان النبي قد انشأ له قيادة جعل مقرها رابية تشرف على ساحة المعركة وجعل لهذا المقر حرسا بقيادة قائد مسئول (هو سعد بن معاذ)

اما المشركون فلم تكن لهم قيادة عامة ، حيث كان اكثر قادة مكة مع جيش المشركين ولكن الذي يظهر ان ابا جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة هما ابرز ما في القادة ، وكان يمكن ان يكون احدهما قائدا عاما لجيش مكة ، لولا الاختلاف بينهما ، في وجهات النظر ، والعداوة العنصرية التي كانت بينهما ، ولهذا قاتل جيش مكة قتالا فوضويا دونما قيادة موجهة او تنظيم سابق .

ب — تعبئة جديدة .. قال صاحب كتاب (الرسول القائد) (٢٧٠)

طبق الرسول في مسير الاقتراب من المدينة الى بدر ،

---

(٢٧٠) ص ٧٧ .

تشكيلا جديدا لا يختلف بتاتا عن التعبئة الحديثة في حرب الصحراء .

كانت له مقدمة وقسم اكبر ومؤخرة ، واستفاد من دوريات الاستطلاع للحصول على المعلومات ، وتلك هي الاساليب الصحيحة لتشكيلات مسير الاقتراب في حرب الصحراء .

اما في المعركة فقد قاتل المسلمون بأسلوب (الصفوف) بينما قاتل المشركون باسلوب الكر والفر ، ولا بد لنا من بيان الفرق بين الاسلوبين ، لمعرفة عامل من اهم عوامل انتصار المسلمين .

القتال بأسلوب الكر والفر ، هو ان يهجم المقاتلون بكل قوتهم على العدو ، النشابة منهم (٢٧١) والذين يقاتلون بالسيوف ويطعنون بالرماح ، مشاة وفرسانا ، فان صمد لهم العدو او احسوا بالضعف نكصوا ، ثم عادوا تنظيمهم وكروا ، وهكذا يكرون ويفرون حتى يكتب لهم النصر او الفشل .

والقتال بأسلوب الصفوف ، يكون بترتيب المقاتلين صفين أو ثلاثة او أكثر ، على حسب عددهم ، وتكون الصفوف الامامية من المسلحين بالرماح لصد هجمات الفرسان ، وتكون الصفوف المتعاقبة الاخرى من المسلحين بالنبال لتسديدها على المهاجمين من الاعداء .

وتبقى الصفوف في مواضعها بسيطرة قائدها ، حتى

---

(٢٧١) النشابة هم الذين يرمون بالقوس .

يفقد زخم المهاجمين (٢٧٢) بالكر والفر شدته .. عند ذلك تتقدم الصفوف متعاقبة للزحف على العدو .

يظهر من ذلك ان أسلوب الصفوف يمتاز على أسلوب الكر والفر بأنه يؤمن الترتيب (بالعمق) فتبقى دائما بيد القائد قوة احتياطية يعالج بها المواقف التي ليست بالحسبان ، كأن يصد هجوما مقابلا للعدو او يضرب كمينا لم يتوقعه او ان يحمي الاجنحة التي يهددها العدو بفرسانه او بمشاته ثم يستثمر الفوز بالاحتياط من الصفوف الخلفية عند الحاجة .

ان أسلوب الصفوف يؤمن السيطرة على القوة بكاملها ، ويؤمن احتياطا للطوارىء ويصلح للدفاع والهجوم في وقت واحد ، أما أسلوب الكر والفر (٢٧٣) (وهو ما سارت عليه قريش في حربها يوم بدر) فيجعل القائد يفقد السيطرة ولا يؤمن له أي احتياط للطوارىء .

ويقول اللواء الركن (محمود شيت خطاب) ان تطبيق الرسول لأسلوب الصفوف في معركة بدر ، عامل مهم من عوامل انتصاره على المشركين، والتاريخ العسكري يخبرنا بأن انتصار القادة العظام ـ كالاسكندر وهنيبال قديما ، ونابليون ومولتكه وروميل ورنشتد حديثا ، هو انهم طبقوا أسلوبا جديدا في القتال غير معروف ، او قاتلوا بأسلحة جديدة غير معروفة . ا هـ .

---

(٢٧٢) الزخم ، الدفع الشديد

(٢٧٣) اسلوب الكر والفر هو الاسلوب المتبع عند الهنود الحمر بامريكا .

وهكذا صار للخطة التي ابتدعها الرسول في التعبئة وسار عليها في حربه يوم بدر وامتاز بها على المشركين الذين لم يسبق لهم ان ساروا على مثلها في شيء من حروبهم ، صار لها أثر كبير في انتصار المسلمين في هذه المعركة .

هذه الاسباب الاربعة (في نظرنا) هي ـ من الناحية العسكرية ـ أهم الاسباب التي أدت الى هزيمة المشركين في هذه المعركة ، تلك الهزيمة الساحقة التي بها بدأ الانهيار في صرح دولة الشرك .. وحققت للمسلمين ذلك النصر الرائع الذي به دخل المسلمون التاريخ من بابه الخالد .

خاتمة ورجاء

وختاما فانا في محاولة لرفع طبقات الاتربة السميكة التي اهالها خصوم الاسلام على كنوز تاريخنا الاسلامي الثمينة ؛ نتقدم بهذه الرسالة الى الشباب المسلم المثقف من كل جنس ولون ، ونهيب به ان يحطم الحواجز والسدود التي اقامها المخربون بينه وبين النظر الجدي في صفحات هذا التاريخ المشرق الخالد، فركزوا اهتمامه على تاريخ غير امته ، واشغلوه بالنظر في سير ابطال ومفكرين لا تربطهم اية صلة بحاضره أو ماضيه ، أو اعطوه صورة مشوهة عن تاريخه الاسلامي فجعلوه يزهد فيه وينفر من النظر فيه ، فحرموه من الانتفاع بكنوز هذا التاريخ الثمين .

كما اننا في الوقت نفسه ، نتوجه الى المسئولين عن التربية والتعليم في جميع البلاد الاسلامية ــ ان يعيدوا النظر في برامج تعليمهم . وخاصة فيما يتعلق منها بالتربية الدينية والتاريخ الاسلامي الصحيح .

فان هاتين الناحيتين الهامتين (بالنسبة لنا كأمة اسلامية) قد تم اهمالهما وعدم الاعتناء بهما في جميع مراحل التعليم في اكثر الاقطار الاسلامية ، وذلك تنفيذا لمخطط

تخريبي تم رسمه ضد الاسلام وتاريخه الخالد ، قبل ان تحصل أكثر البلاد الاسلامية على حريتها واستقلالها .

ولقد ظل كثير من الاقطار الاسلامية (بعد انتزاعها استقلالها السياسي من الغاصبين) تسير ـ مع الاسف الشديد ـ في برامجها التعليمية حسب هذا البرنامج التخريبي الذي وضعه المحتلون قبل رحيلهم ، ولهذا ترى برامج التعليم في كثير من الاقطار الاسلامية مجردة تماما عن التربية الدينية وخالية من حصص التاريخ الاسلامي الصحيح .

واذا ما احتوت بعض هذه البرامج في بعض البلاد العربية على بعض حصص التربية الدينية والتاريخ الاسلامي ، فان تدريس هذه الحصص يتم بطريقة سطحية وبدون أي حماس او تركيز بحيث لا يعلق بذهن الطالب اي شيء يذكر من هذه الحصص اثناء تدريسها ، لا سيما وان الرسوب فيها لا يعد رسوبا بالنسبة لغيرها من الحصص ، فلا يؤثر رسوب الطالب في الحصص الدينية والتاريخ الاسلامي على شهادته كما يؤثر فيها رسوبه في اللغة الانكليزية والرسم والجغرافيا وما شابهها .

فهل هناك تخريب أعظم من سلوك هذا الطريق ، بالنسبة لنا كأمة اسلامية يستحيل عليها ان تعيش عزيزة مستقرة من غير السير على هدي دينها والاعتزاز بتاريخها ؟؟

ولعله من المؤلم جدا ، ان بعض الاقطار التي لم تخضع طيلة تاريخها للاستعمار قد اخذ يصيبها ما أصاب غيرها حيث سرى نفس ذلك الداء الى كيانها التعليمي ،

واخذت في اغتيال بعض الحصص الدينية من برامج تعليمها تدريجيا .

فلا تمر سنة الا ونرى تخفيضا لهذه الحصص واستبدالها بحصص ليس فيها اية تقوية او تعضيد لكيانها السياسي ، كحصص الرسم وتربية الدواجن وغيرها من الامور الثانوية التي يمكن اضافتها الى حصص التدريس دون اللجوء الى اغتيال الحصص الدينية .

ويخطىء ـ بل يساهم في تخريب الكيان ـ من يزعم ان اضعاف الحصص الدينية وعدم الاهتمام بالتاريخ الاسلامي فيه تقوية لكيان الدولة السياسي او رفع لمنزلتها بين الامم المتحضرة .

ان هذا الزعم والترويج له هو من جانب حملات التخريب التي يقوم بتنفيذها قوم دربوا خصيصا لتنفيذها ، وقدر لهم في غفلة من الزمن ان يشغلوا مناصب قيادية حساسة في حقول التعليم .

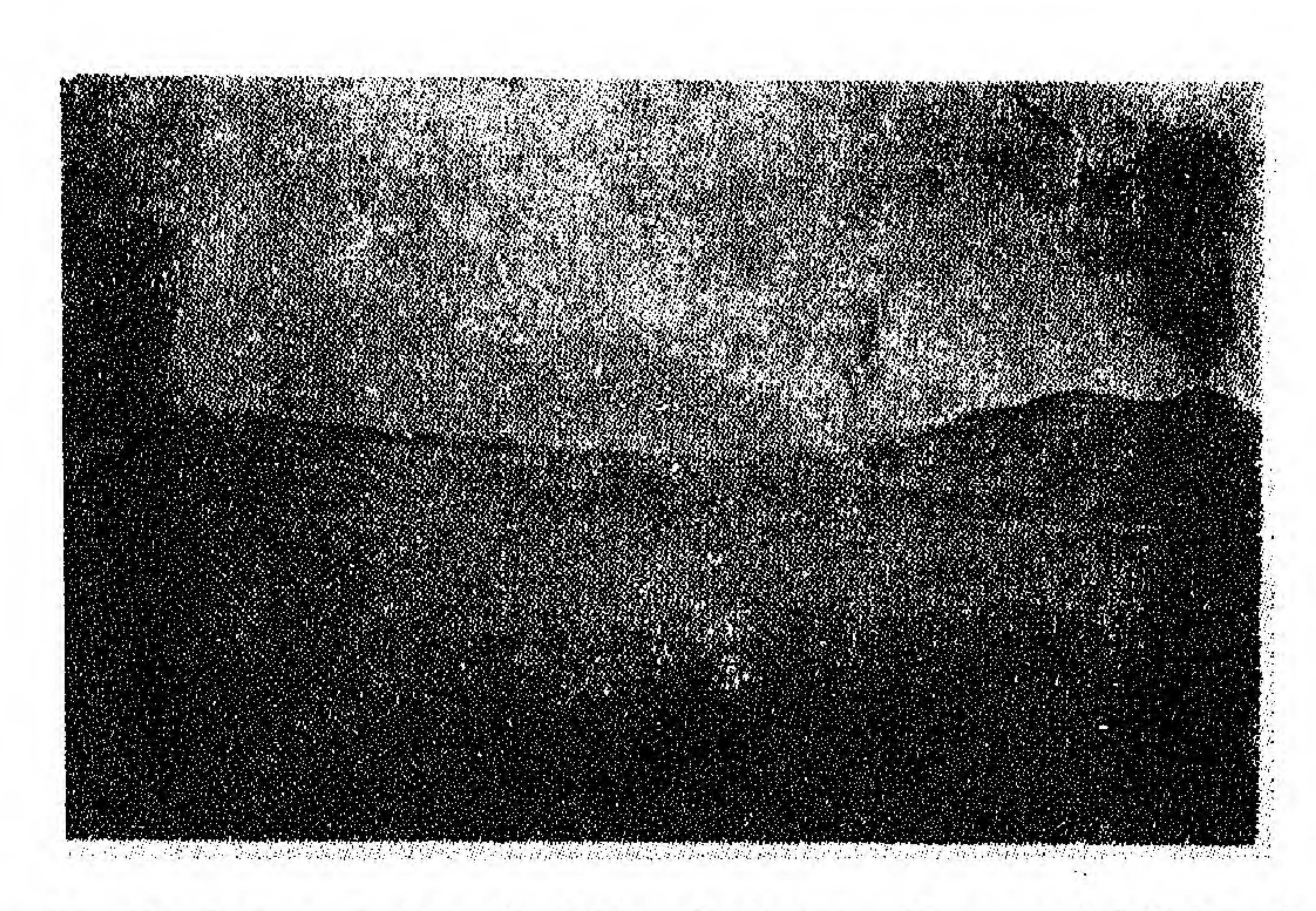
والا فهل يعقل ان دولة قامت ، اول ما قامت على اساس من الاسلام والدعوة اليه وتقوية جانبه والتمسك بآدابه وتنفيذ احكامه ، ولم يبن لها كيان ولم يكن لها شأن الا عندما اخذت تسير على هديه وتحمل رايته .. هل يعقل ان الدولة التي هذا شأنها سيكون في مصلحتها اغتيال الحصص الدينية من برامج التعليم فيها ؟.

نقولها صريحة مرة اخرى ، للمسئولين عن التربية والتعليم في البلاد الاسلامية ـ العربية منها وغير العربية ـ ان تجريد برامج التعليم من حصص التربية الدينية والفقه

الاسلامي ، وعدم الاهتمام بالتاريخ الاسلامي لن يكون الا عونا لانتشار المذاهب الهدامة المخربة بين الشباب المثقف الذي ــ باتباع هذه السياسة التعليمية الخطيرة ــ سيتجرد بالتدريج من كل وازع ديني او حافز خلقي ، وهذا لن تكون له نتيجة في البلاد الاسلامية الا القلاقل والفتن التي لا ثمرة لها الا الكوارث والنكبات التي كادت ان تكون العلامة الفارقة كما هو الواقع المشاهد .

فما يعيشه العالم العربي اليوم من قلق واضطراب ، لا سبب له الا الانحراف بالشباب ــ في مراحل التربية والتعليم ــ عن الطريق المستقيم الذي رسمه الاسلام ودعا أمته الى السير عليه في جميع مراحل حياتها .

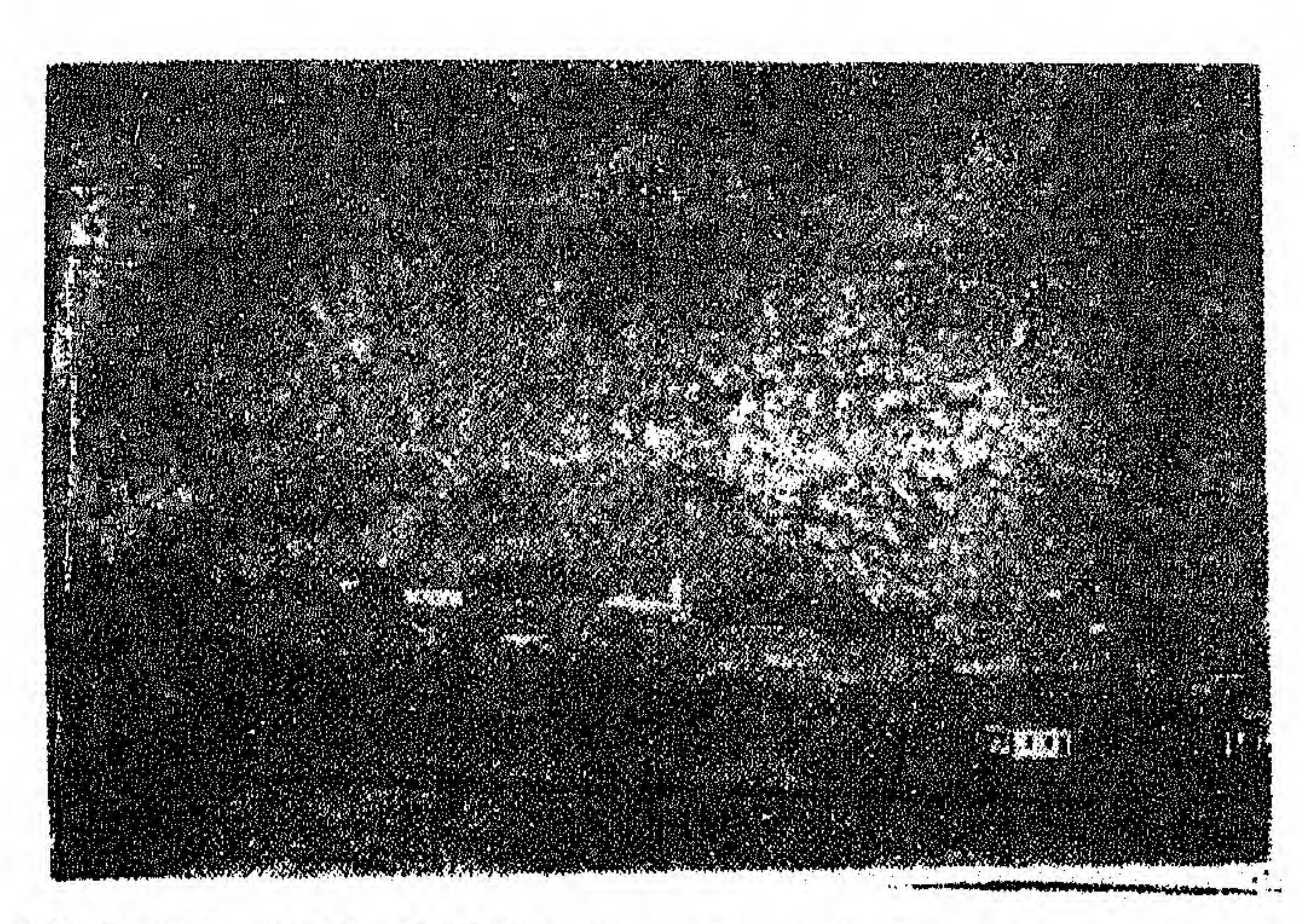
واني هنا اقسم بالله ثلاثا ، غير حانث ولا آثم ــ ان الامة الاسلامية (سواء كانت عربية او غير عربية) لن تذوق للاستقرار طعما ولن تعرف للهدوء والطمأنينة معنى اذا لم ترجع الى الاسلام وتتمسك به دينا ودولة وخلقا ومعاملة ، ولن يصلح آخر هذه الامة الا بما صلح به أولها .. والله حسبنا ونعم الوكيل .



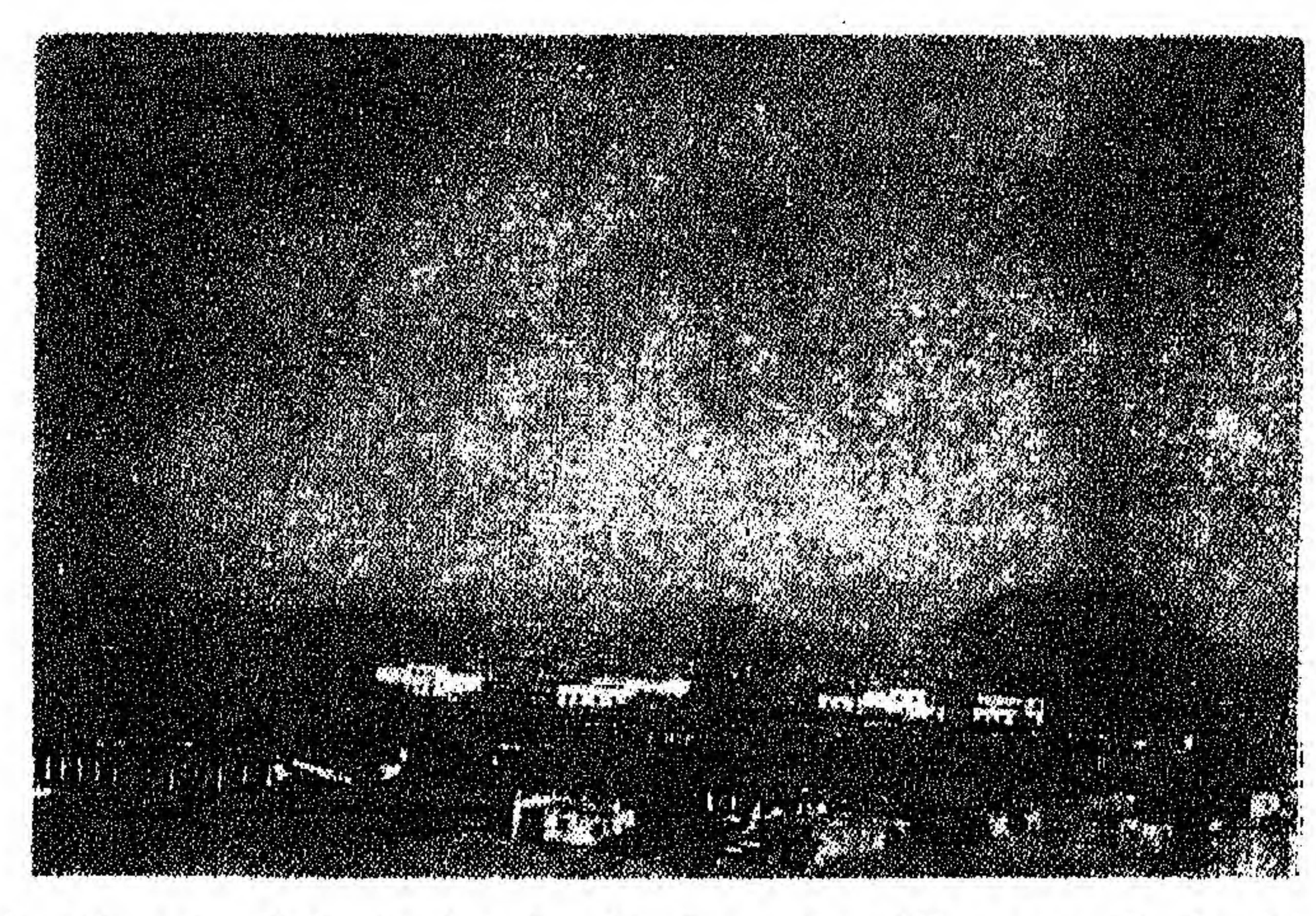
العدوة الدنيا ، وهي المر بين الجبلين المشار اليه بالسهم ، وهذه العدوة هي التي سلكها الرسول (ص) في طريقه الى بدر ، والتي عناها الله تعالى بقوله « اذ انتم بالعدوة الدنيا وهـم (أي المشركين) بالعـدوة القصوى والركب (أي العير التي نجا بها أبو سفيان) أسفل منكم »



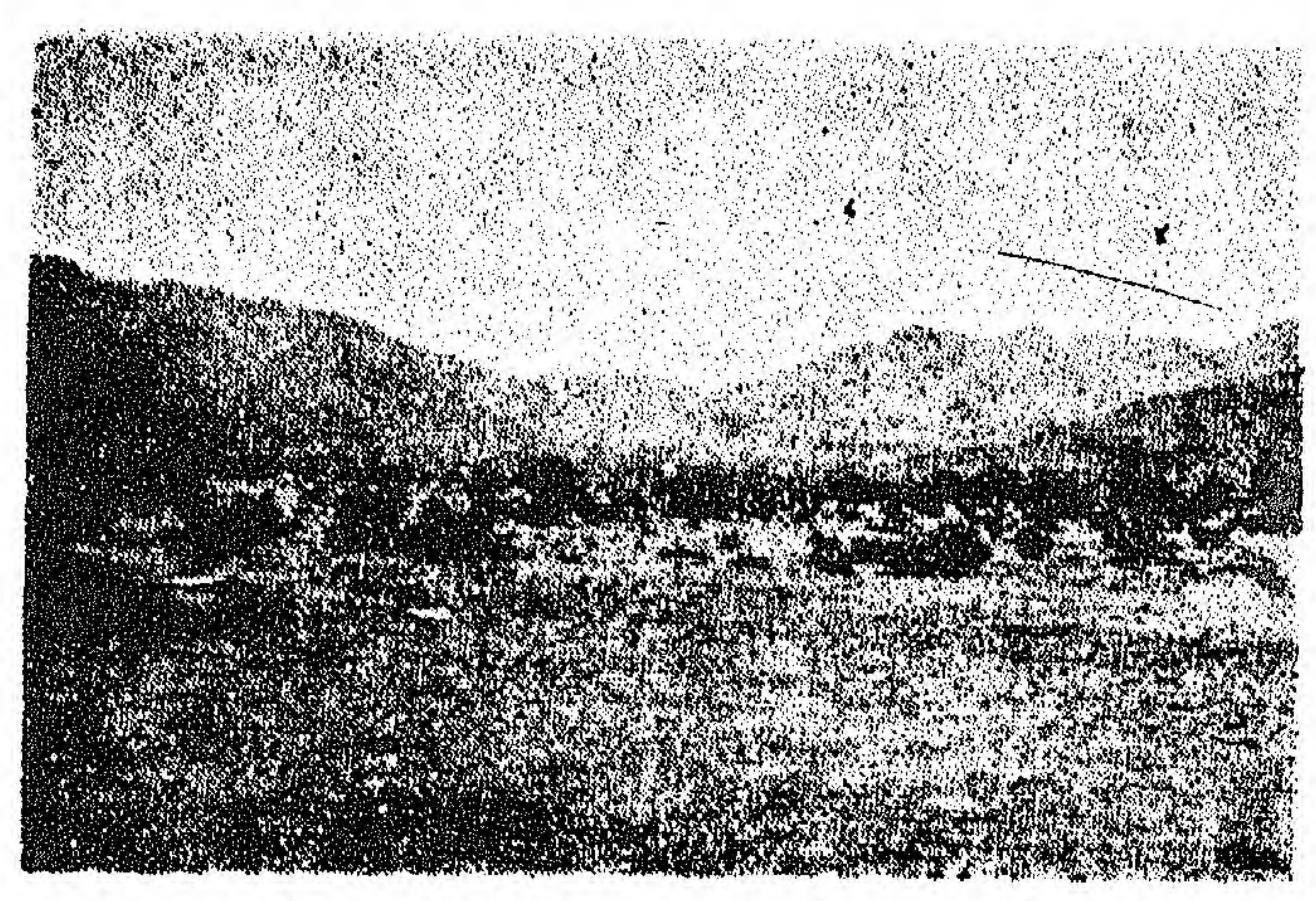
العدوة القصوى ، وهي الكثيب الذي بين الجبلين المشار اليه بالسهم ؛ وهـذا الكثيب هو الـذي سلكه المشركون بجيشهم في طريقهم الى بدر ، والذي لما رآهم الرسول (ص) ينحدرون منه قال ــ اللهم هذه قريش قد اقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك ، اللهم نصرك الذي وعدتني اللهم أحنهم الغداة . ومن الجدير بالذكر ان المسافة بين العدوتين حوالي خمسة كيلومترات كما ان المساحة التي دارت فيها المعركة تقدر بميل مربع.



منظر آخر لجانب من قرية بدر اليوم وفي هذا المكان بالذات دارت المعركة حوالي مقر قيادة الرسول المبني اليوم مكانه مسجد كما هو واضح في الصورة ، وقد قام ببناء هذا المسجد السيد حسن الشربتلي ، كما ظهرت في هذه الصورة سلسلة الجبال التي توارى خلفها أبو سفيان بعير قريش هاربا ، والتي عناها الله تعالى بقوله (والركب أسفل منكم) لان هذه السلسلة تقع أسفل العدوة الدنيا التي كان بها المسلمون ، وقد ظهر الجبل الذي يقال ان الملائكة نزلت عليه يوم بدر لتقوية روح المسلمين المعنوية ، وقد رسمنا لهذا الجبل بسهم كما يراه القارىء . ومن الجدير بالذكر ان النخيل والمنازل المشاهدة في الصورة هي حادثة بعد المعركة بعدة قرون .



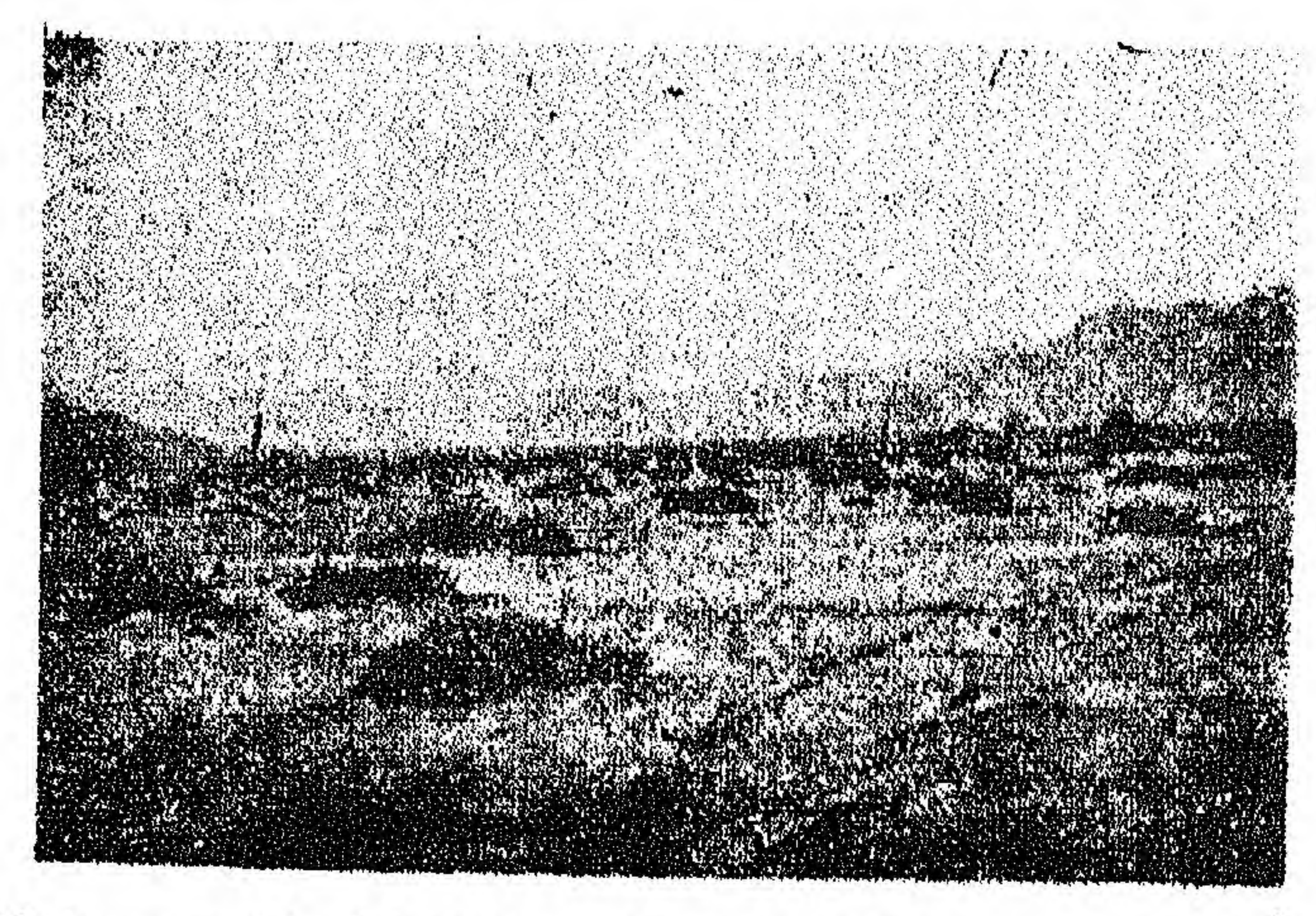
منظر عام لقرية بدر (اليوم) ، وقد ظهر فيه الجبل الواقع غربي العدوة الدنيا والعرصة التي سلكها الرسول في طريقه من العدوة الدنيا الى مكان المعركة الواضح في المنظر الآخر لجانب من قرية بدر ، كما ظهر في هذا المنظر طريق السيارات المعبد المؤدي الى المدينة من مكة .



فج الروحاء الذي سلكه الرسول بجيشه في طريقه الى بدر .



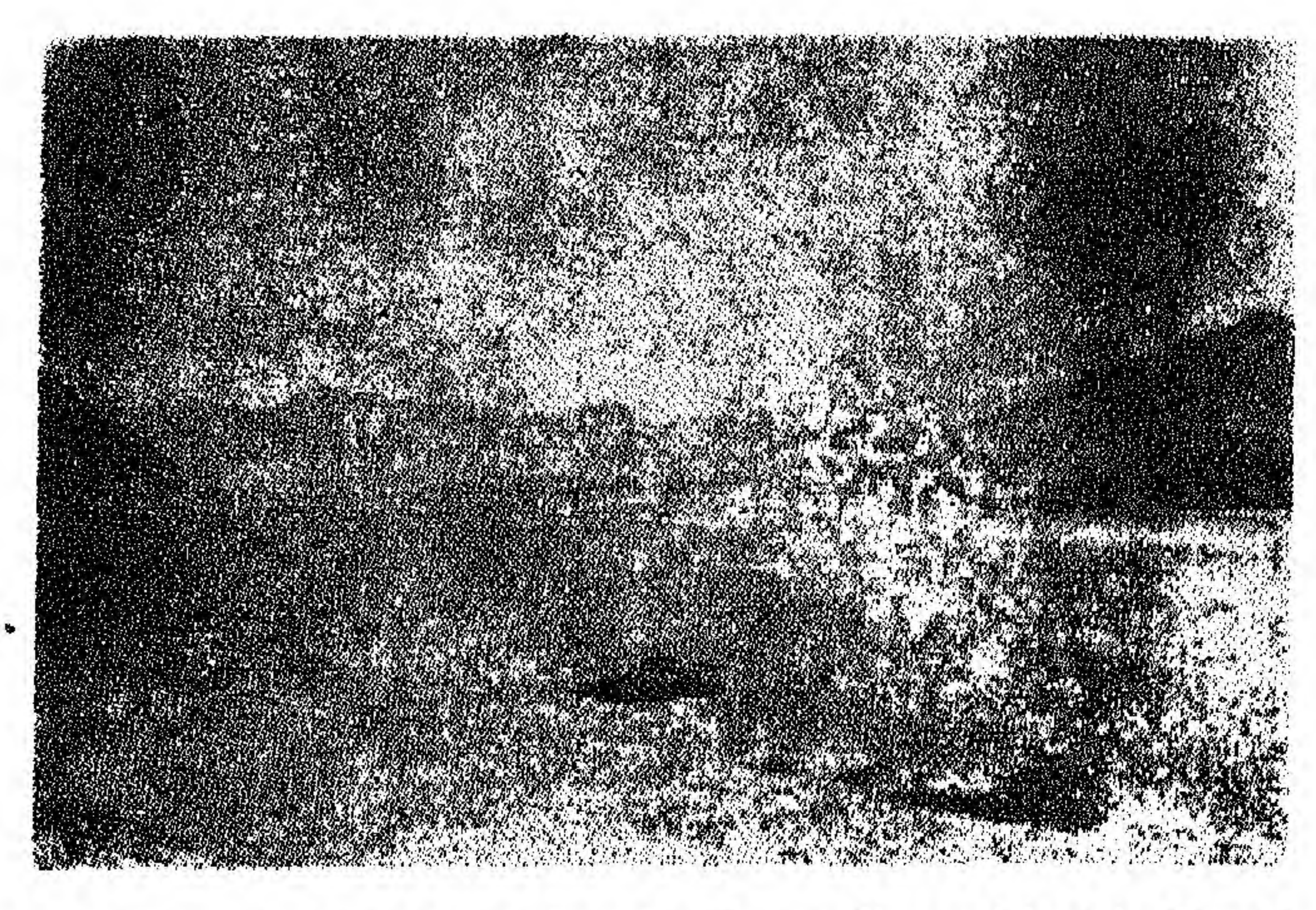
بئر الروحاء الذي استراح عندها الرسول (ﷺ) ثم غادرها منحرفا الى فج النازية تاركا طريق مكة بيسار يريد بدرا .



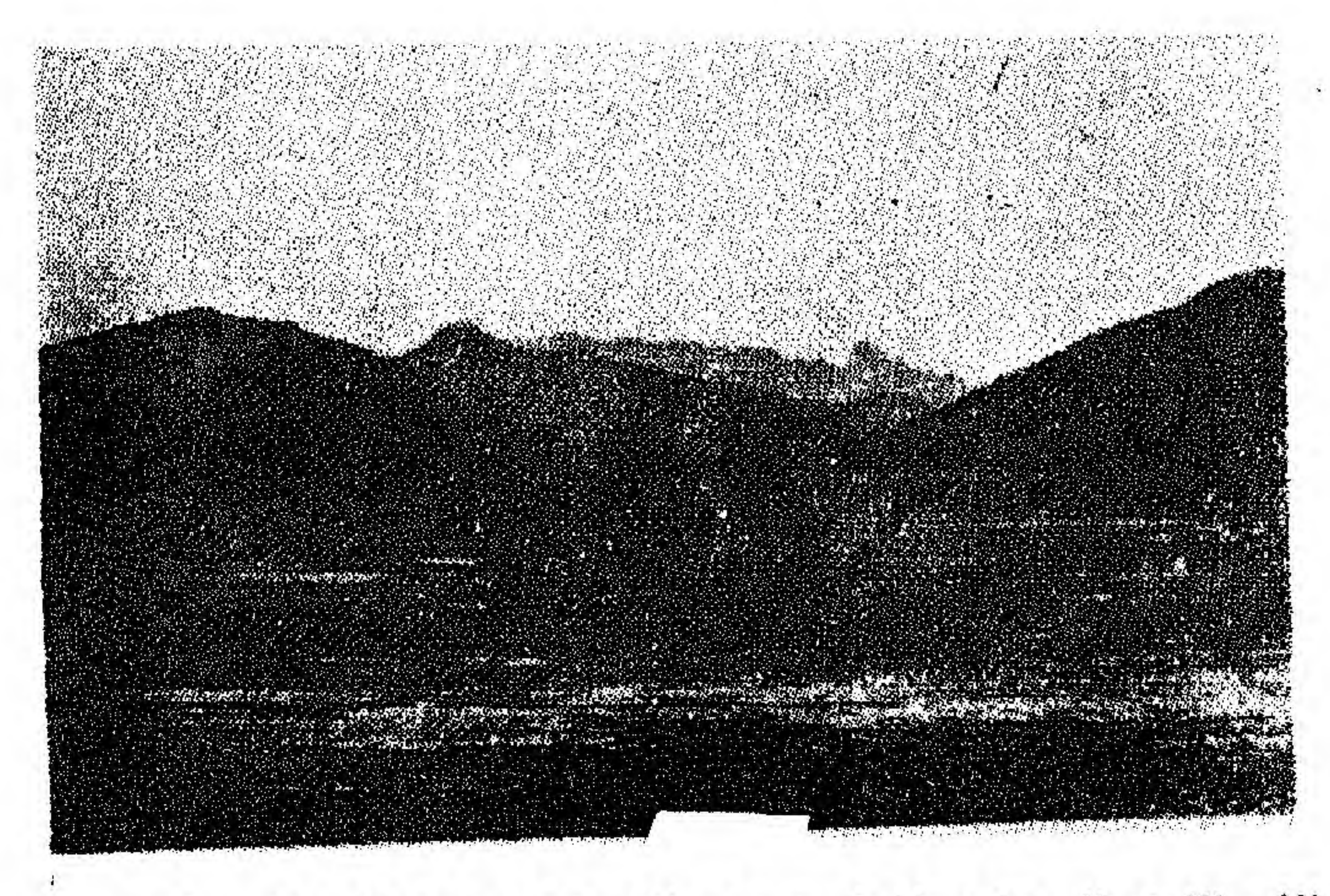
فج النازية الذي سلكه الرسول (ص) بجيشه عندما غير خط سيره بعد أن استراح عند بئر الروحاء وترك الطريق الرئيسي المؤدي الى مكة بيسار .



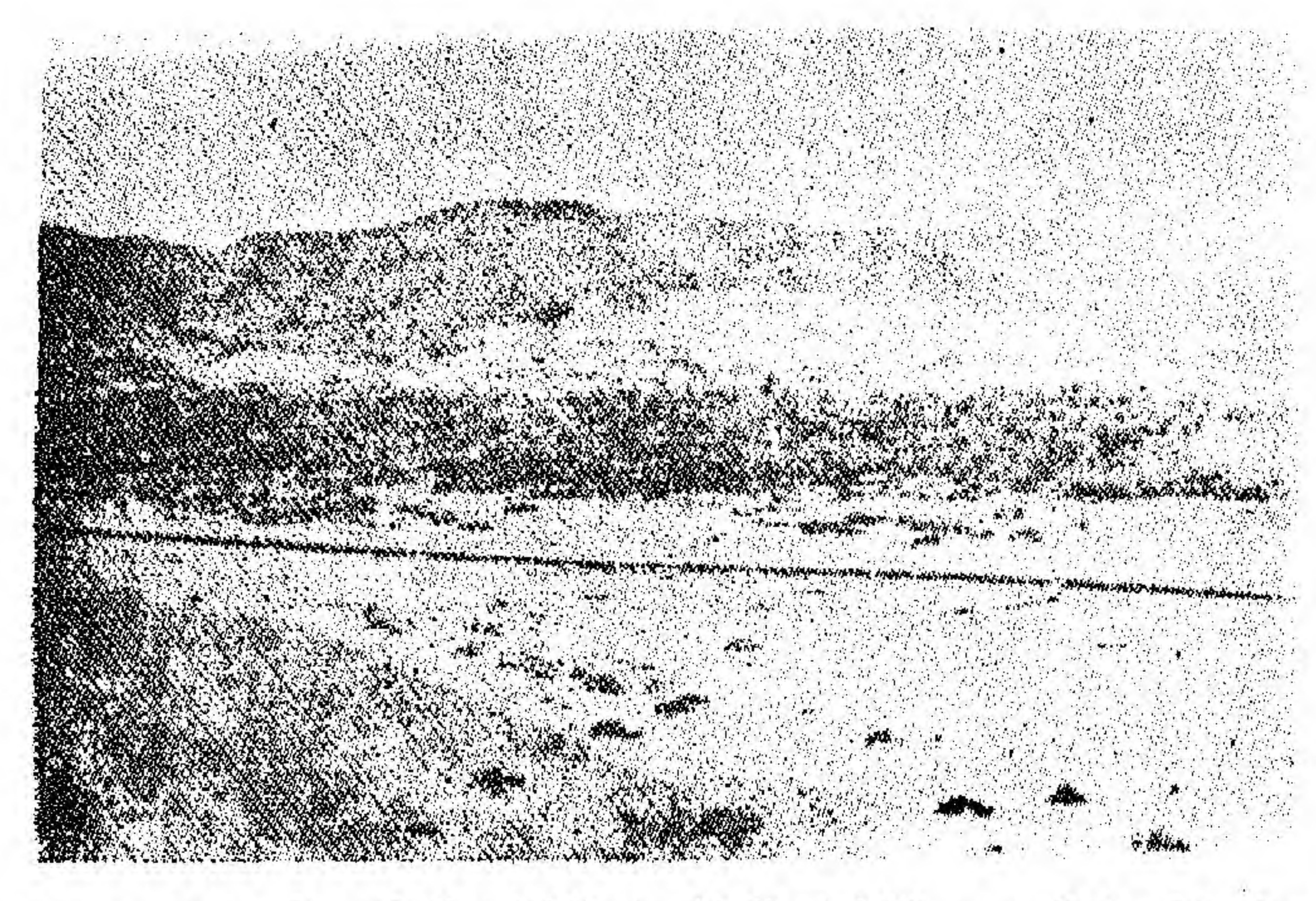
مضيق الصفراء المشهور الذي انصب منه الرسول (ص) بجيشه الى وادي الصفراء بعد ان قطع وادي النازية ثم وحفان يريد بدرا . وقد ظهر فيه طريق السيارات المعبد المؤدي من مكة الى المدينة .



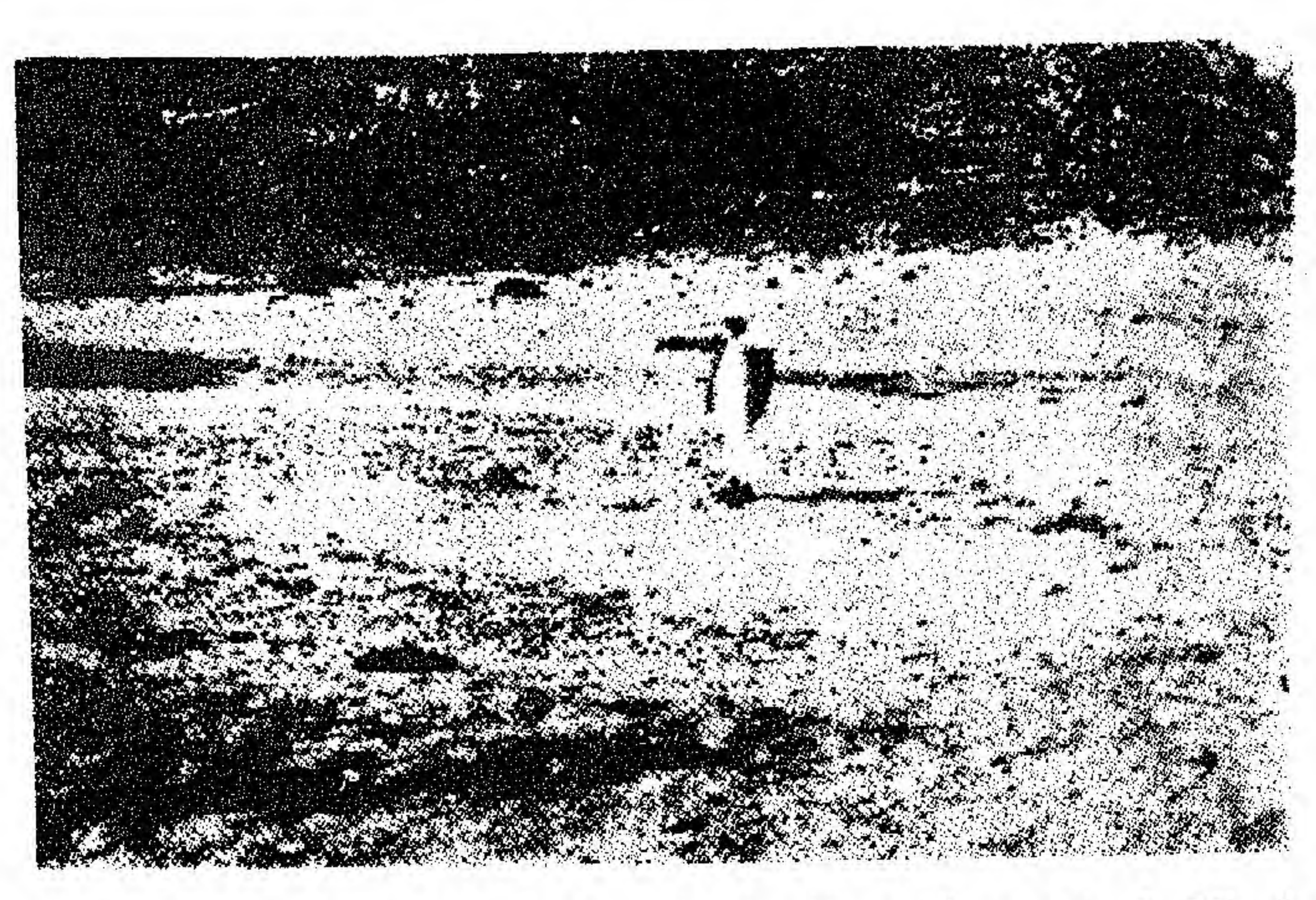
وادي الصفراء المشهور الذي سلكه الرسول (ص) بجيشه الى بدر ، وهو الوادي الذي أمر فيه بضرب عنق مجرم الحرب (النضر بن الحارث العبدري) في رجوعه منتصرا من بدر ، ومن هذا الوادي انحرف بجيشه ذات اليمين تاركا هـذا الوادي وطريق مكة الرئيسي بيسار سالكا ـ في خروجه الى بدر ـ وادي ذفران الذي عقد عند خروجه منه مجلسه العسكري المشهور قبل ان يصل بدرا عندما بلغه زحف جيش مكة لانقاذ العير .



الفج المؤدي الى وادي ذفران ، وهو الفج الذي اتجه اليه الرسول بجيشه بعد ان قطع وادي الصفراء وتركه عن يساره ليختصر الطريق الى بدر عن طريق وادي ذفران الواقع غربي وادي الصفراء .



منظر آخر لجانب من النخيل الواقع في الطرف الجنوبي لقرية بدر . وقد ظهر ايضا في هذه الصورة جانب من المكان الذي دارت فيه المعركة والذي يقوم عليه اليوم جانب من هذا النخيل الذي لم يكن موجودا قبل معركة بدر . كما ظهر ايضا في الصورة جانب من سلسلة الجبال الغربية التي توارى خلفها ركب أبي سفيان عندما هرب بالعير لئلا تقع في قبضة جيش المدينة .



عرق الظبية المشهور الذي يقال ان الرسول (ص) امر عنـده بضرب عنق مجرم الحرب الثاني (عقبة بن أبي معيط الاموي) وقـد أشار الرجـل الواقف باصبعه الى المكان الذي يقال انـه الموضع بالذات الذي ضربت فيه عنق ابن أبي معيط .. ومن الغريب انه قد اقيم ـ منـذ العصور السحيقة ـ قبر في هذا المكان ظـل عرب البادية المحيطين بـه يقصدونه للتبرك حتى جاء العهد السعودي فهدم هذا القبر وازيلت معالمه .

أهم مراجع هذا الكتاب

اسم الكتاب	اسم المؤلف
تفسير ابن كثير	ابن كثير
فتح القدير (تفسير)	محمد بن علي الشوكاني
في ظلال القرآن (تفسير)	سيد قطب
الكشاف	الزمخشري
صحيح البخاري	البخاري
صحيح مسلم	مسلم
زاد المعاد	ابن القيم
تاريخ العرب قبل الاسلام	الدكتور جواد علي
سيرة ابن هشام	محمد بن اسحاق
الأغاني	ابو الفرج الاصبهاني
الصداقة والصديق	ابو حيان التوحيدي
صبح الأعشى	احمد بن علي النقشبندي
المغني في الفقه	ابن قدامة
الانصاف في معرفة الراجح من الخلا	علاء الدين المرداوي
كشاف القناع	منصور بن يونس البهوتي
شبهات حول الاسلام	محمد قطب
جمع الفوائد	محمد بن محمد بن سليمان

اسم الكتاب	اسم المؤلف
غاية المنتهى	الشيخ مصطفى السيوطـ الرحيباني
الطبري (تاريخ)	محمد بن جرير الطبري
القانون الدولي العام	الدكتور سموحي فوق العاد
محمد نبي ورجل دولة	الدكتور مونتجمري وات
حقائق الاسلام وأباطيل خصومه	عباس محمود العقاد
ما يقال عن الاسلام	عباس محمود العقاد
فقه السنة	السيد سابق
الرسول القائد	اللواء الركن محمود شيت خطاب
الادب المفرد	البخاري
تفسير الامام محمد عبده	السيد رشيد رضا
حياة محمد ورسالته	مولانا محمد علي
السيرة الحلبية	ابن برهان الدين
فقه السيرة	محمد الغزالي
سمط النجوم العوالي	عبد الملك بن حسين العصامي
البداية والنهاية	اسماعيل بن كثير
الكامل في التاريخ	محمد بن الاثير
جوامع السيرة	علي بن حزم
آثار المدينة	عبد القدوس الانصاري
وفاء الوفاء	علي بن احمد السمهودي
دائرة معارف القرن الرابع عشر ـ العشرين	محمد فريد وجدي
لسان العرب	ابن منظور الافريقي المصري

اسم الكتاب	اسم المؤلف
نيل الاوطار	محمد بن علي الشوكاني
مجلة الحج العدد (١٢) السنة (١٨)	
اليهود في القرآن	عفيف عبد الفتاح طبارة
الطبقات الكبرى	ابن سعد
معجم البلدان	ياقوت الحموي
مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع	صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق
معجم النساء	عمر رضا كحالة
الاعلام	خير الدين الزركلي
ديوان الحماسة	ابو تمام الطائي
العرب قبل الاسلام	جورجي زيدان
الابطال	توماس كارليل
حضارة العرب	جوستاف لوبون
التشريع الجنائي في الاسلام	الشهيد عبد القادر عودة
الاصابة	ابن حجر العسقلاني
الاستيعاب	ابن عبد البر
ايام العرب في الاسلام	محمد ابو الفضل ـ علي النجاوي
الروض الآنف	السهيلي
نهاية الأرب	القلقشندي
معجزة محمد رسول الله	عبد العزيز الثعالبي
قصص الانبياء	عبد الوهاب النجار
تاريخ ابن خلدون	عبد الرحمن بن خلدون
مروج الذهب	المسعودي
معجم قبائل العرب	عمر رضا كحالة
معجم البكري	البكري

فهرست الاعـلام

(أ)

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ض)

(ط)

(ظ)

(ع)

(ف)

(ق)

(ك)

(م)

(ن)

(ي)

فهرست الموضوعات

رقم الصفحة

رقم الصفحة

رقم الصفحة

رقم الصفحة

	رقم الصفحة

رقم الصفحة

للمؤلف

سلسلة من معارك الاسـلام الفاصلة صـدر منها :

١ ـ غزوة بدر الكبرى

٢ ـ غزوة أحد

٣ ـ غزوة الأحزاب

٤ ـ غزوة بني قريظة

٥ ـ صلح الحديبية

٦ ـ غزوة خيبر

٧ ـ غزوة مؤتة

٨ ـ فتح مكة

٩ ـ غزوة حنين

١٠ غزوة تبوك

كتب اخرى للمؤلف

العرب في الشام قبل الاسـلام

الاسلام ونظرية دارون

لا يا فتاة الحجاز

